رحلتي في البحث عن الإله

محمد نبيل كبها

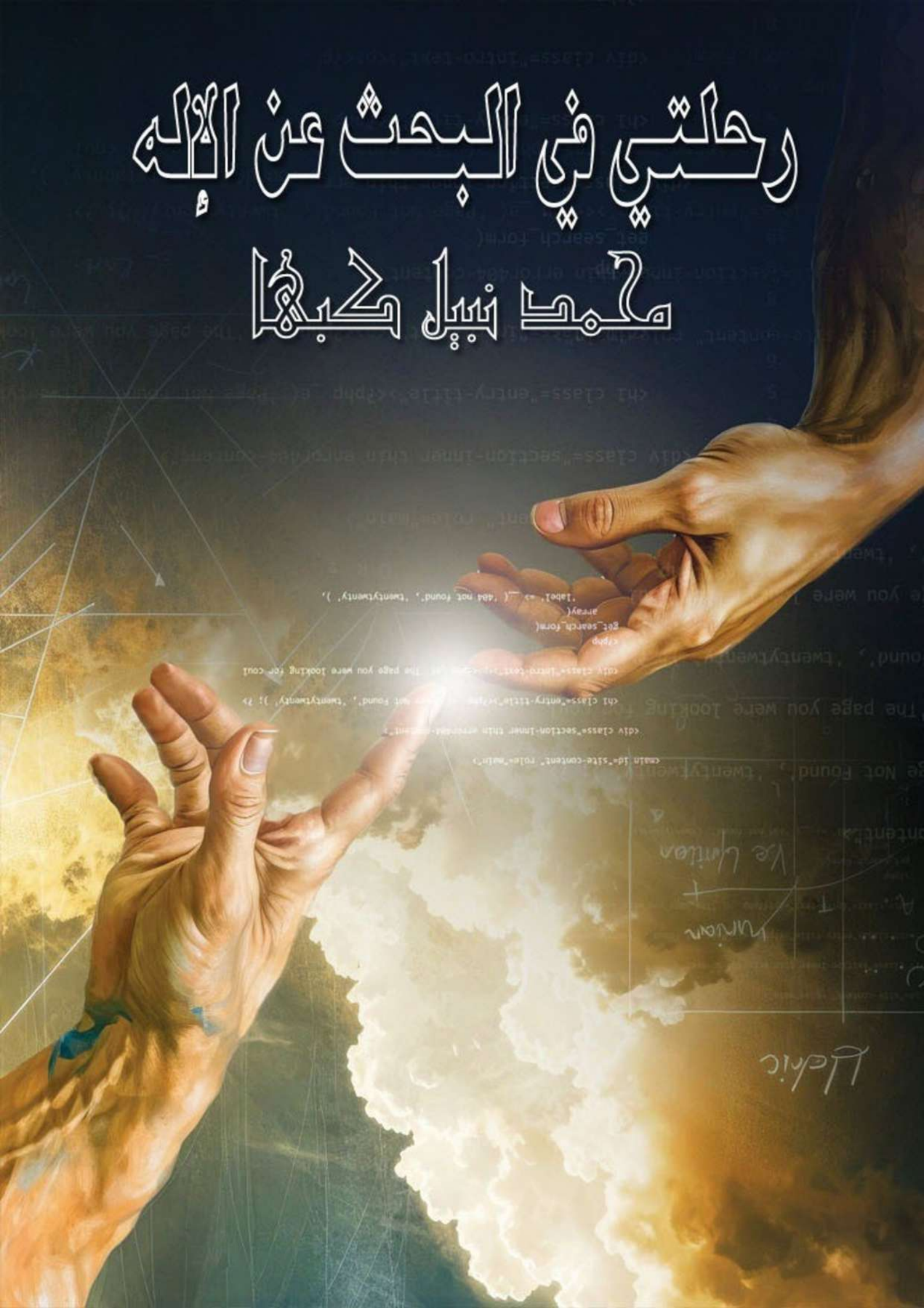

رحلتي في البحث عن الإله

رحلتي في البحث عن الإله

My Journey in Searching for God

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كبها

الطبعة الأولى

2025م

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any from or by any means without prior permission in writing of the writer

جميع الحقوق محفوظة، يمنع ترجمة أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى، بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها لأغراض تجارية بدون إذن خطّي من المؤلّف.

قبل أن نبدأ

كنت بفضل الله قد ألفت كتابي الأول وهو (العزف على أوتار الروح "الجزء الأول- دراما الإنسان") في عام 2022م، والذي لقي هجوماً شرساً من قبل الهيئات والمؤسسات الثقافية، وكان السبب هو أني قمت بنقد الشذوذ الجنسي في فصل كامل في كتابي وهدمه علميّاً، والسبب الآخر هو أني أدعوا من خلال كتابي إلى إيقاظ ما تبقى إنسانية الإنسان عبر الدين الإسلامي، حيث أنني أعتقد أن أزمة العصر هي بلا شك أزمة أخلاقية، فنحن في محطة إنسانية تاريخية صعبة وخطرة، إنني أعتقد مليّاً أن مصيبة الإنسان في القرن ال "21"هي أخلاقية، بل إنه لم يعرف تاريخ الحضارة في خط سيرهِ أزمةً بشرية مثل تلك التي يواجهها الإنسان اليوم والآن في القرن ال "21" من شظفٍ في الأخلاق!! في الشارع، في العمل، في الجامعات، في البيت، في المدرسة، حتى بلغ الأمر مُنتهاه إلى نسب ونشتم ونضرب ونقتل بعضنا في المساجد!؟ لذلك قمت بتأليف كتابي "العزف على أوتار الروح" لإيقاظ ما تبقى من الاخلاقية الملقاة على جنبات رصيف الشيطان والمدفونة في تربته، ولكن للأسف قام السجّان الثقافي بأسر كتابي ووضعه خلف القضبان، بل وأصدر مأمور السجن قراراً بإجهاض كتابي ومنع إشهاره والحديث عنه في معظم المؤسسات والهيئات الثقافية، كما وقد قام أرباب الثقافة بنصب برزخ عظيم بيني وبينهم.

لقد تحمّلت ضيمهم وجورهم، وصبرت على طعنهم لحرفي ووأده، ولكني ثائر قبل أن أكون كاتباً ومفكراً، فقمت بجمعي نفسي، فالحق فوق الحروف ومعناها، وفوق الذات ومحتواها.

في نهاية عام 2023م حدثت معركة طوفان الأقصى في الجهة الجنوبية من الجسد الفلسطيني "غزة"، ولم أستطع أن أبقي يدي مكبلتين، فأنا فلسطيني، وأعيش فيها، فقمت ببتر الوثاق وتأليف كتابي الثاني (السابع من أكتوبر "بداية اللعنة") عام 2023 – 2024م، وكنت بفضل الله أو كاتب في العالم يشيد كتاباً سياسياً ومعرفياً ودينياً يتحدث عن معركة السابع من أكتوبر، ولكن حدث ما هو فوق آفاقي وأفلاكي، حيث تم رجم كتابي ومصادرته من قبل دولة الإمارات في معرض أبوظبي الدولي للكتاب، ومن ثم في معظم معارض الكتاب الدولية في البلدان العربية والإسلامية، كما وتم منعي من إشهاره والحديث عنه في دور النشر والمكتبات والمعارض والمحافل والمؤسسات والهيئات والجامعات والإذاعات المسموعة والمرئية، لكوني وقفت إلى جانب الطوفان ومسست بقدسيّة الملوك والرؤساء والحكام، فتم التعميم حولي من الذين أكلوا الثقافة وبلعوها بعدم التواصل والتعامل معي، وقام هذا الكهنوت الثقافي بردم كتابي الثاني (السابع من أكتوبر "بداية اللعنة").

ولم تتوقف اللكمات والضربات هنا، بل لقد تم منعي من السفر إلى معظم الدول العربية والاسلامية، بالإضافة إلى أنه تم مخاطبتي من قبل بعض الدول والتي طالبتني بالإعتذار الرسمي لها كوني قد قدحت في المقامات العُليا، وكانت الأخيرة هي تهديدي من قبل الشاباك الإسرائيلي عل خلفية مؤلفي هذا!

ولكني كما قلت لكم أني ثائر قبل أن أكون كاتباً ومفكراً، فأنا فلسطيني الجسد والهوية، والثورة الفلسطينية هي "كلمة" قبل كل شيء.

لذلك كان لابد من أن أعثر على سبيل أخرى وأن أخرج من وسط هذه المَعمَعةْ، وأن أقفز من فوق هذه الكراسي المُترعة، وأن أخلع عن هذه الوجوه الأقنعة، هذه الرؤوس التي حرابت الله قبل أن تحاربني، وحرمتني حقي في منحي حقوقي الفكرية وفي طباعة الكتب ونشرها وإشهارها، مما اضطرني إلى أن ألجأ الى الطباعة الإلكترونية والنشر الإلكتروني لأتفادى كل هذا التهديد والوعيد والمنع والقيد على مؤلفاتي وكتبي وعلى اسمي وحرفي، فقمت بطباعة ونشرك كتابي الثالث بعنوان (عين الفيلسوف) إلكترونياً، وها أنا أضع بين أيديكم كتابي الرابع (رحلتي في البحث عن الإله) إلكترونيّاً أيضاً، وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من مد يد العون لي في الواقع الحقيقي أو الفضاء الإفتراضي وخصوصا موقع FOULABOOK والقائمين عليه، و Book Library والقائمين عليه، وغيرها من المواقع.

إهداء

قد يولد الحب في أي زاوية في العالم، في مكان لم يخطر على بالك، وعلى صراط لم تخطوه في حياتك! الحب ليس له باعث، ولا منطق، ولا عقل، ولا إسم...

عندما يسفر الحب على عتباتك، فإنه يتسلّل إليك بكل هدوء، يغزو فكرك، ويجتاح عقلك، ويسكن قلبك، ويحتل أرضك...

قد تكون محيطاً جافّاً، وعندما تجتمع بالحب فإنه يدفعك للعوم من هاوية بدنك، حتّى تنتهي إلى شاطئ جسدك! قد تكون كوكباً أسوداً خاوٍ ومظلم، وعندما يلمس كتفك الحب، فإنه يشعل فيك مصباحاً تبصر من خلاله كل المجرّة! قد تكون حروفاً مقطّعة وحزينة، وعندما يجتاحك الحب فإنه يلملمها، ويُعاود ترتيبها إلى قصيدة جميلة! قد تكون لعنه تمشي على الأرض، وعندما يكتسحك الحب فإنك تصبح قبلة تمشي عليها...

كلّ هذا في حب الإنسان، فكيف هو إذن في حقّ الرحمن!؟ إن المسافة فلكية إن وجدت أصلاً! ففي حبّ البشر كلّ النّاس أموات، وفي حب الله أنت من الخالدين...

أصحاب القلوب الهائمة في هوى الله، والعيون السّامرة صبوةً إلى الله، والأفمام القائلة باسم الله والحمد لله وتوكلنا على الله...

الذاكرين له سُبحانهُ في جُل حالاتهم وأحوالهم، في وقوفهم وعلى جنوبهم، في رحيلهم وعند وصولهم، في بُكرتهم وعشيّهم، في حديثهم وحتى في صمتهم...

والحبيب يبادل حبيبه المحبّة، فمن أعظم الدلائل على محبة الله تعالى لنا أنّه لا ينسانا، ولا يتركنا، ولا يتخلّى عنّا، وحتى لو أخطأت بحق باعث الآراب آلاف المرات يبقى بابه مفتوحاً، ينتظرك حتّى تعود إليه مرّة أخرى، حتّى لو كذبت حتى لو سرقت حتى لو زنيت حتى لو كفرت تجد خالق الحرف ومعناه ومعلمك اياه يقول لك: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا" (الاية رقم 53 من سورة الزمر).

إنّ الله يحبّنا، ولكن َالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ، مولاي، إني أحبك، وأقول لك ما قاله الشاعر العراقي والإمام الصوفي "الحلّاج، الحسين بن منصور":

وَاللهِ ما طَلَعَت شَمسٌ وَلا غَرُبَت ... إِلّا وَحُبُّكَ مَقرونٌ بِأَنفاسي
وَلا جَلستُ إِلى قَومٍ أُحَدِّثُهُم ... إِلّا وَأَنتَ حَديثي بَينَ جُلّاسي
وَلا ذَكَرتُكَ مَحزوناً وَلا فَرِحاً ... إِلّا وَأَنت بِقَلبي بَينَ وِسواسي
وَلا هَمَمتُ بِشُربِ الماءِ مِن عَطَشٍ ... إِلّا رَأَيتُ خَيالاً مِنكَ في الكَأسِ

وَلَو قَدَرتُ عَلى الإِتيانِ جِئتُكُم ... سَعياً عَلى الوَجهِ أَو مَشياً عَلى الرَأسِ
وَيا فَتى الحَيِّ إِن غَنّيتَ لي طَرَباً ... فَغَنّني واسِفاً مِن قَلبِكَ القاسي
مالي وَلِلناسِ كَم يَلحونَني سَفَهاً ... ديني لِنَفسي وَدينُ الناسِ لِلناسِ

كانَت لِقَلبي أَهواءٌ مُفَرَّقَةٌ ... فَاِستَجمَعَت مُذ رَأَتكَ العَينُ أَهوائي
فَصارَ يَحسُدُني مَن كُنتُ أَحسُدُهُ ... وَصِرتُ مَولى الوَرى مُذ صِرتُ مَولائي
تَرَكتُ لِلناسِ دُنياهُم وَدينَهُم ... شُغلاً بِحِبّكَ يا ديني وَدُنيائي
ما لامَني فيكَ أَحبابي وَأَعدائي ... إِلّا لِغَفلَتِهِم عِن عُظمِ بَلوائي
أَشعَلتَ في كَبِدي نارَينِ واحِدَةً ... بِينَ الضُلوعِ وَأُخرى بَينَ أَحشائي

مولاي: إني أحبك، وأقول لك ما قاله الإمام الصوفي "إبراهيم بن أدهم":
هجرت الخلق طرا في هواكا*** وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب اربا***لما سكن الفؤاد الى سواكا
تجاوز عن ضعيف قد أتاكا *** وجاء اليك مرتجيا رضاكا
وان يك يا مهيمن قد عصاكا *** فلم يسجد لمعبود سواكا
الهي عبدك العاصي أتاكا *** مقرا بالذنوب وقد دعاكا
فان تغفر فأنت لذاك أهل *** وان تطرد فمن يرحم سواكا

مولاي: إني أحبك، وأقول لك ما قالته العابدة العراقية المتصوّفة "رابعة العدوية، رابعة القيسية أم عمرو":

عرفت الهوى مذ عرفت هواك ... وأغلقت قلبا عمن سواك
وكنت أناجيك يا من ترى ... خفايا القلوب ولسنا نراك
أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلني بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى نراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك
أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاك
وأشتاق شوقين، شوق النوى ... وشوقا لقرب الخطى من حماك
وأما إشتياقي لقرب الحمى ... فنار خبت في صيام
ولست على الشجو أشكو الهوى ... رضيت بما شئت لي في هداك

مولاي: إني أحبك، وأقول لك ما قاله الشاعر المصري الصوفي "ابن الفارض، هو أبو حفص شرف الدين":

قَلْبي يُحدّثُني بأنّكَ مُتلِفي، روحي فداكَ عرفتَ أمْ لمْ تعرفِ
لم أقضِ حقَّ هَوَاكَ إن كُنتُ الذي لم أقضِ فيهِ أسىً ، ومِثلي مَن يَفي
ما لي سِوى روحي، وباذِلُ نفسِهِ، في حبِّ منْ يهواهُ ليسَ بمسرفِ
فَلَئنْ رَضيتَ بها، فقد أسْعَفْتَني؛ يا خيبةَ المسعى إذا لمْ تسعفِ
يا مانِعي طيبَ المَنامِ، ومانحي ثوبَ السّقامِ بهِ ووجدي المتلفِ

عَطفًا على رمَقي، وما أبْقَيْتَ لي منْ جِسميَ المُضْنى، وقلبي المُدنَفِ
فالوَجْدُ باقٍ، والوِصالُ مُماطِلي، والصّبرُ فانٍ، واللّقاءُ مُسَوّفي
لم أخلُ من حَسدٍ عليكَ، فلا تُضعْ سَهَري بتَشنيعِ الخَيالِ المُرْجِفِ
واسألْ نُجومَ اللّيلِ: هل زارَ الكَرَى جَفني، وكيفَ يزورُ مَن لم يَعرِفِ؟
لا غَروَ إنْ شَحّتْ بِغُمضِ جُفونها عيني وسحَّتْ بالدُّموعِ الذُّرَّفِ
وبما جرى في موقفِ التَّوديعِ منْ ألمِ النّوى، شاهَدتُ هَولَ المَوقِفِ.

مولاي: إني أحبك، وأقول لك ما قاله الشاعر المصري الصوفي "بن الفارض، أبو حفص شرف الدين":

قلبي يُحَدّثني بأَنّكَ مُتْلِفِي ... روحي فِداكَ عرَفْتَ أمَ لم تَعْرِفِ
لم أَقْضِ حَقّ هَواكَ إن كُنتُ الذي ... لم أقضِ فيه أسىً ومِثلِيَ مَنْ يَفي
ما لي سِوَى روحي وباذِلُ نفسِهِ ... في حُبّ مَن يَهْواهُ ليسَ بِمُسرِفِ
فلَئِنْ رَضِيتَ بها فقد أسعَفْتَني ... يا خَيبَةَ المَسْعَى إذا لم تُسْعِفِ
يا مانِعي طيبَ المَنامِ ومانِحي ...ثوبَ السّقامِ بِهِ ووَجْدِي المُتْلِفِ
عَطفاً على رَمقي وما أبقَيتَ لي ... منْ جسميَ المُضْنى وقلبي المُدَنَفِ
فالوَجْدُ باقٍ والوِصَالُ مُماطلي ... والصّبْرُ فانٍ واللّقاء مُسَوّفي

مولاي: إني أحبك، وأقول لك ما قاله الشاعر الجزائري الصوفي "عفيف الدين، سليمان بن علي التلمساني":

لا يُقَدِّرُ الحُبُّ أَنْ يَخْفَى مَحاسِنُهُ ... وَإِنَّما في سَناهُ الحَجْبُ تَحْتَجِبُ
أُعاهِدُ الراحَ أَنّى لا أُفارِقُها ... مِنْ أَجْلِ أَنَّ الثَنايا شِبْهُها الحَبَبَ
وَأَرْقُبُ البَرْقَ لاسَقَياهُ مَنْ أَرْبَى ... لكِنَّهُ مَثَّلَ خَدَّيْهِ لَهُ لِهَبْ
يا سالِمًا في الهَوَى مِمّا أُكابِدَهُ ... رِفْقًا بِأَحْشاءِ صَبّ شَفّها الوَصْبِ
فَالأَجْرُ يا أَمْلَى إِنْ كُنْتَ تَكْسِبُهُ ... مِنْ كُلِّ ذي كَبِدٍ حِراءَ تَكْتَسِبُ
يا بَدْرُ تَمَّ مُحاقي في زِيادَتِهِ ... ما أَنْ تنجلي عَنْ أُفْقِكَ السَحَبِ
صَحا السُكارَى وَسُكْرَى فِيكَ دامَ وَما ... لِلسُكْرِ مِنْ سَبَبٍ يُرْوَى وَلا نِسْبِ

مولاي: إني أحبك، وأقول لك ما قاله العالم العراقي الصوفي "سمنون المحب، أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص":

بكيتُ ودمع العين للنفس راحة ... ولكن دمع الشوق ينكى به القلبُ
وذكرى لما ألقاه ليس بنافعي ... ولكنه شيء يهيج به الكرب
فلو قيل لي من أنت قلت معذب ... بنار مواجيد يضرمها العتب
بليت بمن لا أستطيع عتابه ... ويعتبني حتى يُقال لي الذنب

مولاي: إني أحبك، وأقول لك كل ما قاله الشعراء والكتاب والأدباء والعلماء والفلاسفة والحكماء في حبك من قبلي ومن بعدي أني أحبك، وأن أحرفي تقف أمامك عاجزة خاضعة عن التّعبير، وتندثر وتتلاشى الكلمات، وتتمسمر وتتيبّس اللّغات أمامك إلهي حبيبي ومولاي...

عندما عرفتك مولاي تيقّنت أنّني كنت أبلهاً وجاهلاً وأحمقاً في تعريف الهوى والعشق، وكلّ المحطّات البشريّة والغير البشريّة التّي مررت بها، ولا زلت أهيم عطشاناً مرتبكاً مشوّشاً حتّى إحتفى قلبي بك يا حبيبي ويا ودادي، كلّ البشر ضيوف على صحن قلبي، لأنّ قلبي علم أنّ الله مسكنه ومنزله وموطنه يا روحي ويا حنيني ويا هواي...

في النهاية:

مولاي.. حبيبي.. أحاول أن أقول في حبك شعراً، أحاول أن أخط في هواك حرفاً، ولكن حرفي تاه في حضرتك يامن خلقت حرفي ومعناه، فلا سحر لحرف كائن من قالهُ سوى لحرف قاله الله جلّ في عُلاه.

إلى خليلي وحبيبي...
إلى "الله" جلّ في عُلاه...

المقدمة

ولدت مسلماً تقليديّاً في كوكب يشتكي فوضى سادت سوقه المعرفيّة والفكريّة والفلسفية والعلميّة والدينيّة، كوكب تهافت فيه المفكرين وعلماء المسلمين في القرن الواحد والعشرين.

كنت إسلاميّاً كلاسيكيّاً فارغ الرّوح، ترميني الحياة وأقطابها من فضاء إلى آخر، ومن حملٍ إلى ذئبٍ، وقلما أن تجد مصافحة روحيّة دون أنياب إلحاديّة.

العلّة دائماً من القابل وليس من الفاعل، فتجد أصحاب القرار العربي والإسلامي لا يجدون المال كافياً لإنفاقه في سبيل العلم والدين، ولكنه كافٍ ليدفعونه ثمناً لكأس من الوسكي وحول خصر تلك الرّاقصة.

لقد تنفست رئتي الهواء في أربعة دول عربيّة، حيث كان ميلادي في فلسطين عام 1985م من شهر يوليو في مدينة جنين، ولكن والدي -حفظه الله- إنتقل بي إلى المملكة العربيّة السعوديّة "السعوديّة" والتي قضيت فيها أيام طفولتي، حيث كان يعمل محاسباً في إحدى الشركات التابعة للرئيس اللبناني الراحل (رفيق الحريري).

تلقيت المرحلة الإبتدائيّة في عاصمتها "الرياض"، وتناولت في مدارسها العلوم الشرعية بعمومها إضافة إلى مواد المرحلة، وليس هذا فحسب، بل إن والدي حفظه الله وضعني منذ نعومة أظافري في مساجد المملكة بين يدي المشايخ كي أتم حفظ كتاب الله "القرآن".

عندما بلغت من العمر ثمانية أعوام، إنتقل بي والدي إلى المملكة الأردنية الهاشمية "الأردن"، حيث أقمت فيها عامين في مدينة "الزرقاء الجديدة"، وعند توقيع إتفاقية "أوسلو" بين الرئيس الفلسطيني الراحل (ياسر عرفات "أبو عمار") والرئيس الإسرائيلي المجرم (شمعون بيرس) عاد بي والدي إلى وطني الحبيب "فلسطين"، حيث تلقيت المرحلة الإعدادية في جنين في قرية "طورة الغربية" مسقط رأسي، ثم إنتقلنا إلى مدينة "رام الله" لأتلقى تعلمي الثانوي في مدارسها، وحيث كان يعمل والدي -حفظه الله- هناك في مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية.

عند إتمامي للمرحلة الثانوية إتخذت قراراً بالسفر إلى جمهورية مصر العربية "مصر"، كي أتلقى تعليمي الجامعي في جامعة "6 أكتوبر"، حيث تخصص بهندسة الحاسبات، وانتظمت في سلكها لمدة خمسة أعوام.

وهناك وقع مالم يكن بالحسبان، حيث كنت أنتظر ذلك الفتى المصري الصغير لكي يحضر لي أنبوبة الغاز، وعند حضوره علمت أنه "مسيحي"، فأحببت أن أعرض عليه الإسلام، وإذا به يلقي في وجهي هذه الكلمات: "وأين ربّ الإسلام عن المآسي والأحزان؟ أين رب المسلمين عن ما يحدث من ظلم للإنسان؟ أين رب المسلمين والمسيحيين عن طفل صغير مثلي لا يبلغ من العمر ثمانية أعوام! ليس له معيل، يحمل جرة غاز ضعف وزنه! يركبها هنا وهناك كي لا يأكله الجوع والناس نيام؟"، ثم سكت قليلاً، ثم قال: "ولماذا نفترض دائماً وجود رب للإنسان، لماذا لا نكون نحن نتاج تطور أو سلفٍ لحيوان؟ لماذا لا تكون المادّة هي الأساس والأزل والأبد من قديم الزمان؟"، ثم نظر بحدّة في عيني وقال لي: "أين الجواب يا محمد، هل انقطع صوتك!؟"، وأخذ بعضهُ وغادر المكان.

لقد صفعني هذا الطفل الصغيرعلى وجهي بكلماته هذه، وطفقت ولأول مرّة في حياتي أرتاب وأدور حائراً بين واقع الطبيعة والعلم ونصوص القرآن، حيث انتقلت حينها مع نفسي بين أسئلة كثيرة وأنا راقد على وسادتي، أبحث فيها عن نفسي بنفسي، أعوم داخل حلمي محاولاً النجاة من إنقضاض ذلك الفيضان، لقد كان حالي في إبانها هو حال الإنسان، يفتش عن معناه وأنهُ ليس مُحصلة قرد أو حيوان، أبحث عن الحقيقة وعن أصلي وعن من هو كائن خلف ستار الزمان والمكان!؟

كانت صفعة هذا الطفل المسيحي هي البداية، حيث نهض السؤال أخيراً من رحم بيئة مدرسيّة تلقينية وتقليدية وقياسيّة كانت تقوم بتخديري كي أتابع سباتي العميق إلى الأبد.

وكانت الصفعة الثانية عندما أخبرتني أكاديمية تحمل درجة الدكتوراة في علم الأحياء الدقيقة أن الإنسان هو عبارة عن قرد مستحدث! وأن البيان والدلائل العلمية تؤكد أن الإنسان مُحصّلة التطور.

عندما يتوجّب عليك دراسة نظرية التطور "Evolution theory" في الجامعات لعالم الطبيعة والأحياء والجيولوجيا الشهير (تشارلز داروين) وتخبرك أكاديمية ومحاضرة لادينيّة متخصّصة في علم الأحياء أن الإنسان أصلهُ قرد، وأنه وقبل 3 مليار سنة نشأت أوّل الكائنات الحيّة وهي البكتيريا، وبقيت على الأرض وحدها 2 مليار سنة، ثم بدأ ظهور "حقيقيّات النّواة"، ثم الكائنات البسيطة عديدة الخلايا كالديدان وقناديل البحر والإسفنج، ثمّ بدأت بالإنتواع، فظهرت الأسماك ثم البرمائيّات ثم الثديات، إنتهاءً إلى ظهور الإنسان من ظهر القردة، بالتأكيد سيجثم الشك في عقلك كما يَبْرُك الجمل في صحراء قاحلة!

كل هذا أعلنه داروين عام 1859 في كتابه Origin of Specie "أصل الأنواع"، حيث كتب ينادي فيه أنه "لا خلق ولا تصميم، الطّبيعة هي التي تفعل في زمانيّة طويلة ممتدّة".

هَذِه النَّظرِيةِ التي أَحدثَتْ هزَّةً فِي عُمقِ نَظرةِ الإنْسانِ إلى هُويَّتِه، وعَلاقَتِه بالطَّبِيعةِ والكَوْن، حيث تحدث داروين في كتابه الآخر On the Origin of Species by Means of Natural Selection "أصل الأنواع بواسطة الإنخاب الطبيعي"، وكتابه الآخر The Descent of Man, and Selection in Relation to Sex "نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي" الذي تحدث فيه عن إنحدار الإنسان عام 1871م.

حيث إنحدر الهومو "الإنسان" في كتبه إلى سبعة أصناف، هومو هابيليس، هومو إريغاستر، هومو إريكتاس، هومو هايدل برجينسي، هومو النيانتردال، وأخيراً الهومو سابينياس، وهو "الإنسان العاقل".

الكون والحياة متمثلة بأعلى وعيها "الإنسان" جاءت بفعل الطبيعة، لا يوجد خلق ولا تصميم ولا رب، الطّبيعة هي التي تفعل كل هذا في زمانيّة طويلة ممتدّة!!

وتجد في المقابل خطاباً إسلاميّاً سطحيّاً ومحليّاً وركيكاً، لا يجيب بشكل علمي على أسئلة الطبيعيّين "Naturalism"، ولا المتطورين والداروينيّين، ولا الإلحاد "Atheism "، ولا اللّاأدرية "Agnosticism"، ولا اللّاإكتراثية "Apatheism "، ولا الربوبيّة "Deism"، ولا اللّادينية "Irreligion"، ولا العلمانية "Secular humanism "، فإن الشك سيعربد في صندوقك الأسود!

((ملاحظة- لكي أكون منصفاً بحق تشارلز داروين بأنه لم يقل أن أصل الإنسان قرد، وإنما قال أن الإنسان والقردة جاؤوا من سلف مشترك -ظهور الأستروبيثيكاس والهومو كان من سلف مشترك- بمعنى أنه كان

يقصد أن الإنسان نتاج الحيوان، "حتى من يتبنون ويعتقدون بنظرية التطور من علماء العرب والمسلمين يعلّمونها لطلابهم وللعامّة بشكل خاطئ!!)).

عندما يكون طالب بسيط أمام عقل أستاذ جامعي وبروفوسورعظيم، يقوم بتلقينه وتعليمه نظرية الإنفجار العظيم "Big Bang theory" للعالم الفيزيائي الروسي (جورج جاموف) ويقول له: "قبل 13 مليار سنة ضوئية كان هناك جرم صغير، تعرّض إلى كثافة عالية ودرجة حرارة عالية فحدث له انفجار عظيم، هذا الإنفجار أدى لولادة الكون الحالي، حيث انبجس هذا الجرم مكونا المجموعة الشمسية، ثم مجرة درب التبانة، ثم المجموعة العنقودية الأولى، فالثانية، فالثالثة، ثم السماء الراديويّة، إنتهاءً إلى كوننا بصورته الحاليّة، وكان كل هذا بفعل الصدفة، وليس بيد خالق، والأدلة العلمية والفيزيائية وميكانيكا الكم تؤكد هذا"، وفي المقابل تجد خطاباً إسلاميّاً سطحيّاً وضعيف علميّاً يستر وجههُ إزاء وجه هذا الغول الإلحادي، بالتأكيد سيتناول الشك بعضاً منك!

وفي إبان هذه الحرب العالمية العلمية على شباب وطلاب المسلمين في الجامعات والندوات والجمعيات والمؤسسات والمقاهي الثقافية، كان العقل الإسلامي فارغاً، يحمل فكراً قياسيّاً وترادفيّاً، وجسده مشغول بتطويل لحيته وتقصير ثوبه، كذلك الجندي الذي يقف متفرّجاً وسط حرب لا يملك فيها السلاح ولا الأدوات، أو كتابع يلهث خلف الأمنيات، أو كببغاء يردد الأحرف والكلمات!

كانت الوظيفة الوحيدة لهذا الجندي هي إسقاط ما توصّل إليه الغرب المعرفي على آيات الكتاب، قائلاً: "هذا موجود في قرآننا منذ 1446 عام!!".

هناك كمّ لا بأس به من الشباب والشابات المسلمين الذين لم يسعفهم خطابنا الإسلامي المُغيب، فسقطوا ضحيّة هذا الإلحاد، وأنا أحد الذين ضاعوا -ولكني لم أعتنق الإلحاد منهجاً- ولكن كان ضياعي على أيديهم، وكانت حُمّتي وغصّتي في فقدان الثّقة في الأجوبة الّتي يقدّمها المنبر الإسلامي، هذا إن وجد الجواب لديهم من الأساس! كنت أبحث عن المعنى وعمّن خلق المعنى متعثراً في مطبّات سنيني، كان بحثاً مرهقاً ممتزجاً مع ألم الوجود، حيث لطمني إعصار القلق العقائدي، والوسواس الميتافيزيقي، والقهر الوجودي، ودخلت في دوّامة الأمراض النّفسوجسديّة، وكان كل ما أريده وأكثر ما يعنيني هو البحث عنّي!؟

كان جرحي الوجودي والفكري يزداد بازياد فلاسفة المادّة، وأرباب العلم، والملحدون والمشكّكون والمنطقيون والعقلانيون والمتطوّرون وألّلادينيّون وألّلاأدريّون، وعلماء التلفيق والتّزوير، ومشايخ السّلاطين، ورجال الدين المشتّتين والضائعين بين سني وشيعي وإباضي وغيرهم، والقرآنيّون، والمتحدثين بشتّى أنواعهم، والكتاب والأدباء بشتّى أصنافهم! وهذا ما دفعني لتعمّق الأسئلة الوجودية والفكريّة، وأن أمضي في بحثي عن نفسي...

لقد سقطت في شباك الشكيّة "Skepticism" واللّاأدريّة "Agnosticism "، ولكن ليس الشكيّة الساذجة التي ترتكز على تعليق الحكم في الاشياء، وأن كل شيء وكل مسألة قابل للنفي والاثبات والسّلب والايجاب بقوى متعادلة، لأن هذا يُضيّعُ اليقين وتبقى المسألة معلّقة، ويصبح الانسان غير قابل للمعرفة.

هذه الشكيّة هي مدرسة ومذهب وفلسفة أسسها الفيلسوف اليوناني الكبير (بيرون) ثم حمل الراية من بعده تلميذه (تيمون) ولكني لا أتحدث عن هذا الشك الضائع!! بل إن الشك الذي وقعت فيه هو الشك "الإبستمولوجي" أو الشك "المعرفي"، وهو الشك الحقيقي وهو المفهوم الأوسع للشك.

بدأت أبحث عن الحقيقة، عن سر وجودي وحقيقة الوجود الموضوعي من حولي، وما وراء هذا الوجود، إنطلقت على إثرها في رحلتي، رحلة في البحث عن الإله...

استمرت رحلتي هذه لعامين اعتزلت فيها الناس، وكنت أمكث فوق جبل لوحدي، حيث بدأت شاكاً وإنتهيت موقناً بأن الرسول ﷺ هو حق، وأن الإسلام هو حق، وأن القرآن هو حق، وأن الله هو الحق، الله هو الحقيقة الأولى والتي انبثقت منها كل الحقائق، قال تعالى : "ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ" (الاية رقم 62 من سورة الحج).

إن ما حدث معي يحدث مع الكثير من المفكرين والعلماء والفلاسفة، والذين كان منهم حجة الإسلام (أبو حامد الغزالي) والفيلسوف الفرنسي الشهير (رينيه ديكارت) وكل مفكر حقيقي يبحث عن الحقيقة.

إن الحقيقة ليست حكراً ولا حصراً على أحد أو أشخاص أو رجال دين أومشايخ أو مؤسسات أو وزارات أو هيئات، لا، لا، قال تعالى: "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق" (الاية رقم 20 من سورة العنكبوت) والخطاب للعامّة وليس فئة خاصّة.

كلنا يبحث عن أصل الحياة التي حثنا الله تعالى بالسؤال عنها، وهي بانتظار من سعى إليها، فإن فيها إحياء لعقل ميت، وإنعاشاً لفطرة للتفكر، وعيشاً لهذه الحقيقة وبثّها للغير كي لا يكون فريسة للإلحاد.

وها أنا أركب سفينتي مبحراً في رحلتي في البحث عن الإله...

التفسير الميكانيكي

التحليل المادي للوجود

الفيلسوف اليوناني (ليوكيبوس) مؤسس النظريّة الذريّة المعاصر للفيلسوف السوري (زينون الرواقي) تأثر به تلميذه الفيلسوف اليوناني (ديمقراط أو ديمقريطس) الملقّب بالفيلسوف "الضاحك"، وديمقريطس هو أول فيلسوف مادي ووحدوي يؤمن بالتفسير المادي الخالص للوجود والموجودات، وأن المادّة أزليّة وأنها الأساس، وهو ملحد "Athiest".

فسر الوجود بأنه مكون من ذرات "دقائق صغيرة جدا" لها أشكال مختلفة دائمة الحركة والنشاط، ولا تقبل بالقِسمة بالفِعل، ولكن تقبل القِسمة بالعقل، وبحركة هذه الذرات وتواليفها وتعالقها تتكون كل الاشياء المختلفة، وبإنحلالها يحدث الفساد.

لقد فسر الوجود بطريقة مادية بحتة، ولكن تصدى له ثلاثة فلاسفة (سقراط وأرسطو وأفلاطون) إلا أنها بُعثت من جديد على يد الفيلسوف اليوناني الملحد (إبيقور) والشاعر الروماني الملحد في عصره (ليقريتوس).

وفي العصر الحديث بُعثت الماديّة على يد الإقتصادي والسياسي والفيلسوف الألماني (كارل ماركس) الذي قدم رسالة الدكتوراه عن "ديموقريطس وأبيقور" لأنهما فيلسوفان ماديان وملحدان.

المادية بالعصر الحديث لقيت دَفعة كبيرة بسبب العلم، وخصوصاً العالم (إسحاق نيوتن) وهو عالم طبيعي ميكانيكي، يؤمن بالنموذج الميكانيكي المادي، وهو نموذج حتمي وتحديدي بالرياضيات، فالكون بالنسبة له يدير نفسة بقوانين الله، وله الكتاب الشهير "المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية"، والفلسفة الطبيعية بنظره هي "الفيزياء"، كان اسحاق نيوتن ربوبيّا يؤمن بوجود الله، ويؤمن بعناية الله للكون بشكل متقطع، فكان يعتقد أن الله تعالى خلق الكون ونظّمه بقوانين بثّها وجعلها سارية في تضاعيفه وأنحائه، وهذه القوانين هي التي تتكفّل بضبط كل شيء فيه، ولكن يحدث بين الحين والآخر تراكم الإستثناءات والأخطاء البسيطة والتي يظهر على إثرها شذوذ في الظواهر الكونية الطبيعية والفلكية، فيُضطر الله تعالى حينها للتدخّل من أجل إصلاح هذا الخطأ "وكأن عمل الله غير متقن!"، "أستغفر الله العظيم من كل أقوالهم وأفعالهم".

العلم بالنسبة لنيوتن يفسر كل شيء، فكان يؤمن بالرياضات وبأنه يستطيع تفسير كل شيء من خلالها، فبالنسبة له يرى أن -قوانين الله- هي المُسبب لحدوث الفجوات، ومن هنا جائت التسمية "إله الفجوات God of gaps" أي: "أن عمل الله تعالى هو أنه إذا ظهرت فجوة معيّنة فإنه يتحرّك لسدّها!" وهذا قصور فهم وعلم عند اسحاق نيوتن من وجهة نظري الشخصية.

ودليلي العلمي على نقص الفهم لدى نيوتن هو شذوذ كوكب عطارد في الحركة، حيث فشلت فيه فيزياء نيوتن أن إعرابه وتوضيحه، وفُسّر لأول مرة على يد عالم الفيزياء الألماني (ألبرت آينشتاين) في النسبيّة العامّة، وهذا ما أسميه -تطوّرالعلم- وليس قصور في قوانين الله سبحانهُ يا إسحاق نيوتن!!

الطبيب والعالم المسلم (إبن سينا) المتؤثر بأرسطو، قال كما قال أرسطو: "أن الله تعالى مشغول بالتفكر بذاته"، أرسطو كان يعتقد أن أعظم شيء يقوم به الإنسان الفاضل والكامل هو الفكر، والفكر أعظم ما يكون إذا كان في أمور تامّة وشريفة، وأتم الأمور وأشرفها وأكملها هو الذات الإلهية، ولذلك كان يعتقد أن الله تعالى يقتصر تفكيره في ذاته، أما الكون فالله ليس له علاقة به، لأنه خلق قوانينه التي تحْكُمه!

هذا هو التفكير الميكانيكي باختصار، سواء في فلسفة ديمقريطس والتي ردّ فيها كل شيء للمادة، أو إبيقور، أو كارس ماركس، أو فريدريك إنجلز، أو توماس هوبز أو ديفيد هيوم، أو أرسطو الذي كان يعتقد أن علم الله يقتصر على الكليّات وليس على اللجزئيّات، أو في ابن سينا الذي حذا حذوه، وظن أن الله مشغول بنفسه ولم ينتخب ديناً ولم يبعث رسلاً للناس! وغيرهم الكثير الكثير.

في النهاية:

إن الفلسفة المادية من وجهة نظري هي منبت الديالكتيكية والإشتراكية والعلمانية والليبرالية وغيرها من الفلسفات الحديثة، والتي ليس لها سوى هذا الهدف الوحيد، وهو تجريد الإنسان من قيمته العليا وخلع القداسة من أحشائه وردّهِ الى التطور! وأنّ أصلهُ الصّدفة! ومعادلته بالطبيعة! وبنسخ منه في أكوان متوازية! ولكائنات فضائية صنعته! ولمادة أزلية خلقته، وأن كل ما فيه هو المادّة، لا شيء سوى المادّة!!

سأعرض الآن مواطن قصور الفلسفة المادية من وجهة نظري، وهي من خلال هذا الدليل في المجال الطبي:

في المجال الطبي هناك دواء أو عقار زائف يعرف باسم "البلاسيبو Placebo"، يعطى بدلاً من العقار الحقيقي في التجارب الدوائية.

حيث أن الأطباء يقومون بتفريق مرضاهم إلى صفّين عندما يريدون تجربة نجاعة دواء معين، فشطر منهم يُقدّمون له الدواء الحقيقي، والآخر يقدّمون لهم مادة غير دوائية تشبه الدواء الحقيقي ظاهريًا لكنه ليس هو، فطلبوا في إحدى تجاربهم من المرضى تناول "البلاسيبو Placebo"، ولم يخبروا مرضاهم بحقيقة هذه التجربة، سواءً للذين تناولوا الدواء الحقيقي، أو للشق الآخر الذي تنوال الدواء الوهمي.

في نهاية التجربة وجد الأطباء المرضى في القسم الأول الذين تعاطوا الدواء الحقيقي تعافى منهم بنسبة 70%، والقسم الثاني الذين تعاطوا البلاسيبو شفى منهم 30%، وبالتالي فإن نسبة الشفاء فيمن تعاطوا الدواء الحقيقي وبين من تعاطوا الوهم حوالي 40%! وهي نسبة معتبرة إحصائيًا، وبناءً على هذا تم اعتبار الدواء الوهمي "البلاسيبو Placebo" ذا فعالية حقيقية ويمكن وصفه للمرضى.

وهنا سؤال: كيف تم تعافي وشفاء 30% من المرضى الذي تعاطوا الدواء الوهمي "البلاسيبو Placebo"؟ الجواب: هو أن سبب الشفاء هو الوهم والإيحاء! وهو اعتراف من الدوائر الطبية والدوائية أن هناك عوامل معنوية غير مادية تؤثر في الإنسان كي يبرئَ ويتعافى، وكم من مريض اكتئاب شُفي وعوفي بدون دواء من خلال الجلسات المعرفية والسلوكية، بل إنها أصبحت برنامج علاجي "CBT" ليس له علاقة بأي أدوية.

وهذا يعني أن التأثيرات المعنوية لها أثر واقعي، وهي حقيقية وليست مادية ومعترف بها علميّاً وتجريبيّاً، وهذا يُمثل نقداً قاسياً للفلسفة المادية التي لا تعترف ولا تؤمن إلا بالمادة .

يقول المفكر وعالم الاجتماع المصري (عبد الوهاب محمد المسيري) في كتابه "الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان" أن الفلسفة المادية ادّعت في البداية أن المادي هو ما تدركه الحواس، وأن مالا تدركه هو غير مادي وبالتالي غير موجود، ولكن الذرات وجزيئاتها لا تُدرك بالحواس! وبعضها لا كتلة له، كما أن حركة الذرة لا تتبع نمطاً معين، والثقوب السوداء تحطم قوانين علم الطبيعة والأحياء، وتحطم الزمان والمكان، بل إنها تلتهم الضوء "العنصر الثابت في الطبيعة"! ومن ثم أعيد تعريف "المادي" بأنه كل شيء يوجد وجوداً موضوعيّاً لكي يخرجوا من الأزمة! بمعنى أنه الشيء الذي لا يعتمد في وجوده على عقلنا أو وعينا به،

"وبهذا المعنى، فإن الفلسفة المادية لا يمكنها أن تستبعد العناصر الغير المادية إن تجلّت موضوعيّاً في واقعنا"، وهو ما يعود بنا الى نقطة البداية.

بل ظهرت مؤخراً نظرية الفوضى "Chaos theory" والتي كانت بمثابة ضربة أخرى في وجه العالم المادي والفلسفة المادية المغلقة على نفسها.

والضربة القاضية للفلسفة المادية وأعلامها بالنسبة لي هي أن "إنسان الإنسان" قد تخطّى في تركيبه المُعقد والعبقري والغائي "الحيوان وإنسان الطبيعة"، والسبب هي تلك النفخة الربانية التي جعلته يتجاوز كل قوانين المادة والحركة التي تسري على الحيوان وعلى إنسان الطبيعة وإنسان المادة.

الجانب الآخر للطبيعة البشرية

هناك الجانب التركيبي في الإنسان، أولا: "الطبيعية"، وهي المادية والعضوية، والتي يتشارك بها الإنسان مع الحيوان، كحاجته للشراب والطعام والتناسل، والتي يخضع بها الى قوانين المادة والطبيعة، وثانياً: "الغير طبيعية"، وهي المعنوية والثقافية والعلمية والإجتماعية والجمالية والدينية، والتي تختص بالإنسان فقط.

عندما ينسلخ الإنسان من تركيبته الإنسانيه ويقتصر على الطبيعة والمادة، فإنه يرتد إلى حيوان، فيصبح "حيوان"، لكن عندما يُشعل الجانب الغير طبيعي فيه فإنه يتجاوز الطبيعة والمادة، ويصبح "إنسان"، لذلك سُمي الإنسان "بالحيوان الميتافيزيقي" مع تحفظي على لفظة "حيوان" فالحيوان هو الحيوان، والإنسان هو الإنسان.

لذلك في عهد الإنسان وخلافته ظهر الفكر والعقل والمسميات والحرية والابداع والتطور والمجتمعات واللغات والعلم والفلسفة والدين والأخلاق، والتي ارتقى بها عن طور الحيوان وعن سلّم الطبيعة الرتيبة.

لذلك لا تستطيع اختزال الانسان في الطبيعة وفي المادة أو في وظيفة بيولوجية، لأنه سيصبح حمارا يشق الطريق، أو كقطة تأكل صغيرها، بل هو أعلى منها، ويثقبها عندما يبحث ويسأل في الغيب وعن ما وراء الطبيعة، ولهذا السبب تحديداً هو سيّد الكون.

في النهاية:

إنني أعتقد أن كارثة الفلسفة المادية أنها تسعى إلى إنكار الجزء الأهم من الهوية الإنسانية، وعليه فإن مسؤولية الخليفة من قرار أو حرية سينتصر فيها جسد الإنسان على معناه! ولكن الإنسان بنفسه أثبت هرطقة الفلسفة المادية عندما استطاع بالعقل الإنساني تجاوز الرصد المادي لكل شيء نحو طرح ميتافيزيقي نبيل، وليس هذا فحسب، بل تخطّاهُ ليؤمن بالغيب الذي لم ولن يتمكن من رصده في هذا العالم المادي!

الغرب المادي والطبيعاني من أدباء ومفكرين وعلماء وفلاسفة يطرحون منذ القدم موت الإله على يد العقلانية المادية! ولكن لا زال العقل الإنساني المادي يبحث ويفتش ويسأل عن عالم غير مادي أعلى من عالمنا المادي، وعن أفق غير طبيعي يحيط بأفقنا الطبيعي، وعن وعي بجعبته مُطلق العلوم والأسماء واللغات أعلى من وعي الإنسان، وعن روح أسمى من المادة! فلا زال يسأل عن أصل كل شيء، وعن خالق كل شيء، وعن رب كل شيء.

إنه (الله) لا إله إلا هو، والذي ستقف عند سقفه رغما عنك، شئت أم أبيت، لأنه التفسير الوحيد لكل شيء!

عزيزي المُلحد

إنسان الله ليس نتاج حيوان داروين

تخيّلوا معي أنّه وقبل 3 مليار سنة نشأت بالصّدفة لوحة خضراء صغيرة، ومكثت هذه اللّوحة تسكن الأرض لوحدها 2 مليار سنة، ثم بفعل درجة الحرارة العالية والكثافة على اللّوحة تمّ توليد جِسم جديد عليها وهو البيوس"Bios"، ثم نشأت الرامات "Ram"، ثم ظهر كرت الشاشة "Display Card" ثم كرت الصوت " Sound Card"، ثم المداخل "hdmi،vga،usb" ثمّ وحدت المعالجة المركزية "CPU"، ثمّ قامت الطّبيعة بإحداث تفاعلات فيزيائيّة معينة، ممّا أدّى إلى ربط كل هذه الأجزاء والمداخل ببعضها البعض بطريقة مُتّسقة ومتناغمة لتتشكّل لنا في النّهاية اللّوحة الأم "Motherboard"، ثمّ حدث تطوّر نوعي لهذه اللّوحة، حيث تحوّلت بفعل الطّبيعة إلى جهاز حاسوب كامل "Hardware & Software"، هل يعقل هذا؟ هل يُعقل أن أُغلب على عقلي وأن أصدّق هذا الهُراء!؟

هل يُعقل يا تشارلز داروين أن أصدّق أنّه وقبل 3 مليار سنة نشأت بكتيريا لوحدها، ومكثت تتربّع على صحن الأرض 2 مليار سنة، ثمّ نشأت منها كائنات وحيدة الجينوم، ثمّ كائنات بسطية الخلايا كالديدان والإسفنج، ثمّ حدث الإنتواع "Macroevolution" لتنتج أنواع جديدة من القديمة، "فظهرت الأسماك ثم البرمائيّات ثم الثديّات إنتهاءً بظهور ال Pan وال Homo من سلف مشترك!؟ ثم إنحدر الإنسان إلى سبعة أصناف إنتهاءً إلى الإنسان العاقل ال "Homo Sapiens!"؟ ولا يوجد خلق ولا تصميم، الطّبيعة هي التي فعلت هذا في زمانيّة طويلة ممتدّة؟! هل يُعقل أنّ أصدّق هذا السُّخف والخَطل والرّكاكة!؟

لو قلت لأي إنسان على بِساط هذه الأرض بأنّ الرجل الآلي "الروبوت Robot" الذي إخترعه المهندس الأمريكي (جو أنجري برجر) عام 1960م جاء صدفة! هل سيصدّق؟ طبعا لن يصدّق! وسيجيبني: "مستحيل، لابد من وجود يد صنعته!"، فلماذا آمن الإنسان بأن للحاسوب مخترع وهو عالم الرياضيات البريطاني (تشارلز بابيج) ولم يؤمن في المقابل بأن للإنسان صانع وخالق وهو (الله تبارك وتعالى)!؟ ما هذه العجرفة والتكبّر؟!

هل يُعقل يا تشارلز داروين "Charles Robert Darwin" ويا ريتشارد دوكينز" Clinton Richard Dawkin" أن أصدّق أنّ الكون والإنسان هم نَتاج الصّدفة!؟ قال تعالى: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (الأية رقم 7 من سورة السّجدة).

أكبر عالم رياضيات وفيزياء في الكوكب حاليّاً هو العالم البريطاني (السير روجر بنروز) صديق العالم الفيزيائي (ستيفن هوكينغ) وهو أستاذٌ فخري بجامعة أكسفورد، وحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام ٢٠٢٠ عن إسهاماته البارزة في أبحاث الثقوب السوداء وفي الفيزياء الرياضية للنسبية العامة، ألّف كتابه الشهير "عقل السلطان الجديد: العقل والحاسوب وقوانين الفيزياء" والذي تحدث فيه عن آرائه الخاصة في مسائل الوعي والذكاء البشري ومدى قدرة ما يُدعى بالذكاء الصناعي على محاكاة الدماغ البشري.

تحّدث عن بنية الدماغ والمشابك العصبية، وحاول من خلال كتابه إظهار وجهة نظره بأن الدماغ البشري يحوي شيئاً ما غير خوارزمي "أي لا يمكن تمثيله بخوارزمية"، وهذا الجزء الغير الخوارزمي هو المسؤول عن الإلهام والإبداع والأفكار الخلّاقة.

وكان يعتقد حسب رأيه أنه لا يمكن أن يكون الفكر البشري الرياضي نشأ نتيجة فكر عشوائي حيواني عبر التطوّر! "لا يصدّق عالم الرياضيات (روجر بنروز) أن الرياضيات وعِلْمُها ظهر نتيجة تطّور حيواني بواسطة إنتخاب الطبيعي عن طريق الصّدفة! كما قال عالم الطبيعة والأحياء (تشارلز داروين) صاحب النظريّة".

لقد لقيت النظرية تزويراً عظيماً في خط مسيرتها إلى الآن، فعلى صعيد الحفريات تم التزوير في "سمكة سيلاكانث" و أحفورة "إنسان بلتداون" و أحفورة "أركيورابتور"، كما أنه تم التحريف بالنظرية على صعيد العلماء، كعالم الأحياء الألماني "أرنيست هيكل " وعالم الحفريات الأمريكي "جورج سمبسون"، فلماذا يتم اللعب والتغيير في النظرية ان كانت صحيحة؟!

أيضاً، لم تكن بعض العلوم مولودة في زمن داروين، وولادة هذه العلوم أسقطت النظرية في الخطأ والفشل، فلم يكن "علم الوراثه، علم الجينات، علم الأجنّة، علم الفيزياء الحيويّة، علم الكيمياء الحيويّة، علم الاحتمالات في الرّياضيّات موجودة في تلك الحقبة؟!"، وهذا ما أدى إلى وقوع النظرية في مأزق عظيم.

في النّهاية:

أنا أقول أنّه لا يمكن أن يكون العقل الرياضي والفيزيائي نَتَاج تطوّر حيواني!؟ ودليلي هو أنّني أبلغ من العمر الآن "أربعون"، ولم أشاهد إلى هذه اللحظة ولو بالخطأ حيواناً واحداً يكتب معادلة رياضيّة أو فيزيائيّة واحدة أو حرفاً فيها حتى!؟

لقد قمت بالرّد على تشارلز داروين وعبيده من أنصار التطور بجملة أسئلة وهي: "إذا كان الإنسان نتاج صُدف وطفرات عشوائيّة وتطور من الأدنى إلى الأعلى، فلماذا إذن لم يتحول الإنسان إلى سوبر مان؟ أو إلى ملك لا يشيخ ولا ينحني؟ وإذا كانت العملية تحتاج الى ملايين الأعوام كي يصبح الإنسان كائن أرقى منه، فلماذا لا يحافظ على الأقل على حوض جيني مثالي خالي من أي فجوات ونقص؟ وإذا كان البقاء للأفضل والأصلح كما تقول النظرية، فهذا يعني إنتقال الحوض الجيني بأفضل حالاته للجيل القادم، فلماذا لا يزال الإنسان يُنهك وتفتك به الأمراض؟ وفي حالة حدوث الزواج بين أنثى وذكر يمتلكان حوض جيني سليم، لماذا يخرج لنا طفل مُعاق من بنات إنسان سليم؟".

إنّ الفهم البدائي للعلم في عصر داروين يفترض بنيه بسيطه جدّا للحياة، وفي الواقع هذا نتيجة لنظريّة تسمّى "التّوليد العفوي"، فأصبح النّاس يعتقدون بأن الكائنات الحيّة يمكن أن تنشأ من مادّة غير حيّة!

لو جئنا ببرميل، ووضعنا فيه كل المواد التّي نحتاجها لخلق أي كائن، وتركناه فتره زمنيّة طويلة، هل يعقل أن يخرج من هذا البرميل إنسان؟ قرد؟ نبات؟ طير؟ صرصور؟ نمله؟ أو حتى بكتيريا حيّة؟ مستحيل! كل هذا يدل على أن هناك خالق وليس تطور عشوائي مُشيد على الصدفة! فكفى إستخفافاً وتخلّفاً ولعباً بعقول النّاس.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ (الأية رقم 72 من سورة الحج).

هناك من كبار علماء من أنكروا التطوّر كعالم الرياضيات والبيولوجي (ديفيد بيرلينسكي) والعالم الفرنسي (جورج كوفييه) وعالم البيولوجيا الإسباني (مايكل دنتون) وعالم الرياضيات الأمريكي (وليم ديمبسكي)

الذين إتفقوا جميعا على أنّ هناك تصميم ذكي أو رشيد "Intelligent design" وهناك أدلّه ومميّزات في الكون والكائنات الحية لا يُمكن تفسيرها إلا بوجود مسبّب ذكي، وليس بمسبب غير موجّه كالاصطفاء الطبيعي.

يقول الناشط السياسي والفيلسوف الإسلامي (علي عزت بيغوفيتش) أن عالم الطبيعة السويسري (تشارلز يوجين جاي) قام بحساب احتمالية الخلق بالصدفة لجزيء بروتين واحد، وهذا الأخير معروف أنه يتكون من 4 عناصر مختلفة، لكنه افترض أن جزيء البروتين يتكون من عنصرين اثنين فقط من مجموع 2000 ذرة التي يتكون منها بعد هذا التبسيط، ماذا وجد؟

لقد وجد أن احتمال خلق البروتين بالصدفة تبلغ "2.02×10-231"، فإذا أخذنا هذه النتيجة في الاعتبار في إطار عمر وحجم كوكبنا الأرض، فإن خلق مثل هذا الجزيء يستغرق 10243 بليون سنة تحت ظروف 51014 اهتزازة في الثانية وتبعاً لذلك لا توجد إمكانية أن الحياة قد نشأت بالصدفة خلال 4.5 بليون سنة التي يفترض أنها عمر الأرض!

وقد أعاد هذا الحساب الكيميائي الألماني (مانفرد أيغن) من معهد ماكس بلانك لكيمياء الطبيعة الحيوية في جوتنجن بألمانيا، والحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء عام 1968، فأثبت أن جميع المياه على كوننا ليست كافية كي ننتج بطريقة الصدفة جزيئاً بروتينياً واحداً حتى ولو كان الكون كله مليئاً بمواد كيميائية تتحد بعضها مع بعض بصفة دائمة.

إذا كان عمر الكون لا يكفي لتنظيم بروتين واحد عن طريق الصدفة، فمن غير الحكمة أن نفترض أنها قادرة عن تنظيم الكون! وهذا دليل علمي يدحض المادية ويثقب الإلحاد ويدفن التطور.

هل تعلم بأنه لكي يتكون إنسان لابد أن يجتمع 250 بروتيناً، وأن عمر الكون لا يكفي لخلق بروتين واحد في الانسان عن طريق الصدفة! وإن حصل هذا صدفة يتحصل بعدها لدينا أول خلية حية، وبعدها نحتاج إعادة المحاولة بين فشل ونجاح 37.2 تريليون مرة، لتترتب مرة أخرى بطريقة الصدفة كي يتكون لدينا أول إنسان! إنه المستحيل عينه!! وإن حصل المستحيل جدلاً، نحتاج بعدها لخلق "كوكولبليكس Googolplex" من القوانين والأنظمة والأجهزة والكائنات والمخلوقات لكي يحيا هذا الكائن، منها مركب الماء والهواء وضبط الجاذبية والقوة النووية الضعيفة والقوية، وتحتاج الشمس والقمر إلى آخر الشروط الضرورية لحياة ونمو الكائن الحي.

يصف أزمة المادية زعيمها السابق (أنتوني فلو) والمؤمن بعدها بوجود الذات الإلهية بقوله: "إن مجرد الشروع في التفكير في وضع نظرية طبيعية لتطور أول كائن حي قادر على التكاثر أضحى أمراً في غاية الصعوبة".

هذا الكلام فيما يخص كائناً حياً واحداً، أما الكائن الأكبر وهو "الكون" فهذا موضوع يتطلب ميثولوجيا أكبر من الميثولوجيا التي خلقها الفيزيائي التطوري (ريتشارد دوكنز).

كثير من الماديين يتكلمون عن الميثولوجيا بازدراء حتى يخيل للسامع أنهم محصنون منها، ويغفلون أن نشوءها كان لغرض تفسير الظواهر، والسؤال الذي عليهم الإجابة عنه هل هم حقاً محصنون منها؟ وفي

الحقيقة الحقة هم لا يختلفون كثيراً عن الحضارات الغابرة، فكما أن لليونانيين والرومانيين ميثولوجيا فكذلك للإنسان الحديث ميثولوجيا خاصة به.

إن ميثولوجيا العصر الحديث هي الصدفة، فكما اخترع الإغريق "أبوللو" إله الفنون، و"أثينا" إلهة الحكمة، و"أفروديت" إلهة الحب والجمال، وكما اخترع الرومان "فولكان" إله البراكين والحرائق، و"مارس" إله الحرب، و"ديانا" إلهة القمر، اخترعت المادية إله "الصدفة" الذي لا يصمد أمام التحقيق الفلسفي، والذي لا يتطلب منا الكثير من العناء حتى نقوم بنحر هذا الإله الزائف.

والحق أقول لكم: الصدفة ليست نظرية فلسفية، بل هي ليست نظرية حتى! إنها بكل بساطة الهطل والهبل بعينه، فلو سألت ابنك: من الذي فتح باب المنزل؟ فأجاب: الصدفة! هل هذا جواب منطقي؟ طبعاً لا، وسأشعر حينها أن ابني يستخف بعقلي!

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً" (الآية 73 من سورة الحج).

الكون محدود يا إيفرت

الفيزيائي النمساوي (إروين شرودنغر) والمعروف بإسهاماته في ميكانيكا الكم، وخصوصاً معادلة "شرودنغر" والتي حاز عبرها على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1933م، قدّم تجربة ذهنيّة مشهورة بعنوان "قطّة شرودينجر Erwin Schrödinger cat"، ليشرح من خلاله تصوراً مختلفاً عن تفسير كوبنهاغن في ميكانيكا الكم وتطبيقاتها اليومية.

في هذه التّجربة الذهنية تخيّل شرودنغر أنّه حبس قطّة داخل صندوق مغلق مزود بغطاء، ووضع معها عداد "غايغر" وكمية ضئيلة من مادة مشعة بحيث يكون احتمال تحلل ذرة واحدة خلال ساعة ممكنا، فإذا تحللت الذرة فإن عداد غايغر سوف يطرق مطرقة تكسر بدورها زجاجة تحتوي حامض الهدروسيانيك الذي يسيل ويقتل القطة فوراً.

في الوقت ذاته يقف المشاهد الذي ينتابه الفضول أمام الصندوق المغلق ويريد أن يعلم هل القطة حية أم ميتة؟ مع الاخذ بالإعتبار أنه "من وجهة نظر ميكانيكا الكم، توجد القطة بعد مرور الساعة في حالة مركبة من الحياة والموت، وعندما يفتح المشاهد الصندوق يرى القطة إما ميتة أو حية، وهذا ما نتوقعه في حياتنا اليومية، ولا نعرف حالة تراكب بين الحياة والموت".

ونحن في هذه التجربة أمام إحتمالين، الأول هو "إما لا يحدث شيء في الصّندوق وبذلك القطّه ستعيش"، والثاني هو "أن هذه المواد المشعّة ستنتشر في الصّندوق المغلق، فيكشفها الجهاز، ثم يضرب الشاكوش زجاجة الغاز المميت، فينتشر في الصّندوق لتستنشقه القطة، ثم تموت".

إحتماليّة أن تعيش القطّة هي 50%، واحتماليّة أن تموت هي 50% أيضاً، وهكذا نحن البشر في الأكوان المتوازية، فقد يكون فلان من الناس في هذا الكون طبيب ولا زال على قيد الحياة، وفي كون آخر مات طفلاً بسبب فيروس معين، هذه هي الفكرة من التجربة باختصار.

العالم الفيزيائي الأمريكي (هيو إيفرت) كان يحضّر لرسالة الدكتوراة عام 1954م، وأثناء إعداده لها إعترضهُ سؤال صعب في ميكانيكا الكم ويريد أن يجيب عليه، وخرج منه بإجابة وهي فكرة "الأكوان المتعدّدة"، حيث قال بما معناه: "يوجد أكوان تشبه كوننا، وأن هذه الأكوان متوازية ومتفرّعة من كوننا ولها علاقة بنا، وكوننا أيضاً متفرّع من أكوان أخرى متوازية، ويوجد فيها أشكال حياة لكن بنهايات مختلفة".

ولتقريب هذه الفكرة والنظرية، سأضرب مثلا بالدّيناصورات، ففي كوننا الديناصورات إنقرضت منذ أكثر من 66 مليون سنة، لكن في كون موازي آخر ما تزال على قيد الحياة، وقد تكيّفت مع الظّروف هناك مما جعلها نابضة بالحياة، ويمكن أن يكون الإنسان في كون آخر قد انقرض حسب هذه النظرية!

نظريّة الأكوان المتعدّدة "Parallel Universe" للعالم الفيزيائي (هيو إيفرت) تعتمد وترتكز على أربعة مستويات، الأول هو مناطق وراء أفقنا الكوني، فالكون يتمدد إلى مالانهاية، وبنيته لها نفس الصفة، خارج هذه الكرة التي هي كوننا أو الحدود المشكلة له، توجد كرات لأكوان أخرى لانهائية أيضاً في حدودها وعددها، وخصائصه تنطبق عليه نفس القوانين الفيزيائية، لكن مع اختلاف في الظروف الأولية، ويفترض هذا المستوى فضاء غير محدود، تتوزع فيه المادة الكونية ايرجوديكياً "Ergodic"، وقياسات الموجات المايكروية فيه تشير إلى تسطح، وفضاء لا متناهي، ونعومة واسعة النطاق "النموذج الأبسط".

أمّا المستوى الثّاني فهو نظريّة الأوتار "String Theory" للعالم الفيزيائي الأمريكي (ميتشيو كاكو) المختص بمجال الفيزياء النظرية، والمتخصص في نظرية الحقل الوتري، والتي نشأت في أوّل الثّمانينات، وتقول بأن أصغر وحدة بناء لكل المواد على مستوى الكم ليس "الكوارك"، بل هي أصغر بكثير من مستوى البروتونات والنيوترونات والإلكترونات، وهي خيوط من الطّاقة صغيرة جدّاً، تُسمّى "أوتار"، وحسب شكل هذه الأوتار واهتزازها وتذبذبها يتحدّد معها نوع وسلوك المادّة " تماماً كوتر الجيتار، والذي يعطي نغمات مختلفة حسب طريقة اهتزازه"، وعند اهتزازه يتكوّن الكوارك والبروتونات والنيوترونات والالكترونات والخليّة إلى آخره، وقال العلماء أن الذي يؤثّر على شكل الأوتار هو بُعد الزّمن للعالم الفيزيائي صاحب النسبيّة (آينشتاين) يعني أن هناك عوالم أخرى لا نستطيع أن نراها، والسّبب أنّنا نعيش في عالم له ثلاثة أبعاد، والعلماء افترضوا وجود ستّة أبعاد أخرى لكي نرى هذه العوالم والأكوان المتعدّدة.

أمّا المستوى الثّالث فهو كون على شكل فقاعات "Bubble Universes" للعالم الفيزيائي الأمريكي (براين راندولف غرين) المتخصص في الفيزياء النظرية، والكون في هذا المستوى عبارة عن فقاعة كروية متواجدة في كون أكبر يحتوي على عدد من الأكوان الأخرى أو "الفقاعات" الأخرى، وخصائصه نفس المعادلات الأساسية للفيزياء، ولكن ربما بثوابت وعناصر وأبعاد مختلفة، ويفترض العلماء حدوث التضخم الفوضوي في هذا المستوى، ونظرية التضخم هذه تفسر الفضاء المستوي، وتكون التذبذبات فيها ثابتة المقدار، وتحل مشكلة الأفق ومشاكل القطب الواحد، ويمكن أن تفسر طبيعياً مثل هذه الفقاقيع، وتفسر الثوابت المضبوطة أيضاً.

أمّا المستوى الرّابع فهو عوالم متعددة في فيزياء الكم "Parallel Universal"، فحسب نظرية العالم الفيزيائي الأمريكي (هيو إيفرت) فإن وقوع أي حدث عشوائي معناه أن هناك إحتمال من ضمن عدة إحتمالات أخرى قد وقع، مما يؤدي بنا إلى القول أن الإحتمالات الأخرى قد تكون وقعت في أكوان موازية لكوننا، أي أن هناك كون لكل إحتمال من الإحتمالات المتوقعة، وخصائصه شبيهة بخصائص المستوى الثاني، ويفترض فيه وحدوية الفيزياء، ودعم تجريبي للفيزياء الوحدوية، وهو النموذج الأبسط رياضياً.

هذه قصّة هذه الأكوان وهذه النظرية باختصار.

في النهاية:

عالم الفيزياء البريطاني الشهير (بول دافيس) ألّف كتاب بعنوان "عقل الإله The Mind of God"، يتحدّث فيه عن أكوان متعدّدة، ولكن بإله مصمّم وخالق لهذه الأكوان، ثم بعد أن صمّمها إصطفى منها الكون الذي نعيش فيه، وليس كما قال "إيفرت" صاحب النظريّة، والذي قال بتعدّد أكوان لانهائية أبدية ينفي من خلالها فكرة وجود مصمّم وخالق لها!

دافيس قال في إحدى كتاباته أنّه إذا خُيّر بين نظريّة الأكوان المتعدّدة، وبين أنّ هناك خالق ومصمّم، فإنّه سيختار الثانية "الإله المصمّم"، والسبب في رأيه أن الأكوان المتعدّدة فرضيّة عظيمة جدّا تحتوي تحت طيّها تعقيدات وإشكاليّات كبيرة لتفسير نشأة الحياة متمثّلة بأعلى وعيها وهو الإنسان، بينما فكرة أنّ هناك خالق ومصمّم أبسط وأسهل وتفسّر كل شيء.

إني أقول أنه وبعد تقدّم الكون واكتشافات العلماء والنّظريّات والحقائق العلميّة، كالجاذبية والانفجار العظيم وسرعة الضوء والبروتون والخليه وغيرها، أن العلماء أقرّوا بأن هذا الكون وما فيه مضبوط بطريقة

محكمة وبقوانين دقيقة جداً، بحيث لا يوجد خطأ أو خلل ولو بنسبة واحد على المليار في نظام الكون، ولو حدث أي خلل حقير لانهار الكون وما فيه، ولانعدمت جميع مظاهر الحياه! وهذا يدل على أن هذا الكون مُصمم ومضبوط بدقه محكمة وعالية جداً، ولا يمكن أن يكون ورائه أكوان متعدّدة لانهائيّة، وإنما هناك خالق عظيم أعدّها وكتب نهايتها في يوم من الأيام.

إن هذا الكون في نظري مُعد لقدوم الإنسان "الخليفة على هذا الكون" وصاحب أعلى وعي وعلم فيه، والذي يروي الآن كل هذه الحكايات والإكتشافات والإختراعات والنظريّات والحقائق العلمية، والآن سأقوم بهدم كل ما تم ذكره آنفاً:

سأبدأ بتجربة شرودنغر للفيزيائي النمساوي (إروين شرودنغر) والتي شرحناها سابقاً، ليس لها أي وزن بين العلماء والمفكّرين الحقيقيّين، لأن هناك احتمالات وجود أكوان عديدة جدا على مستوى الشخص والرد الواحد! وهنا سؤالي: كيف ومتى تكوّنت هذه الأكون كلّها على مستوى الشّخص الواحد؟ أم أنّها موجودة أزليّاً! وهنا سقطت هذه التجربة الذهنيّة في مشكلة كبيرة، حيث أنّه أثبت علميّاً أنّ هناك إنفجار قد حدث، فقد صكّ العالم الفيزيائي الروسي (جورج جاموف) نظرية "الإنفجار العظيم Big Bang Theory"، وهذا يعني أنّ للكون بداية! وهذا ما أسقط هذه الأكوان ألّلانهائيّة في إشكال كبير، فجائت نظرية الأوتار"StringTheory" للعالم (ميتشيو كاكو) لكي تُقوّمها، وأصبحت أحد الأقدام التي تقف عليها نظريّة الأكوان المتعدّدة لكي لا تسقط!

أما عن نظرية الأوتار"StringTheory" للعالم (ميتشيو كاكو) فيستحيل أن نرى هذه العوالم أبداً على أنغام هذه الأوتار طوال حياة الإنسان! ولهذا الدّاع فإنّ النّظريّة عادت للوهن وأصبحت ضعيفة مرّة أخرى، فجائت نظريّة الكون على شكل فقاعات "Bubble Universes" للعالم (براين راندولف غرين) لكي تنقذها مرّة أخرى، وأصبحت أحد الأذرع التي تستند عليها نظريّة الأكوان المتعدّدة لكي لا تضيع!

أما عن نظرية الكون على شكل فقاعات "Bubble Universes" للعالم (براين راندولف غرين) فسأثبت الفجوة فيها بمثال: لو افترضنا وجود حفرة في صحراء، وجائت طائرة وقذفت كرة تنس في هذه الصّحراء التي توجد فيها الحفرة، ما هي إحتمالات سقوط كرة التنس في الحفرة؟ صفر! بينما لو رمت الطّائرة ملايير من كرات التنس في الصّحراء التي توجد فيها الحفرة، ما هي احتمالات سقوط كرة منها في الحفرة؟ احتمال كبير جدّاً أن تسقط واحدة من ملايير الكرات هذه في هذه الحفرة، ولو افترضنا وجود ماء صدفة في هذه الحفرة التي سقطت فيها هذه الكرة، فان الفطريّات ستنموا على هذه الكرة، والتي هي بمثابة عالم وكون هذه الفطريات، حيث أن وجود الماء وتوفّر المناخ المناسب صدفة ساهم في ظهور هذه الفطريّات ونموّها! هذه الفطريات ستظن أنّ الكرة "العالم الذي تعيش عليه" هو الوحيد المتواجد في الكون، فكيف لو ظهرت هذه الفطريات وخرجت من الحفرة، فإنّها ستصعق لوجود ملايير الكرات "العوالم" من حولها! ما قصدّتهُ من هذا المثال هو توضيح فكرة صاحب النظرية (براين راندولف غرين) حيث اعتبرت على رأيه أن "الفطريّات" هي الانسان، وأن "الكرة" هي كوننا!

الآن سؤالي: من أين جائت الطّائرة؟ وكيف لطائرة أن تقود نفسها بنفسها؟ ومن الذي أرسل الطّائرة لكي تسقط هذه الكرات "الأكوان"؟ ومن الذي حمّل هذه الطّائرات بالكرات "الأكوان" من الأساس؟ ولماذا هذه الصّحراء بالذات؟ ومن أين جاء الماء؟ ومن الذي حفر الحفرة؟ وكيف تنفست الفطريّات لوحدها؟ ومن الذي منحها الحياة في صحراء لا توجد فيها حياة؟ وبهذه الأسئلة فإنّ النّظريّة عادت للوهن وأصبحت ضعيفة مرّة

ثالثة، وما زال العلماء من وجهة نظري يرتطمون بالسّؤال الأوّل، من هو المسبّب الأوّل؟ من الذي خلق الأشياء ووهبها الحياة؟ وسواء إعترفتم أم أنكرتم، رضيتم أم سخطتم، شئتم أم أبيتم، إنه الله سبحانه وتعالى الخالق والمسبب الأول للشيء ولكل شيء.

ما هي الدرجة التي تطوّر منها الله يا جيمس

كنت قد إنتهيت من كتابي الأول "العزف على أوتار الروح: الجزء الأول- دراما الإنسان"، وكان كتابي بفضل الله قد جاب أنحاء فلسطين بأكملها، حتى وقع بين يدي إحدى المؤسسات الفلسطينية التي يقودها مسملون، ولكنهم منسلخون ومتحرّرون من الإسلام، كانت هذه المؤسسة تستقبل المسحي واليهودي والمُلحد والشاذ جنسيّاً وكل مُعاق فكريّاً باستثناء أي مؤلف إسلامي تكون وجهته نحو الله وكتابه ورسوله، وتحديداً يرفضون إستقبال أي شخص يحمل فكراً يدعوا به إلى الإسلام المعرفي والفكري.

عندما اضطلعت هذه المؤسسة على كتابي وأفكاري، قامت بدعوتي للإستماع لأحد المفكرين المسيحيين المشهورين لدينا في الساحة الثقافية الفلسطينية، وهو كاتب ومؤلف وقس ومفكر معروف حتى على المستوى العربي، ولديه أكثر من عشرون مؤلفاً، وكان يرسله الرئيس الفلسطيني شخصيّاً في بعثات ثقافية لنشر الّلاهوت المسيحي حول العالم.

لبّيت الدعوة، وعندما وصلت إلى القاعة كانت تعُمّ بالكتاب والأدباء والروائيين والمثقفين والمسؤولين في السلك السياسي، جلست على إحدى المقاعد بانتظار هذا البروفيسور كبير الشأن، فهلّ أخيرا وجلس على المنصّة، وكان يجلس بجانبه مُقدمهُ ومُحاوره وهو إحدى الوزراء الفلسطينيّين.

بدأ محاضرته بعنوان "الّلاهوت في الفكر المسيحي"، وذهب بتفصيل اللاهوت المسيحي لقرابة الساعتين، فشرح كيف ربط الله تعالى السماء بالأرض من خلال المسيح (عيسى عليه السلام) وكيف تطوّر الله وفكرة الّلاهوت المسيحيّة عبر الزمن.

كنت أثناء المُحاضرة أدوّن ملاحظاتي، حتى ختم البروفيسور المحاضرة، وعندما فرغ منها فتحت المُنسقة باب السؤال للحضور والمدعوّين.

استقبلت المُنسقة أول شخصين، كان يبدوا عليهم من لباسهم ونظراتهم أنهم أصحاب منصب رفيع في الحكومة، وبالفعل كان ظنّي في مكانه، فقد كانوا من كبار المسؤولين في السلطة الوطنية الفلسطينية، ولكنهم لم يستفسروا من هذا المفكر والأستاذ الأكاديمي أي شيء، ولم يكن لحديثهم أي معنى أو حتى أي حرف أستفيد منه، بل كان كل ما قالوه هو مديحه، والإثناء عليه، وعلى أن الرئيس يحبه جدّاً.

استقبلت المنسقة الشخص الثالث، وكانت امرأة، والتي بدأت بالإعتزاز بمسيحيتها بشكل مبالغ فيه، ثم ختمت قولها لجميع الحضور بأن فلسطين هي للمسيحيّين فقط.

سادة القاعة حالة من التوتر لاستنشاق رائحة العنصرية من قِبل هذه المرأة المسيحيّة، فما كان من المُنسقة إلا أنها استقبلت سريعاً الشخص الرابع وأعطته الميكروفون للحديث، كي لا تؤول الأمور الى ساحة حرب.

تحدث الشخص الرابع في محور واحد، وهو أن سبب ضياع الأمة هم المفكرين والمجددين المسيحيين والإسلاميين، فكان يرى كونه مسلماً أن الإصلاحيين من المفكرين الاسلاميين الجدد لم يخدموا الإسلام، وإنما ضيعوا الشباب المسلم وتوّهوه، وجعلوه يُقدم العقل على النقل مما أدى إلى إيقاظ الشك في القرآن عبر إنكارهم للبخاري وما جاء فيه.

ثم تطرّق إلى المسيحيّين منهم "وكان يقصد بالتحديد هذا المفكر المسيحي"، وقال أن المجددين من المسيحيين للمسيحيّة ليسوا ببعيدين عما يحدث من إضطراب لدى المسلمين، وأشار إلى حديث البروفيسور مُنتقداً إياه كيف دمر المسيحية عندما ربطها في الجغرافيا.

وهنا جاء دوري، فطلبت المُداخلة لأضع الأمور على نصابها.

بدأت حديثي بعد التوكل على الله موجها خطابي للمرأة المسيحية، التي ادعت أن فلسطين للمسيحيّين وقلت لها:"إن إيماني أنا كمسلم لا يكتمل إلا إذا آمنت بالمسيح عليه السلام نبيّاً ورسولاً، وأن الله تعالى لا يقبل إيماني إن آمنت بمحمد وكفرت بعيسى" عليهم الصلاة والسلام.

ثم أردفت أقول لها: "إن فلسطين هي قبلة رسول الله الأولى ومهد المسيح، وهذا معنى قوله تعالى لنا نحن المسلمين -وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا- فنحن نقبل بالآخر، وليس لنا الحق في الإعتداء على أي إنسان، حتى لو إعتنق حجر الفأر معبداً، أو بمن عبد هذا الفأر أصلاً! فلقد قال سبحانه -أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين- ولقوله جل في علاه: ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعا".

ثم ختمت أقول لها: "إن الأرض هي ملك لله، وفلسطين هي جزء منها والأقدس فيها، ولقد شاء ربي أن يشيد على ساحها قبلة الرسول ومهد المسيح، وأن يجمع على حرفها المسلم بالمسيحي، نحن نرضى بكم ولكم دينكم ولي ديني، ونرضى بفلسطين جامعة على متنها نحن -المسلمين- وأنتم -المسيحيين- وأي إنسان على وجه الأرض، وهذا مالم ألمسه في حديثك!"

ثم التفت إلى هذا القس والمفكر اللاهوتي، وحاورته في مسألتين، الأولى وافقته فيها جزئيّاً، وعارضت فيها الشخص الرابع كليّاً، حيث وافقت هذا المفكر المسيحي بجزئية أن الله تعالى ربط السماء بالأرض، ولكن ليس من خلال المسيح عليه السلام، فسألني: "لماذا تُنكر أن هذا الربط جاء من خلال المسيح؟"، فقلت له: "لأنه لا يوجد في كل المشوار الإنساني سواء على صعيد الدين أو التأريخ شخص صعد إلى السماء ثم عاد إلى الأرض سوى رجل واحد، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، ففي التشريع المسيحي لديكم عيسى صلب على الأرض وانتهى، وفي التشريع اليهودي ادريس صعد ولم يعد، أما في الإسلام فقد أخبرنا الله تعالى بذلك، فعندما أسري به -ص- من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى -هنا كانت الجغرافيا- وعندما أعرج به إلى السماء ليلقى ربّهُ -هنا كانت العقيدة- ثم عاد لنا بأركان هذا الإسلام، إذن، لقد ربط الله السماء بالأرض والعقيدة بالجغرافيا من خلال سيد البشر محمد عليه الصلاة والسلام، وأن تُصدق أو لا هذه مسألة أخرى، لكن التاريخ كتب ذلك".

وهنا انتهيت من حواري معه في الشق الأول من المحاضرة، ثم انتقلت الى الشق الثاني منها بسؤال وجهته له في حقل الميتافيزيقا "Metaphysics"، فرد علي: "لا أعلم شيئاً عن الميتافيزيقا"، فاندهشت كيف لقس بدرجة الأستذة في تخصص "اللّاهوت" لا يعلم شيئا عن ما وراء الطبيعة!؟ فقلت له: "سأناقشك في حقل الثيولوجي "Theology"، ولكني قبل أن أوغل في المسألة عليك أن تعلم أن الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي (ويليام جيمس) كان يؤمن أن الله وفكرة الإله تطوّرت عبر الركب الإنساني"، فرد علي: "نعم"، فسألته: "ما هي الدرجة التي بدأ منها الله قبل 13 مليار سنة؟ وهل كان كائناً بسيطاً قبل أن يصبح إلاهاً عظيماً؟!"، ثم قلت له: "وأمّا عن فكرة الإله أنها خضعت للتراكم وللتطور من البساطة إلى الحداثة فقد ناديت هنا بنداء الفيلسوف (سيجموند فرويد) الذي قال أن الله ليس هو من خلق الانسان، وإنما الانسان هو من خلق الله! وأنت بذلك تكون قد اقترفت جرماً عظيماً كقس وكلاهوتي باختزال كنه الله من ماهيّة إلى فكرة!".

كان هو والحضور والمثقفين والمسؤولين والوزير الذي قدّمهُ وناقشهُ وكأن على رؤوسهم الطير، ثم أتممت حواري معهُ بقصّة بسيطة حدثت بيني وبين ابنتي الصغيرة "تالا"، حيث أنني كنت أجلس أنا وزوجتي وتالا على مائدة الإفطار، نتأهب إلى تناول الطعام، وإذا بها ترفع رأسها نحوي وتقول لي: "بابا مين خلقني؟ وكيف جيت هون؟"، أنصت قليلاً، فكيف سأجيب طفلة لم تبلغ المدرسة بعد، ولم تتلقى أي مواد تعليميّة حتى الآن على هذا السؤال! وإن أجبتها هل ستعي ما سأقوله لها! ثم أجبتها: "الله سبحانهُ هو اللّي خلقك، وهوّه اللّي جابك هون"، لم تستفسر تالا عن كنه الله أو لونه أو جنسه، خلاف بني اسرائيل الذين سألوا موسى لون البقرة وشكلها وما هي، وهذا أغرب ما في الموضوع! بل هزت رأسها وابتسمت وقالت لي: "أنا بحب الله"، ثم سألتني: "بقدر أشوف الله؟"، فأجبتها: "لمّا نموت راح انشوفه ان شاء الله".

نظرت بعدها إلى عين البروفيسور مباشرة، وقلت له: "إن سؤال ابنتي تالا لي هو في صلب اللّاهوت، بل إنه أهم سؤال في حقل الإلاهيّات -Theology- ولو كان الأمر صدفة ما كان هذا السؤال متواتر بين أطفال العالم على سواء، من مسلم ومسيحي ويهودي وملحد وحتى الطفل الذي ينشأ في بيئة شاذّة يسأل أسئلة ما ورائيّة! وهذا أعظم برهان على أن فكرة الإله ليست نتاج تطور انساني، وانما مزروعة في جذر النوع الإنساني، والذي زرع هذه الفكرة في تربة أرضنا هو الله تبارك وتعالى بذاته".

في النهاية:

لم يجد ما يقوله لي البروفيسور، ولم يستطع أن يدافع عنهُ مُقدمهُ الوزير، فأنهى الوزير اللقاء فوراً، واتجه بعدها نحوي يعبر لي عن مدى اعجابه بمنطقي وحُجّتي ودلائلي ومعرفتي، ثم دعاني إلى احتساء فنجان قهوة بصحبته في إحدى المقاهي الثقافية لنتحدث بشكل أوسع وأشمل.

أما عن البروفيسور فقد أقر لي -بينهُ وبيني- أني كنت نِدّا قويّا له، ولكنه لم يعترف بحجتي، وأنا أعرف السبب بيني وبين نفسي، والسبب هو أن الإناجيل الأربعة (متى، يوحنا، مرقس، لوكا) هي من صنع هؤلاء الأربعة، كتبت وصيغت على يدي هؤلاء القساوسة الأربعة "متى، يوحنا، مرقس، لوقا"، ومادام أنها إنتاج بشري هذا يعني أن هناك إختلاف وتباين في مفهوم الإله من عصر إلى آخر ومن شخص إلى آخر، وهذا معنى أن -الله المسيحي- وفكرة الإله لديهم خضعت للتطور عبر الزمن، فإذا إعترف وأقر ببياني هذا يعني أنه هدم اللّاهوت المسيحي بيده، ونسف تاريخه بأكمله على يده.

أمّا عن هذه المؤسسة الثقافية والقائمين عليها فقد قاموا ببتر المقطع الذي حاورت فيه هذا البروفيسور، وتم منعي من حضور أي فعاليات يقيمونها، واستبعادي كليّاً من أي نداء ثقافي يخص المؤسسة، وحظروا اشهار كتبي ومؤلفاتي.

من وهم الإله إلى وهم دوكنز

مُعظم المؤسّسات الثقافيّة "الأدبية، الفكريّة، العلميّة" تبدي إعجابها بالتيّار الإلحادي وتتبنّاه، فصرّحت هذه المؤسّسات عن افتتانها وانبهارها بأحد أعلام الإتّجاه الإلحادي وهو عالم البيولوجي البريطاني التطوّري المعروف عالمياً (ريتشارد دوكنز) هذا المُلحد الشّرس الذي تطرّف في إلحاده وألّف كتابه الشّهير وهم الإلَه "The God Delusion".

يبدأ كتابه بمقدّمة مقتبسة للمؤلف والكاتب والروائي الأمريكي (دوغلاس نويل آدمز) وهي: "ألا يكفي أن نرى الحقيقة جميلة دون أن نضطر للإيمان بأنّ هناك جنيّات أسفلها".

يتألف كتابه من عشرة فصول، الفصل الأول يتحدث فيه عن الدين العميق لغير المؤمنين، "The Deeply Religion Non Believers" ويتطرق فيه عن إله عالم الفيزياء الألماني (آينشتاين) وهو ذاته إله الفيلسوف الهولندي (باروخ سبينوزا) ولكنه يفصله عن إله الأديان، والفصل الثاني يتحدث فيه عن فرضيّة الإله "The God Hypothesis"، وينتقد فيه الديانات التّوحيديّة "Monotheism"، وفي الفصل الثالث يتحدث عن حجج وجود الله "Argument for God's Existence"، وينتقد فيه كل الأدلّة التقليديّة على وجود الله.

أمّا في الفصل الرابع يتحدث عن لماذا كان شبه مؤكّد أنّه لا إله!
"Why Were Almost Certainly is no God"، وينتقد فيه فكرة الله، وكذلك في الفصل الخامس يتحدث عن جذور الدين "The Root of Religion"، وينتقد فيه الدّين أيضاً.

وفي الفصل السادس يتحدث عن جذور الأخلاق: لماذا نحن الله؟
"The Root of Morality: Why Are We God?"، ويناقش فيه جذور الأخلاق، متسائلاً: هل يمكن أن يكون الملحد أخلاقيّاً؟ وفي السابع يتحدث عن الكتاب الجيد وروح العصر الأخلاقية المتغيرة " The Good Book: And the Changing Moral Zeitgeist"، ويتطرق فيه للأخلاق في الدّيانة المسيحيّة ويسأل: هل الصّورة للأخلاق في المسيحيّة صحيحة؟ كما أنه يبحث فيه موضوع الدين من وجهة النّظر المسيحيّة.

وفي الفصل الثامن يتحدث عن ما الخطأ في الدين؟ ولماذا هو عدائيّا؟
" Whats Wrong With Religion? Why be sohostile? " ويهاجم فيه الدين وأنه هو أساس التطرّف والإرهاب، وفي الفصل التاسع يتحدث عن الأطفال يهربون من الإساءة في الدين "Childhood, Abuse And The Escape From Religion"، ويناقش فيه إيمان الأطفال، وأنّه من الخطورة أن تجبر الأطفال على الدّين، وفي الفصل العاشر والأخير يتحدث عن الحاجة الماسّة لفجوة "A Much Needed Gap?" ويختتمه ببنود فكريّة.

من وجهة نظر دوكنز يرى أن الحق هو الإلحاد، وغير ذلك هو عبارة عن سذاجة وهراء وكلام فارغ لا معنى له، فوصف المتديّن في كتاب بأنه غبي وسطحي وضال، وعقل المتديّن مشيّد على أساس لا علاقة له بالعلم، كما أنه يعتقد بأن هناك مخلوقات فضائيّة كانت سبباً في حدوث حضارة في الفضاء لتنشأ الحياة، ثمّ طوّرتها ونثرتها في كوننا!؟ وبالمناسبة تم عمل فيلم سينيمائي ضخم يتحدّث عن هذه الفكرة، ولقد شاهدته،

وهو فيلم "Prometheus" للمخرج الشهير ريدلي سكوت "Ridley Scott" وبطولة الممثل مايكل فاسبندر"Michael Fassbender" والذي أنتج عام 2012، والذي تتمحور أحداثه حول بعثة علمية على متن مركبة فضائية يستقلّها فريق من العلماء إلى الفضاء بحثاً عن أجوبة لثلاثة أسئلة: الأول- من أين جئنا؟ والثاني- ما هو هدف وجودنا؟ والثالث- ماذا سيحدث لنا بعد موتنا؟ ومُولت هذه البعثة العلمية من قبل "بيتر ويلاند" وأبحرت في أعماق الفضاء الخارجي بحثاً عن الخالق، وعن أصل الوجود البشري.

بدأت قصة هذا الفيلم عام 2089، حين اكتشف عالما الآثار"تشارلي هولواي" و "إليزابث شو" خريطة نجميّة ورسوماً جدارية قديمة داخل كهف من آثار الحضارات القديمة "الفرعونية والبابلية والسومريّة وحضارة المايا" والتي استنتجوا منها أن للبشر خالقين يدّعون باسم "المهندسين" يقطنون في أحد الكواكب البعيدة التي تقع في أعماق الكون.

فقام "بيتر ويلاند" ببناء مركبة فضائية استكشافية اسمها "Prometheus" لتتبع ما ورد في الخريطة النجمية للعثور على هذا الكوكب الذي يقيم به الخالق، ومعرفة أسباب خلقه للبشر، وماذا سيحدث لهم بعد الموت.

الفيلم كان يحشد العديد من الأفكار المتعلقة بالأديان، وتعدد الآلهة، والميثولوجيا اليونانية، ونظرية التطور "لتشارلز داروين"، إلا أن الفكرة الأساسية من الفيلم تتعلق بالإلحاد "الفلسفة المادية" والتي لا تجد أي فائدة من الايمان بالرب، بل على العكس، إذ من الممكن أن تكون النتائج من البحث عن الرب "الخالق" سلبية جداً! وهي الفكرة التي تعبر عنها العبارة الأساسية التي تصدّرت البوست الدعائي للفيلم، وهي: "البحث عن مبدئنا قد يؤدي إلى نهايتنا".

بعد رحلتهم الطويلة وسلسلة الأحداث المثيرة والغريبة يلتقي فريق العلماء أخيراً ب "المهندسين" الذين خلقوا البشر، وهم عبارة عن كائنات فضائية غريبة الشكل والهيئة، والذين كانوا في حالة سبات عميق داخل كبسولة، ويتبيّن بأن لقائهم بهم لم يثمر إلا عن خيبة أمل كبيرة وشديدة، فهؤلاء الآلهة "المهندسون" الذي يُفترض أنهم السبب المباشر في خلق البشر وبثهم على كوكب الأرض، لم يعلنوا عن أي سبب واضح للهدف من خلق الإنسان! بل إنهم أظهروا عدواة بدائيّة تجاه البشر تدفعهم الى محاولة إبادتهم من دون نقاش.

إن رسالة الفيلم من وجهة نظري ترسّخ فكرة أن الخالق "الرب" نفسه لم يكن له أي غاية عقلانية ومنطقية من خلقه للبشر، وإنما خلقهم لمجرّد قدرته على ذلك، وهو ما أسميه شخصيّاً ب "الإلحاد" فبغض النظر أن الفيلم عرض أن المهندسين "الخالق، الرب، الإله، الآلهة" كانوا موجودين على كوكب ما، إلا أن وجودهم أو عدمهم في الكون لا ينفع الإنسان بشيء! بمعنى أن الإيمان بوجود الإله أو عدم وجوده لا ينفع الإنسان بشيء، لأنه خلق الإنسان والكون بدون هدف واضح، وعلى البشر أن يكفوا عن البحث عنه وعن دينه، لأن البحث عنه سيجعل حياتهم أكثر سوء!! وهو تعبير واضح بالسخط اتجاه الرب النائم والذي لا يعلم ولا يعنيه ماذا يحدث للبشر الذين خلقهم، بل على العكس فإنه يتعامل معهم بقسوة عندما يسمح للألم والمعاناة والشر بالتعرض لهم دون أن يتدخل!!!

في النهاية:

ريتشارد دوكينز في لقائه مع المقدم الوثائقي "بن ستاين" في برنامجه "المطرودون" اعترف بأن الحياة لا يمكن أن تكون قد أنشئت في الأرض، وإنما قد تكون حضارة أخرى من الفضاء قد بذرتها، يقول ريتشارد

دوكنز: "من المحتمل أنه في وقت سابق في مكان ما في الكون تطورت حضارة في الغالب بواسطة بعض الطرق الداروينية إلى مستوى عالٍ جداً من التقنية، وصمموا شكلاً من أشكال الحياة وربما بذروها في كوكبنا".

وهنا سؤال: "هل هذا علم أم ميثولوجيا؟"، سؤال آخر: "من أكثر رونقاً وتماسكاً والأقرب للمنطق، أسطورة الخلق البابلية أم أسطورة الخلق المادية؟"، طبعاً البابلية.

ريتشارد دوكنز يعترف كما يعترف جميع المؤمنين بأن هناك مصمماً، فيقول في نفس اللقاء: "إذا نظرت في تفاصيل الكيمياء الحيوية وعلم الأحياء الجزيئي فقد تجد توقيع مصمم ما"، أيكون ريتشارد دوكنز يؤمن بالخرافة التي يتهم خصومه بأنهم يؤمنون بها؟!

أنا أعتقد أن عالم سلوك الحيوان والأحيائي التطوري (ريتشارد دوكينز) يؤمن بأن يكون الرب والخالق والمصمم مخلوق فضائي، أو أي شيء آخر، ولكن لا يقبل بأن يكون المصمم هو الله تعالى! وهذا وهم دوكنز وليس وهم الإله، لأنّه بطريقة أو بأخرى اعترف بوجود رب وخالق ومصمّم رغماً عنه، وهو هذا "المخلوق الفضائي!"، ولكنّه لا يريد أن يعترف أنّ الخالق هو الله تبارك وتعالى! وهذا الأمر في غاية الخطورة بالنسبة لي، وهو بحاجة إلى زيارة الطبيب النفسي فوراً، لأنه يعاني من مشكلة نفسيّة مزمنة عميقة واضطراب عقلي خطير! لأنهُ وافق على أن يكون الخالق والمُصمّم صرصور، أو سحليّة، أو كائن فضائي، أو أي شيء إلا الله سبحانه وتعالى!

والآن سأعدم فلسفته بهذه العبارة: "إن لم تعتقد يا دوكنز بوجود إله مُصمّم للكون، فلماذا تحتاج إلى تأليف كتاب كامل تتحدّث فيه عن نفيه!؟

عندما تسير في فراغ هوكينج يا كتوكوت

الملحد الفيزيائي وعالم الفلك الأمريكي (لورانس كراوس Lawrence Krauss) ألّف كتاباً كاملاً عن كون من لاشيء "A Universe from Nothing"، لكن هل فعلا أن هذا الكون الشاسع والهائل جاء من لاشيء؟!

بعضنا قد سمع بأبُ علم الفلك الحديث في القرن العشرين، وهو عالم الفلك الأمريكي (آلن ريكس ساندیغ Allan Sandage) مكتشف "النجم الزائف، أو شبيه النجم" ما يعرف ب "الكويزار"، وهي منطقة غازية ساخنة محيطة بثقب أسود هائل، وهي مصدر راديوي فلكي، كما أنه اشتهر بتوصله إلى أول قيمة دقيقة معقولة لقانون هابل وعمر الكون، الحائز على جائزة "كرافوود Crafood" التي تعادل جائزة "نوبل Nobelprisen" في علم الفلك.

آلن ريكس ساندیغ كان حالهُ ملحداً في إحدى منعطفات حياته، وأظن أنه كان متأثراً بالعالم الفيزيائي الإنجليزي الملحد (ستيفن هوكينج Stephen William Hawking) المتخصص في الفيزياء النظرية وعلم الكون، والذي قام بالإستعاضة عن الخالق عز وجل بقانون الجاذبية! ففي فيزياء هوكينج الجاذبيّة تعمل على إظهار الجسيمات في الفراغ الكمي أو الكوانتي والتي تصوغ ويخرج منها الكون بمرور الزمن.

وهذا ما جعل حامل لواء التطور الجديد الملحد (ريتشارد دوكينز Richard Dawkins) مؤلف الكتاب الشهير "الجين الأناني Selfih Gen" والذي برر فيه فجوة التطور لكي يحيي النظرية من جديد بهذا الجين الأناني، والتي ما زالت فجوة بالنسبة لي، يقول: "لقد طرد دارون الإله من البيولوجيا، ولكن الوضع في الفيزياء بقي أقل وضوحاً، حتى سدّد هوكينج الضربة القاضية الآن".

ولكن آلن ريكس ساندیغ أدهش العالم في جريدة "واشنطن بوست" Washingtonpost: almost a practicing atheist as a boy بمقال بعنوان: "العلم يجد الإله Science Finds God"، تحدث فيه عن اتساع الكون واستحالة تفسيره بغير الخالق عز وجل قائلاً: "إني أجد من غير المحتمل بالكلية أن يأتي هذا النظام من الفوضى، لا بد من وجود مبدأ مُنظم، والإله بالنسبة لي غامض ولكنه يُفسر معجزة الوجود، ولماذا يوجد شيء بدلاً من اللا شيء".

إن فضاء الكون وأعني تحديداً الفراغ "Vacuum" في علم الفلك "Astronomy"، أو الفراغ الكوانتي "الكمي Quantum" بلغة عالم الفلك الكندي (لورانس كراوس Lawrence M. Krauss) المتخصص في الفيزياء النظرية، أو حتى بلغة العالم الإنجليزي ستيفن هوكينج، لا نقول عنه "لاشيء" أو "عدم"، لأنه عبارة عن فراغ تكون فيه الطاقة عند درجة الصفر المطلق "Zero-point energy ZPE"، حيث تحدث فيه تذبذبات للجسيمات داخل وخارج المجال المضطرب.

وقد وصف هذه الحالة أبرز علماء الفيزياء النظرية في العالم "ستيفن هوكينج" في كتابه العلمي "التصميم العظيم The Grand Design" في الفصل الخامس صفحة 178 قائلاً: "الفضاء لا يكون فارغا أبدا، ولكنه سيبقى فى الحالة الأقل من الطاقة والتى تسمى "فراغ"، وهذه الحالة يحدث بها تذبذبات للجسيمات إلى داخل وخارج المجال المضطرب".

إذن، لا يجود "عدم مطلق" أو "لاشيء" في فيزياء الكم أو الفيزياء الحديثة! وعندما يتحدث لورانس كراوس عن "كون من لاشيء" فهذا يعتبر شذوذ علمي ومنطقي! فكيف لكون يبلغ قطره 46 مليار سنة ضوئيّة بما فيه من أشياء وأجرام وأجسام وكائنات معقدة ومنظمة أن تأتي من لاشيء!! إن فكرة "كون من لاشيء" بحد ذاتها هي إستغفال وإستخفاف بالعقل الإنساني، بل إنني أرفض أن تصنّف كفرضيّة أو نظريّة علميّة، لأنها تقضي على نظام العقل من الأساس!!

علماء الفيزياء الذين يؤمنون بالعلم وبالتجريب حاولوا طعن الدين بقلبه والفلسفة بخاصرتها بأكثر من مناسبة، ومنهم هوكينج الذي قال أن الفلسفة قد ماتت، تجده الآن يحاول فلسفة الفيزياء من أجل إثبات أكذوبة هذا الكون الذي خلق نَفسَهُ بِنَفسِهِ!

أما عن كتكوت هوكينج الذي يجهل من الأساس أن هوكينج وضع معادلات تصف الكون ولا تفسّر إنفجارهُ، يجد غايتهُ في كون من لاشيء ومن دون رب خلقهُ وصمّمهُ! يحاول متخبطاً إثبات ظهوره أوعدم ظهوره من العدم أو من غيره، وتارة بزمن أو من غير زمن دون وجود دليل علمي تجريبي يثبت فيه هذه التناقضات، أو أن هذه الجسيمات المتواجدة في فراغ هوكينج هي السبب في إبداع ودقّة وتقنين هذا الكون! ولا يوجد إلى الآن أي برهان علمي حقيقي مُثبت على أن قوة الجاذبيّة أو ما يسميها الملحد الفيزيائي لورانس كراوس ب"الجاذبية الكمية" هي أُم هذا الكون أو أنها سابقة له!

في النهاية:

إنا لله، وإن هذا الكون مُلك له، ولن يكون في ملك الله إلا ما أراد الله، فهؤلاء الملاحدة الذين نَحُّو الله وحاولوا بالعلم إنهاء فكرة أن هناك خالق للكون وما فيه، تجدهم قد إنشغلوا بإلحادهم لضرب أعناق بعضهم، ليثبتوا بالإلحاد أن هناك إله.

فها هو ملحد يرد على ملحد، أستاذ الفلسفة في الفيزياء الملحد (ديفيد ألبرت David Albert) يرد في كتابه "ميكانيكا الكم والخبرة Quantum Mechanics and Experience" على الملحد الفيزيائي (لورانس كراوس) بهذه العبارة: "أنا أرى هنا أن كراوس مخطيء حتما، وأن النقد الديني والفلسفي الموجه له مُحق تماما"، ولكن هناك رد منطقي وعلمي كان شديد وناسف لكراوس، ففي إحدى المحاضرات بعنوان "وجود اللاشيء The Existence of Nothing" ردّ الكاتب الملحد (جيم هولت Jim Holt) على الملحد الفيزيائي (لورانس كراوس) بهذه العبارة: "بداية، أقرّ كراوس بذاته أن -اللاشيء- الذي يصفه هو -شيء- أصلا! وهذا تناقض، وحينما تبدأ بتناقض، فإنه سيكون بمقدورك أن تشتق ما شئت بعد ذلك! إن الفراغ الكوانتي هو -شيء- فيزيائي، له بنية ويطيع القوانين الفيزيائية المعقدة، وهناك الكثير من الأمور التي تحدث فيه".

وبما أننا نتحدث عن يقين علمي، فإني قد وقعت على ما قالته الفيزياء على لسان علمائها أن هذه الجسيمات التي تبزغ في الفراغ الكمي هي تابعة لنفس القوانين الفزيائية الحديثة التي ندرسها ونتعلمها في المدارس والجامعات في وقتنا هذا، وهنا سؤالي: "من أين جاء لورانس كراوس بفرضية أن هذه الجسيمات ظهرت بعِلّة الجاذبيّة وقانونها في زمن كانت فيه عدم، أو في وقت كانت فيه لاشيء؟! وإن كان هذا صحيحاً، أين الدليل التجريبي؟ أين الدليل العلمي التجريبي على أن الجاذبيّة هي السبب في ظهور هذه الجسيمات في زمن كانت فيه عدماً قبل ذلك؟!".

إنني أرى أن كل محاولات هؤلاء الملاحدة الفيزيائيين وغيرهم من العلماء في بث فرضيات ونظريات علمية تفتقر إلى وجود سيقان تمشي عليها، فقط من أجل التهرب من فكرة وجود مُبدع ومُصمم وحكيم وخالق خلق هذا الوجود وكل ما هو موجود، وهو الله تبارك وتعالى.

إنّني أؤمن أنّ الله سبحانهُ هو التفسير الوحيد العلمي والمنطقي والعقلي لوجود الشيء وكل شيء.

ما مشكلتك مع الله يا بيرناند راسيل

ذات مرّة كنت أقرأ لعالم المنطق والرياضيات (بيرناند راسيل) وليس من السّهل أن تُبحر في عقل راسيل، فهو أقوى وأعتد فيلسوف مُلحد في القرن التاسع عشر، وكيف لا وهو أحد مؤسسي الفلسفة التحليلية "Analytic Philosophy" إلى جانب سلفه وأستاذه الذي تأثّر به الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجه) وتلميذه الفيلسوف النّمساوي (لودفيغ فتغنشتاين).

هذه المدرسة الفلسفية تجعل الفلسفة مُنصبّة على اللغة وتحليلاتها، للتخلص مما يشوب التعبيرات اللغوية من لبس أو غموض أو خلط أو زيف.

الفلسفة والمنطق اللغوي تُعتبران العمود الفقري في الفلسفة التحليلية منذ بداياتها، والعديد من التوجّهات الفكريّة نشأت انطلاقاً من التوجه المنطقي اللغوي للفلسفة التحليلية، ومن بين هذه التوجهات الناشئة "الوضعانية المنطقية، التجربانية المنطقية، الذرية المنطقية، فلسفة اللغة العادية".

أمّا الفلسفات التحليلية اللاحقة تتضمن أعمالا مكثفة في الأخلاقيات " الفلسفة السياسية، فلسفة الدين، فلسفة اللغة، فلسفة الذهن"، حتى أنّه برزت أيضا الميتافيزيقيا ضمن فروع الفلسفة التحليلية، وتسمّى "الميتافيزيقيا التّحليليّة".

ألف بيرناند راسيل "مبادئ الرياضيات" بالشراكة مع الرياضياتي والفيزيائي (أي. إن. وايتهيد - ألفريد نورث وايتهيد) في محاولة لشرح الرياضيات بالمنطق، كما أنه حاز على جائزة نوبل للأدب عام 1950م تقديراً لكتاباته المتنوعة والمهمة والتي يدافع فيها عن المُثل الإنسانية وحرية الفكر.

راسيل عاش مُلحداً ومات مُلحداً عن عمر يناهز 98 عاماً بسبب الإنفلونزا، وقبل إنتقاله إلى مثواهُ الأخير ب 5 أعوام أجرت معهُ إحدى المراسلات الصحفيّات مُقابلة وكان وقتها يبلغ من العمر 95 عاما، فسألته: "بعد هذا المُشوار الغني بالإلحاد، ماذا لو مُت ووجدت الله، ماذا ستقول له؟"، فرد عليها بكل هدوء وبرود قائلاً: "سأقول له: سيّدي، لماذا أخفيت وجهك خلف هذا الظّلم العظيم؟"، لقد فُتن الملايين بهذ الإجابة، فمنهم من شك، ومنهم من ضاع، ومنهم من كفر وألحد، وإعتبرت هذه العِبارة الأقوى والدرع المتين لدى كل من الشّيوعيون والعلمانيون والعقلانيّون والمنطقيّون وألّلاأدريون وألّلادينيون والملحدون والماديّون وغيرهم.

على الناحية الأخرى كان الرّد ركيك وبارد من طرف الخطاب الإسلامي لراسيل، "إلا من رحم ربي منهم".

لقد تأثرت فكريّاً على الصعيد الشخصي بكلمات راسيل، وكدت أن أسقط في شباكه، وهذا ما دفعني إلى دراسة الفلسفة ومدارسها واتجاهاتها وطرقها، كما أنني قرأت الفلاسفة وتنقلت في عقولهم العملاقة، وليس هذا فحسب بل إنني إطلعت على حياتهم، ومن جملتهم حياة بيرناند راسيل، لقد كانت رحلتي طويلة، ولكني وصلت أخيراً بفضل الله وقمت بالرد عليه بالعبارة التالية: "يا بيرناند راسيل، لو لم يكن للمعنى ضد للمعنى، لما كان للمعنى معنى".

لماذا رددت عليه بهذه العبارة الفلسفيّة تحديداً، لأن كلمات راسيل كان يتخلّلها الألم والوجع الذي عاصره في زمنه، فكما نعلم جميعا أنه كان ليبيرالي إشتراكي، وداعية سلام، وناشطاً بارزاً في مناهضة الحرب العالميّة الأولى، حيث سُجن في فترتها، وخسر جراء ذلك منصبه كأستاذ في جامعة كامبردج، كما أنه قام بحملات ضد النازي الألماني (أدولف هتلر) في الحرب العالميّة الثانية.

مع العبقريّة التي ميّزته في نظري، إلّا أنّه كان غبي في أن يعتنق الإلحاد كمذهب بسبب الأزمة الوجوديّة التي كان يعاني منها، كان أعمى عن الحقيقة المطلقة والفكرة الأولى "الله تبارك وتعالى".

إلى راسيل وجيشه الأعمى أقول: "كيف سأدرك وأفهم المعنى إن لم أرى نقيضهُ؟ كان يجب أن أرى أضداد المعاني كي أبصر المعاني! وتخيل معي أن العالم كُله يُبصر، ولا يوجد فيهم عُمياناً، ما قيمة البصر حِينها؟ إفترض معي أن كل العالم أقوياء وأصحّاء، ولا يوجد فيهم ضعفاء ومرضى، ما قيمة الصحّة والقوّة وقتها؟ لهذا السبب كان يجب أن نرى الأعمى والبصير كي نشعر بنعمة البصر! كان يجب أن نرى الغني والفقير كي نشعر بنعمة المال! كان يجب أن نرى الصّحيح والمريض كي نشعر بنعمة الصحّة! كان يجب أن نرى الحروب التي صنعها الإنسان كي نفهم المعنى الحقيقي لأحد أهم الأسباب الوجوديّة، وهي أن الإنسان هو أغلى ما نملك!".

المفكر الهندي (وحيد الدين خان) وهو صاحب فكر متميز، حاول فيه الجمع بين المنهج الإسلامي والمنهج العلمي والفلسفي، فكان يحاور الملحدين واللادينيين في العديد من كتبهِ، وفي كتابه الشهير "الإسلام يتحدى: مدخل علمي الى الايمان" وهو كتاب في العقيدة من تأليفه وترجمة (ظفر الإسلام خان) ومراجعة وتقديم (عبد الصبور شاهين) ردّ فيه على شبهات أهل الإلحاد، ومِيزة الكتاب أنه يعالج موضوع الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وكذلك يثبت بعض الأدلة على البعث والقيامة، ويناقش القائلين بصدفة وجود الكون، والقائلين بالتطور بأسلوب فريد، وهو كتاب رائع أنصح الجميع بقرائته.

الجلي في الموضوع، أن هذا المفكر الهندي (وحيد الدين خان) قرّر في يوم من الأيام أن يقرأ كل أعمال (بيرناند راسيل) فذهب الى المكتبة، وأتى بكل أعماله لكي يقرأها ويرد عليها، فنظرت إليه زوجته وقالت له: "أراك ستلحد بعد قرائة بيرناند راسيل!"، ولكنه لم يكترث، فقرأ أعماله كلها، وردّ عليه برد قوي في إحدى عشرة صفحة تقريباً، وخرج بعده أقوى إيماناً ويقيناً.

في النّهاية:

ما مُشكلتك مع الله يا بيرناند راسيل؟ ما مشكلتك مع الله؟ لماذا أعلنت الحرب على ربّ السماوات والأرضين وما فيها؟ كنت دائما أسأل نفسي هذا السّؤال، ما مشكلة المثقفين والمُفكرين والعلماء والفلاسفة الملاحدة مع الله تعالى؟! لماذا يتحرّك عقلهم في كل شيء، وينشل ويتجمّد عندما يصل إلى الله تعالى؟!

فكان جوابي: "لأنّهم لديهم مشكلة نفسيّة مع الله تعالى! لديهم عُقدة نفسيّة وعائق نفسي من فكرة أن يكون هناك إله، ومن فكرة أن يكون هناك مُصمّم وبديع وخالق لهذا العالم، وفي المقابل يؤمنون أن الإنسان هو المُخترع والمُكتشف والمُصمّم"، تناقض عجيب!

واضح جدّا أنكم لديكم إشكاليّة نفسيّة مع الله تعالى، لأن الإقرار به يتطلب الإلتزام والطاعة والإيمان بأن هناك يوم دين سنقف به بين يديه للحساب، لكنكم تكرهون ذلك، لذلك كفرتم به وبلقائه لتفعوا ما يحلوا لكم في هذه الدنيا، ولكنّي أحبّ الله، وأعترف وأؤمن به خالقاً بديعاً ومصمّماً حكيماً لكل شيء، قال تعالى: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (الأية رقم 62 من سورة الزّمر).

هذه هي لعنة الماديّة وصرعتها يا ديمقريطس

الفلسفة الماديّة "Materialism Philosophy" هي مدرسة تعتقد بأن الوجود هو مادي بحت، وفي هذا الإتجاه يكون تفسير كل شيء بالمادة، ولا شيء يتخطّاها، وفي التحليل الأخير لا شيء يتبقى غير المادة.

فلاسفة هذه الصّرعة يؤمنون أن الحياة والحركة لديهم هي مجرّد وظائف للمادّة، وإنعدامها يعني انتهاء كل شيء، فهذه النزعة الماديّة ليس هناك موضع للغيب فيها.

ولادة هذا المذهب كان على يد الفيلسوف الضاحك الاغريقي (ديمقريطس) والذي توفي في القرن الرابع قبل ميلاد المسيح، وفحوى مذهبه هو في "الذرية"، حيث رد كل شيء إلى ذرات مادية، فكل شيء في الوجود بما فيها النفس نفسها مما يظهر ومما يخفى ومما يلمس ولا يلمس مؤلّف من جواهر فَردى غير قابلة بالفعل للانقسام وإن كانت تقبله بالذهن، بمعنى أن الذرة قابلة للانقسام في الذهن، ولكن في الخارج وفي عين الوجود غير قابلة للإنشطار.

فمثلا، النفس الإنسانية مكونة من ذرات، فإذا انفصلت عن بعضها البعض حدث لها ما يسمى "بالانحلال"، هكذا يفسر ديمقريطس الموت، بهذه الطريقة الآلية للوجود "إنحلال الذرات".

الفيسلوف ديمقريطس هو أول فيلسوف ملحد ومادي ووحدوي، والذي فسر الوجود بأنه مكون من دقائق صغيرة جداً، لها أشكال مختلفة دائمة الحركة والنشاط، ولا تقبل بالقِسمة بالفِعل، ولكن تقبل القِسمة بالذهن، وبحركة هذه الذرات وتواليفها وتعالقها تتكون كل الاشياء المختلفة، وبإنحلالها يحدث الفساد.

تصدى له الفلاسفة الثلاثة (سقراط وأرسطو وأفلاطون) ولكن (أرسطو) كان يقول أن الله تعالى مشغول بالتفكر بذاته، وكان يعتقد أن أعظم شيء يقوم به الانسان الفاضل والكامل هو الفكر، والفكر أعظم ما يكون إذا كان في أمور تامّة وشريفة، وأتم الأمور وأشرفها وأكملها هو الذات الإلهية، ولذلك يقتصر تفكير الله سبحانهُ في ذاته، أما الكون فالله ليس له علاقة به، لأنه خلق له قوانينه التي تحْكُمه.

وهذا تفكير ميكانيكي من قِبل أرسطو، والذي تأثر به لاحقاً الفيلسوف (ابن سينا) وتبعه منادياً أن علم الله يقتصر على الكليّات وليس على الجزئيّات، بمعنى أن الله مشغول بنفسه ولم يبعث رسل للناس، وهذا مؤشر خطير ينادي بأنه لا يوجد دين ولا تشريعات، وهذا غباء كبير منهما!

ظل تفسيره يستمد مدداً جديداً ويعظُم مع تطور العلم المادي والطبيعي الى يومنا هذا، ولكن تراجع وتصلّب التفسير المادي للوجود من نفس الفلاسفة الماديين.

ولكنها أحييت من جديد على يد الفيلسوف الملحد (أبيقور) صاحب فلسفة المُتعة، والشّاعر الروماني الملحد (لوكريتيوس) الذين أعادوا بعث التفسير المادي والآلي والميكانيكي للوجود .

المادية بالعصر الحديث لقيت دفعة كبيرة بسبب العلم، حيث وضع العالم الإنجليزي (إسحاق نيوتن) أعظم تصور آلي ميكانيكي للوجود -نيوتن كان يؤمن بالنموذج الميكانيكي، وهو مادي وحتمي وتحديدي بالرياضيات- فكان يقول أن الكون يدير نفسة بقوانين الله، والعلم بالنسبة له يفسر كل شيء، حيث كان يؤمن بقدرة الرياضيات على تبيانها وتوضيحها، وقد ذكر بعض من ذلك في كتابه الشهير "المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية"، والفلسفة الطبيعية بنظره هي "الفيزياء".

كان إسحاق نيوتن ربوبيّا، يؤمن بوجود الله، ويؤمن بعناية الله للكون بشكل متقطع، فبنظره أن الله تعالى خلق الكون ونظّمه بقوانين بثّها وجعلها سارية في تضاعيفه وأنحائه، وهذه القوانين هي التي تتكفّل بضبط كل شيء فيه، ولكن يحدث بين الحين والآخر تراكم الاستثناءات والاخطاء البسيطة والتي يظهر على إثرها شذوذ في الظواهر الكونية الطبيعية والفلكية، فيضطر "الله سبحانهُ" أن يتدخّل لإصلاح هذا الخطأ، وكأن عمل الله غير متقن! وهذا قصور فهم وعلم لدى إسحاق نيوتن.

وكان ردي عليه هو ظاهرة شذوذ كوكب عطارد، فشذوذ كوكب عطارد في الحركة فشلت في تفسيره فيزياء اسحاق نيوتن، وفُسّر لأول مرة على يد العالم الفيزيائي الألماني (ألبرت أينشتاين) في النسبيّة العامّة، وكان هذا بسبب تطوّر العلم وليس قصور في قوانين الله سبحانهُ! لأن قوانين الله لا تُحدث فجوات، وانما عدم بلوغنا لدرجة معينة في العلم هو السبب في هذه الفجوات، ومن هنا جائت نظرية إله الفجوات " God of Gaps"، والتي تنص على أن عمل الله سبحانهُ هو أن يسدّ هذه الفجوات إذا ظهرت!

أمّا في العصر الحديث بعثت الماديّة على يد الكاتب والسياسي (فريدريك إنجلز) وعالم الاجتماع والكاتب والاشتراكي (كارل ماركس) الذي قدم رسالة الدكتوراه الخاصّة به عن "ديموقريطس وأبيقور" لأنهما فيلسوفان ماديان وملحدان، حيث كان يعتقد أن التفكير هو منتوج لمادة شديدة التعقيد والتنظيم، "يقصد مادّة الدماغ".

ومن الماديين الذين يفسرون كل الظواهر الروحية والمعنوية على اساس انها تجليّات لنشاط المادّة هو الفيلسوف والكاتب والطبيب والرياضياتي الفرنسي (بيير جون جورج كبانيس) فكتب يقول: "التفكير مجرّد إفراز للدماغ، فالدماغ يفرز التفكير، كما تفرز الكبد الصفراء"، التفكير بالنسبة له شيء من وظائف المادّة، مع العلم أن الصفراء مادّة، ولكن التفكير ليس مادّة! وهذا تناقض.

وهنا جاء ردي عليه بأن طبيب جراحة الاعصاب الشهير (ويلدر بنفيلد) صاحب الكتاب الشهير "لغز العقل" والذي قضى كل حياته في دراسة الدماغ، كتب قبل موته يقول: "نحن لم نفهم بعد وليس من السهل أن نفهم كيف يبصر الإنسان!"، وقال تعالى: فلا أقسم كيف تبصرون.

إنّ كلام المدارس والعلوم عن عملية الإبصار عبر مادة العين والانعكاسات كلها لا تفسّر حقيقة وجوهر الإبصار، فلقد إعترف ضمنيّاً (ويلدر بنفيلد) بعبارته السابقة بعد إفناء عمره كله في دراسة الدماغ أنه عجز في دراسة هذه الهلامة السوداء، والتي لا يوجد فيها أي ضوء، فكيف يرى الإنسان الألوان من خلالها؟! لذلك قال بنفيلد "أنا لم أفهم ولا أعتقد أن احدا سيفهم ذلك".

في النهاية:

هؤلاء هم أصحاب العقول الماديّة من أدباء وكتاب ومثقفين وسياسيين ومفكرين وعلماء وفلاسفة، والعقل المادي هو عقل محكوم بالمادة، يسير بقوانينها ويحوم داخل حدودها، وينسحب على ذاته، ويتفكك في الطبيعة.

إن العقل المادي في نظري لا يمكنه التعامل مع الواقع الآخر أو مع كافة الظواهر ولا يصل إلى الكليات، ويعدم السؤال في المسائل الكلية والنهائية، كما أنه فقير أخلاقيّاً وإنسانياً وجماليّاً، وعقل رجعي وغير نقدي، ويقوم على تجريد الإنسان من إنسانيته، ويحوله الى حرف أو قانون أو مقولة مادية داخل الطبيعة، ولا يميز بين الإنسان والحيوان، فكلاهما سواء في إطار المادة وداخل الطبيعة!

العلم يصف لنا الأشياء يا هوكينج ولكنه لا يفسرها

إن الحقيقة من خلف الوجه الآخر للعلم هو إنتاج علماء لا يريدون الله تعالى خالقاً وحاكماً على الوجود وما فيه، فتراهم يلصقون النظام والقوانين والدقّة والتوازن والغائيّة والخلق والإعجاز بكل صوره في الوجود والموجود تارة للتطوّر، وتارة للصّدفة، وتارة للمادّة، وتارة لقوانين الطبيعة، وتارة للجاذبيّة، وهم بذلك يعترفون ضمنيّاً أن هناك بداية للأشياء، وأنّ هناك خالقاً وصانعاً لها، لكنهم ينسبون كل شيء إمّا للصدفة أو للقرد أو للصرصور حتى، ولا يقبلون أبداً بالله سبحانهُ وتعالى خالقاً وصانعاً لهذا العالم وما فيه!

لقد وصل علماء الإلحاد والمادة إلى مكان يظنون أنفسهم به أنهم هم أرباب هذا الكون، وأنهم الآلهة الخالقة له ولكل ما فيه، وهم إلى الآن لم يتمكّنوا من خلق بعوضة، ولا حتى جناح هذه البعوضة!

إن هذا ما أسميه الإلحاد باسم العلم، ولا يتوقف الأمر عند بلاط هؤلاء، بل إنّهم يعملون بكل حيلة ووسيلة باسم العلم والنظريّات والتفسير المادّي للإلتفاف والتلاعب بعقول الناس لإنتاج مجتمع وجيل ملحد لا يؤمن بكتاب ولا بدين ولا برب.

ولا أعرف كيف أصف غباء وتفاهة وسذاجة المدرسة والفلسفة الإلحادية بمفكريهم وعلمائهم، إنهم كشخص كان يسير في طريق معين، فوجد فيه جهاز حاسوب "كمبيوتر"، فجلس وبدأ يدرسه ويتفحصه ويجرب به حتى انتهى الى كيفيّة التعامل معهُ، ثم راح يروي لدهماء العالم ما جرى، فأصبح هو العالم فلان الذي اكتشف الجهاز واستطاع أن يعرف كيف يعمل، وتم منحهُ على إثرها الشهادات والجوائز، وعندما سألوه من الذي اخترع وصمّم الجهاز؟ أجاب: إنها الطبيعة! إنها الصّدفة!

علماء الإلحاد التائهين والتافهين يعتقدون أنهم إن توصّلوا إلى وصف الشيء، أو معرفة كيفيّة عمله، فلا داعي لوجود مخترع أو صانع أو خالق له!؟ إنهم مهما حاولوا فلن يتمكنوا من التملص من فكرة الخالق "الله سبحانهُ" لأنها هي التفسير العلمي والعقلي والمعرفي والفكري والفلسفي والديني والمنطقي الوحيد على خلق الكون والإنسان والشيء وما نراه ومالا نراه.

إن الإشكال في نظري والذي يسقط فيه غالبيّة هؤلاء المفكرين والعلماء والفلاسفة هي أنهم لا يعلمون أنه توجد هناك مسافة فلكيّة بين عقل الله وعقل الإنسان! تماماً كتلك الفجوة بين عقل العالم الفيزيائي صاحب النسبية (ألْبِرْت أينْشتاين) وبين أي فيزيائي آخر! ولذلك عليهم إن كانوا يحترمون عقولهم ويوقّرون العلم أن يُسلّموا ويستسلموا إلى العِلّة الوحيدة والتي هي فوق المحسوس وما وراء الطبيعة والغير قابلة للرصد ولا المعرفة ولا التجربة "الله تبارك وتعالى".

إن الباحث وطالب العلم الحقيقي سواء كان تلميذ أو عالم، هو من يشيد فكره على المقدمات والحقول العلمية المنطقية السليمة، ومن أخلص بحثه في الكون من الذرة إلى المجرة، وأمعن نظره في الإنسان من النطفة إلى الضّمة سيقع على نتيجة واحدة صحيحة فقط، وهي وجود مُبدع وعليم وحكيم وخالق واحد أحد، وهو (الله تبارك وتعالى).

ولكنه الكِبر! ورفض الإحتكام لهذا الخالق ولقانونه وتشريعه ودينه، تماما ككبر إبليس الذي يعلم الله حقاً، ولكن غطرفتهُ قادتهُ لرفض الإنصياع لله سبحانه والسجود لآدم.

في النهاية:

بروفيسور الرياضيات (جون ك. لينكس) ردّ على أحد أهم أعمدة الإلحاد الحديث، وهو عالم الفيزياء النظرية الشهير الملحد (ستيفن هوكينج) وقال له: (ولو لم يكن هوكينج مجانباً للفلسفة إلى هذه الدرجة فلربما اطلع على عبارة "فيتنغشتاين wittengstein" بأن "خداع الحداثة" يكمن في الإيحاء بأن قوانين الطبيعة تفسّر "Explain" لنا العالم، في حين أن كل ما تقوم به في الحقيقة هو وصف "Describe" الانتظامات البنيوية فقط).

بينما الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء العالم الفيزيائي الأمريكي (ريتشارد فاينمان Richard Feynman) يتحدث عن وعي عالٍ يكمن خلف الفيزياء ووراء هذا الكون وما فيه، مستوحياً ذلك من العالم الفيزيائي صاحب النسبية (ألْبِرْت أينْشتاين) فكتب يقول: (إن مجرد وجود القواعد التي يمكن اختبارها هو نوع من المعجزات؛ إن إمكانية وجود قاعدة مثل قانون الجاذبية الذي يصف تناسب شدتها عكسا مع مربع المسافة هو نوع من المعجزة ولا يمكن فهمه مطلقاً، ولكنه يقدم إمكانية التنبؤ، وهذا يعني أنه يخبرك بالذي نتوقع حدوثه في تجربة لم نقم بها بعد، وهذا الواقع بالذات "أي أن كل القوانين يمكن صياغتها رياضياً"، ولقد كان هذا مصدر إعجاب دائم لأينْشتاين، لأنها تشير إلى ما وراء الكون الفيزيائي، إلى روح أعلى بكثير من التي لدى الإنسان).

ثم قام بالرّد على عالم الفيزياء الشهير (ستيفن هوكينج) صاحب نظرية "كل شيء Theory of Everything" في كتابه بصفحتين، أذكر منها ما يلي: (خذ على سبيل المثال الإقرار الرئيسي لهوكينج والذي قال فيه: "بسبب وجود قانون كالجاذبية يمكن أن يخلق الكون نفسه من لا شيء وسيفعل ذلك"، فبائن أنه يفترض أن "الجاذبية" أو "قانون الجاذبية" موجودة، وهذا ليس -لاشيء- فالكون لم يُخلق من لاشيء، والأسوأ من ذلك كله هي عبارته هذه "يمكن للكون أن يخلق نفسه من لا شيء، وسيفعل ذلك" لأنها عبارة متناقضة ذاتياً! لأنه إن قلت إن "س" خلق "ع" فهذا التعبير يفترض مسبقاً وجود "س" بداية حتى يسبب جلب "ع" إلى الوجود، فإن قلتُ إن "س" خلق "س" فقد افترضتُ مسبقاً وجود "س" حتى تبرر وجود "س"، والافتراض المسبق بوجود الكون لتبرير وجود الكون عبارة غير متسقة منطقياً! إن هذا الهراء يبقى هراء، وإن تحدث به أشهر العلماء عالمياً، ويبين أن قدراً يسيراً من الفلسفة قد يساعد!).

لم يقع يا هوكينج في هذا الخطأ والهراء السابق ذكره العالم الإنجليزي السير (إسحاق نيوتن) عندما اكتشف قانون الجاذبية، فلم يقل "الآن وقد حصلت على قانون الجاذبية لا أحتاج للإله!" بل إنه قام بتأليف كتابه المبادئ الرياضية "Principia Mathematica" وهو أشهر كتاب في تاريخ العلم، والذي عبر فيه عن أمله في إقناع الإنسان المفكر بالإيمان بالله .

إنني أقول لك يا صاحب الكرسي الشهير، أنه من السخف أن تتخلى عن الإله بسبب أن قانون الجاذبية يُمَكِّن للكون أن يخلق نفسه بنفسه من لاشيء، فلم يتبرأ من قبلك نيوتن مكتشف الجاذبية من الإله لأنه اكتشفها!!

هذا الرجل مشلول يا سارتر

كان الفيلسوف والكاتب والروائي المسرحي الفرنسي (جان بول سارتر) ملحداً، ولا يؤمن بقضاء الله وقدره، فكان يرى أن الرجل المشلول لو دخل في سباق مع رجل طبيعي وخسر السباق فهو المُلام، ولا يوجد له أي مبرر حتى ولو كان مشلول! فكان لا يؤمن بقدر الله وبيده التي خلقت هذا الرجل مشلولاً، فبرأيه أن هذا المشلول يجب أن يأخذ بالأسباب كي يفوز حتى لو كان مشلولاً، واذا خسر فهو المُلام.

وهنا جاء ردّي على سارتر: (يا سارتر، إن لم تكن تؤمن بالله، فإنك أيضاً لا تؤمن بالعلم، لأنك قمت بنسف عقلك عندما خلعت حقل كامل من علم ال "Biology" و "Genetics" المتخصص في دراسة الانسان والعوامل الوراثية، ولم تعترف بأن هناك دور للوراثة وللعِلل الجسمانية والجينية أحياناً في سحق الإنسان، وهنا يأتي دور القفزة الإيمانية، والتي هي في نظري تستدعي صبر الانسان واحتواء نفسه ورضاه بالمكتوب).

سارتر تأثر (بماركس) ثم عاد وهدم ماركس وفلسفتهُ بعبارة واحدة، وهي: " إذا كان (بول فاليري) هو بول فاليري لأنه برجوازي، فلماذا لم يكن كل برجوازي هو بول فاليري؟".

ما لم يُدركهُ سارتر من وجهة نظري هو أنه ليس من المُفترض دائماً أن البنية التحتيّة هي التي تنتج أو تتحكم بالبنية الفوقية، فالفيلسوف والشاعر والناقد الفرنسي الشهير (بول فاليري) هو برجوازي فعلاً، ولماذا يا سارتر لم يصبح كل برجوازي كبول فاليري؟ لأن هناك عوامل ولياقات فردية، وهي قَدَريّة وقسمة إلهية.

في المقابل سارتر يبدأ من لا شيء، ويدعوا الإنسان أن يكون حُرّاً مُنطلقاً من غير قيود، وأن يُجرّب كل شيء! وهذا عبارة عن فوضى في نظري، لأن سارتر يهتم في البداية "بمن أنت؟" وليس "بما أنت؟"، يصب الإهتمام على "من أنت؟"، ثم بعدها تخلق الماهيّة "ما أنت"، وهذا خطأ، لأن عمر الانسان أقصر من أن يجرب كل الخيارات، فضلاً على أن يقضي جُلّها في إصلاح أخطاءه التي نتجت عن إختياراته هذه!

الاديب الإيرلندي (جورج بيرناند شو) كتب في مسرحيته الشهيرة "الانسان والسوبرمان" يقول: "الانسان يحتاج أن يعيش 300 عام على الأقل لكي يتمكن من إجراء إختبار معقول للأفكار والمذاهب والأطروحات"، ولهذا الدّاعِ تحديداً مسّة الحاجة الى النبوّات والرسالات لتقصير الطريق على النوع الإنساني، وهي هداية إلهية للإنسان.

إنني أقول لك يا سارتر أن أعمارنا ما بين ال 60 و 70 عام إلا ما ندر، ولا يوجد لدينا متسع ومجال لإجراء إختبار لكل الأفكار! فالانسان منذ أن يولد وحتى أن يصبح 12 عام يُلقّن كل شيء سواء على صعيد الأسرة أو المدرسة أو الاصدقاء أو المجتمع، وبعد أن يبلغ 15عاماً يبدأ باختيار وانتقاء أفكاره، وهناك من يقضي عُمرهُ مُتلقّياً حتى يصل من العمر 60 عاما، وهذه مصيبة! ولا ننسى ان هناك اختبارات اجتماعية وعاطفية وأخلاقية قد يتعرض لها أي إنسان في صغره، والتي قد تساهم في تدمير ما بقي من عمره كلّه!

وهنا سؤال لسارتر: "هل يستطيع الانسان ان يقتل أبوه أو أمهُ وينتظر ردّة فعل ضميره والشرطة من باب الإختبار؟!"، لذلك أعتقد أن عمر الانسان لا يكفي لإجراء كل الإختبارات، كما أن هناك إختبارات لا يُمكننا أصلاً تجربتها!

في النهاية:

عمر الإنسان محدود، ولا وقت لديه لكي يلعب فيه، أو أن يجرب ويختبر فيه، لذلك يجب أن ينطلق الانسان من البداية كحد أدنى لتصور كوني مُعين، ويكون ذلك من خلال عقيدة ما تُصوّر له هذا العالم، وهنا يأتي دور "الدّين"، فالدين هو أفضل مصدر لتصوّر كوني ولرؤيا وجودية ينطلق منها الانسان، ثم يقوم الانسان عُقبها ببناء تجاربه واختياراته.

وهناك أيضاً فلسفة المعصية، حيث أن الانسان يمكن أن يخطأ، فنجد "الدين" كان له حضور عظيم في هذه المسألة، وليس هذا فحسب، بل إنه وضع حلولاً لمعالجتها، ونادى بأن لا ييأس الانسان من الخطأ والمعصية فباب التوبة مفتوح.

نحن نرى رعاية الله تعالى لنا حاضرة في كل شيء وفي كل مسألة من خلال دينه الذي ارتضاه للإنسان، فيبدأ الإنسان على إثرها مسلماً، ويختار تجاربه على أساس هذا الإسلام، في المقابل نجد سارتر يبدأ من لا شيء، ويريد ان يجرب الانسان كل شيء!

ما هو مبرر الإلحاد فيما اقترفه السفاح هتلر

مالا تخطئه عين مُترقب أن سنام الإلحاد الجديد يقدمون أنفسهم على أنهم المُخلّصون والمنقذون للإنسانية وللقيم الأخلاقية من فك الدين وقبضة الرب، لذالك تراهم في العلائقيّة يظهرون بقدر عالٍ من الأخلاقية بمعاملاتهم وطرحهم على أنهم هم الصواب، وأنهم هم من سيحتضنون الجميع، وخصوصاً أصحاب الأديان المغتصبين للرب والمتنازعين فيما بينهم على الجنة!

ينقلون للعموم الساذج فكرة أنهم أبو الأخلاق، وأنهم يدافعون عن رؤى أخلاقية مطلقة، ولكن لكل بناء أساس يقوم عليه، فما هو الأساس المنهجي والموضوعي الذي تقوم عليه الرؤى الأخلاقية في مدارس الإلحاد؟!

لو تطرّقنا إلى الدين الإسلامي، نجدهُ يدعوا إلى كل الفضائل السامية والقيم الأخلاقية العُليا، وعلي أن أوضّح هنا أنه قد يوجد مسلمين بلا أخلاق، لكن دين الإسلام أخلاقي، على العكس أنه قد يوجد ملحدون على أخلاق، لكن لا يوجد إلحاد أخلاقي! وليست المسألة كما يظن الملحد بأننا نعتقد أنه بلا قيم أو بلا أخلاق لأنه لا يؤمن بالله تعالى، لا، المسألة من مُستهَلّها عرجاء، حيث كما قلت أنه يوجد ملحدون على أخلاق، لكن لا يوجد إلحاد أخلاقي.

في ألمانيا بين عامي 1939م و 1945م تم صنع أعظم فعل إجرامي في تاريخ الطب النفسي، حيث أوقع النظام النازي الإبادات الجماعية بحق المرضى النفسيين، ويقدر عددهم ب 220000 شخص تقريباً تم تعقيمهُ وقتله! بل إنه قد تم قتل ما يقارب ال 5000 طفل، لأنهم ولدوا معاقين ومشوهين خلال فترة الحكم النازي في أوروبا على يد الزعيم الألماني النازي (أدولف هتلر) حيث ألقى خطاباً في "نورمبرج" عام 1929 قائلاً: "إن قتل 700 إلى 800 ألف طفل من الضعفاء من بين ملايين الأطفال، و إزالتهم من المجتمع سنوياً، يعني زيادة قوة أمتنا لا إضعافها"، وهنا سؤالي لمن يعتنقون الإلحاد كدين أو كمذهب أو كمدرسة أو كإتجاه: ما هو مبرر الإلحاد فيما اقترفه السفاح هتلر!؟ أين الأخلاق في الإلحاد هنا!؟

لقد اعترف عالم سلوك الحيوان والتطوّري الملحد (ريتشارد دوكينز) قائلاً: "داخل العالم الإلحادي المادي الحتمي لا يمكن تخطئة هتلر".

وهذا ليس ببعيد عن ما أحدثته يد السفاح الصهيوني في حربها على غزة، ففي حرب السابع من أكتوبر تم قتل أكثر من 40 ألف فلسطيني، معظمهم كان من الأطفال والنساء والشيوخ، وهنا أكرر سؤالي: أين الإلحاد ليجيبنا على هذه الكارثة الإنسانية التي ساقتها آلة الحرب الصهيونية على أهلنا في قطاع غزة!؟

أعود لهذا المعتوه الملحد (ريتشارد دوكينز) والذي يناقض نفسه ويُخالف إلحادهُ حين قال: "من الصعب جدًا الدفاع عن القيمة الأخلاقية المطلقة على أرضية أخرى غير الدين".

في النهاية:

بدون الله سبحانه، وبدون دينه "الإسلام"، وبدون رسله وأنبيائه يصبح القتل بطولة، والإغتصاب رياضة، والسرقة ذكاء، وكل ما هو غير أخلاقي يصبح مسألة طبيعية باسم الإلحاد، لكن المُلحد نفسهُ يرفض هذه المسالك، ويعترف أن هذه الأفعال السيئة كلها غير طبيعيّة، وليست من الإنسانيّة في شيء.

قال تعالى: وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (الآية رقم 104 من سورة آل عمران) وقال تعالى في موضع آخر: مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّـهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (الآية رقم 114 من سورة آل عمران).

لقد بيّن كوين الفهم الأيديولوجي الحقيقي والحقير للتطور

أحد أشهر علماء التطور والمدافعين عنه هو أستاذ البيولوجيا الأمريكي (جيري كوين) والذي قام بإنعاش ونشر أحد أهم أسس الدراوينية الإجتماعية، والتي كانت سبباً في قتل الآلاف تحت مسمى علمي داروينى في أوروبا خلال الحقبة النازية.

لقد بيّن ووضّح كوين الفهم الأيديولوجي الحقيقي والحقير للتطور، حيث قال في أحد مقالاته:
"بما أنه مسموح فى الغرب بالاجهاض للحالات التي تعاني من تشوهات قبل عملية ولادتهم، فلماذا لا نقتلهم بعد الولادة طالما كانوا مشوهين أو ميؤوس من حالتهم"، تماماً كما نصّت نظرية التطور وصاحبها عالم الطبيعة والأحياء والجيولوجيا البريطاني (تشارلز داروين) الذي نادى بأن البقاء للأقوى وللأفضل!

القاضي كوين يساوي بين الإجهاض و قتل الأطفال المرضى والمشوهين بعد ولادتهم، وكأن الإجهاض هو أمر طبيعي وأخلاقي! ولا يعلم هذا التائه أن الإجهاض نفسه هو جريمة إنسانية وأخلاقية ودينية، لأنه في نهاية المطاف هو قتل، حتى لو كان الجنين في رحم أمه مريض أو معاق، ولا تتوقف المصيبة هنا، بل إنه يبرر من فكرة الاجهاض دعواه الجديدة والحقيرة والتي هي إباحة سفك دماء أطفال حديثي الولادة بالقانون لأنهم مشوهين أو معاقين أو ميؤوس من حالتهم!

فيقوم بتبرير جريمة القتل ليرضِي التطور، بل إنه ينصب نفسه ربّاً باسم التطور ليأخذ حق الأطفال في الحياة بدعوى أنهم مشوهين أو مرضى أو ميؤوس منهم! لقد وصلت النظرة المادية والتطورية بهؤلاء الذين يدّعون أنفسهم أنهم مفكرين وعلماء وفلاسفة أن يفعلوا أي شيء لكي تبقى راية التطور مرفوعة حتى لو كان الثمن هو تقتيل الناس وسفك دمائهم!

في اليابان مثلا أو في بعض الدول الغربية مثل هولندا و بعض ولايات أمريكا، يوافقون ويُصرّحون ويُوقعون على عمليات القتل للمرضى البالغين، حيث يتم إعطاء المرضى الغير مرجو علاجهم كميات كثيرة من المورفين ليتم قتلهم بناءاً على رغبتهم، كما أن "الإنتحار" فى الغرب أصبح حرية شخصية، وهناك أطباء وعيادات طبيّة مرخّصة لكل مريض يعاني، حيث أصبح لهم الحق في الإنتحار وقتل أنفسهم داخل هذه العيادات وبإشراف الأطباء وموفقتهم، وقد إعتبر كوين ما سبق حجّة له لتبرير قتل الأطفال المعاقين والمريضين والمشوهين، لكن هؤلاء الأطفال الذين يريد كوين قتلهم باسم التطور والبقاء للأصلح لم يمنحوا الإذن لأي أحد كي ينهي حياتهم! و لم يأذنوا لأي أحد أن يقتلهم! فكيف يتجرأ جيري كوين وغيره من المتطورين أو الماديين أو الملحدين أو من يوازيهم على قتلهم ليبرروا تلك الجرائم النازية بمحاولات إنتحار المرضى البالغين؟!

في النهاية:

يرى كوين أن العائق الوحيد أمام قتل الأطفال حديثى الولادة هو الدين الإسلامي، حيث أن الإسلام يمنع في كثير من الدول القتل بالإجهاض للأطفال المشوهين أو المعاقين، فالإسلام يؤكد على حق الحياة لهم، وتقديم الدعم الطبي والنفسي إليهم قدر المستطاع، وعدم المصادرة والتعدي على حقهم بقتلهم فقط لرغبة الأب أو الأم ألا يقوموا بتربية طفل معاق جسديّاً أو ذهنياً، فالدين أخبرنا أن مانح الحياة وخالق الإنسان ومحيي النفس ونافخ الروح هو الله سبحانهُ، وهو تعالى وحده من له الحق في إعدامها.

كما أنه قد ثبت حديثاً أن بعض من ولدوا بإعاقات بالغة أو تعرضوا لها في البلوغ أنهم تفوّقوا على العديد من الأصحاء جسديّاً وعقليّاً في مجالات العلم والأدب، أمثال "هيلين كيلر" و "كريستي براون" و غيرهم الكثير.

لذلك لا تجهز على حياة أحد ما لم يُجهز عليه قدر الله.

إلى مَن طار مِن مطار فرويد

كتب طبيب الأعصاب النّمساوي الملحد (سيجموند فرويد) مؤسّس علم النّفس التحليلي وعلم النفس الحديث قائلاً: "ليس الله من خلق الانسان، وإنما الانسان هو من خلق الله!".

كان يقصد بهذه العِبارة أنّ الإنسان هو من خلق فكرة إسمها "الله"، ولكن الله في الحقيقة ليس له أي وجود حقيقي أو واقعي لأنهُ من بنات فكر الإنسان.

لقد هبط شق كبير من كبار وصغار إلى مطار فرويد فرحين لاستقبال كلماته هذه، وأقلعوا وطاروا بها حول العالم.

أنا وقعت على كلمات فرويد هذه، ولكني رددت عليه بسؤال: "إذا كان ما تقوله يا سيجموند فرويد صحيح، إذن لماذا ظلّ الإنسان يؤمن بفكرة -الله- إلى هذا اليوم وحتى هذه اللحظة؟!".

كان الانسان في العصور القديمة مُتخلّفاً وبسيطاً وجاهلاً ومع ذلك كان يؤمن بالله، واليوم صار الانسان مُفكراً وعالماً وفيلسوفاً وطار في الفضاء ونزل إلى جوف الأرض وما زال يؤمن بالله! اذن هي فكرة لا تستطيع أن تهرب منها أو حتى أن تتجاهلها "مُحال أن تتجاوزها"، وأعتقد أنّ السبب هو أنّها زرعت في تربة الإنسان منذ بداية خلقه.

في النّهاية:

هذه الفكرة أكبر من أن تختزلها في دائرة المشايخ عند المسلمين، أو اللّاهوتيّين عند المسيحيّين، أو الحاخامات عند اليهود، أو عند الملاحدة كليّاً أو جزئيّاً، لأنها فكرة تختص بالإنسان.

لقد زرع الله في طين الإنسان فكرة أن هناك خالق وأنه عبد له، ونبت الضّمير والمعيار الأخلاقي من هذه البذرة، لذلك قد يهرب الانسان من محكمة البشر، ولكنه لا يستطيع أن يهرب من محكمة ضميره، لأنه الميزان الأخلاقي العائد الى البذرة التي زرعت في جذر النّوع الإنساني منذ البداية، وهي فكرة أن هناك إله، وأن هناك موعد لنا معه.

قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (الأية رقم 172 من سورة الأعراف)

لماذا ظل الإنسان يسأل عن الله ويبحث عنه ويؤمن به؟ لماذا بقي الإنسان يعبد الإله من العصر الحجري وحتى العصر الحديث إن كان الفكرة إنتاج العقل الانساني؟ لأن هذه الفكرة "الله" هي السبب في وجود الإنسان، فهي ليست مولوداً إنسانيّاً، وإنما مزروعة فطريّاً في جذره من قبل الخالق "الله" تبارك وتعالى.

ولو لاحظنا أنه لا يُمكن إختزال عالم الإنسان بالعقل أو بالطبيعة أو بالمادة، بل يتجاوز حدود نفسه وعقله ويقفز عن الطبيعة والمادة، لذلك تراه دائما من حين لآخر يشعر بالإغتراب وأنه لا ينتمي لهذا العالم، وهذا الشعور صحيح وحقيقي، لأن في الانسان لبابة لا تنتمي للطبيعة ولهذا العالم المادي، بل تنتمي لعالم آخر غير طبيعي وأعلى من المادة، وهو عالم الرب "الله تبارك وتعالى".

كيف حدث هذا يا كونت

بداية النوع الإنساني من الإيمان إلى الإلحاد في تفسير الظّواهر إعتدمت على ثلاثة مراحل: الأولى كانت تتّكِل على أشياء خارج الطّبيعة، ما وراء الطبيعة "الآلهه، الروح، الملائكة"، والثانية إعتمدت على مُسببات في الطّبيعة نفسها، فهي التي تفعل وتصوغ، والثالثة إعتمدت على الحس الإنساني.

فجاء عالم الإجتماع الفرنسي الفيلسوف (أوغست كونت) مؤسس الفلسفة الوضعية "Positivism" التي تكتفي بالمعطيات المباشرة للحس فقط، ليقول أن المراحل الثلاثة في التأريخ الفلسفي هي:

الأولى هي "الثيولوجية أو الإلهيّة"، والثانية هي "الميتافيزيقيّة"، والثالثة هي نهاية التاريخ الفلسفي والعلمي "الوضعية"، فكانت الظواهر في البداية تُفسر بأشياء خارج الطبيعة "الله، الملائكة، الأرواح"، وهذه المرحلة تجاوزتها البشرية بالنسبة لأوغست كونت، ثم تلتها المرحلة الميتافيزيقة، والتي ذهب فيها الناس إلى تفسير الظواهر الكونية والطبيعية بأسباب موجودة في الطبيعة نفسها، ولكنها أسباب ليست محسوسة، وإنما أسباب مجرّدة وخفيّة كائنة في الطبيعة، ثم المرحلة النهائية والتي تحرّر فيها عقل الإنسان من كل هذه الخرافات الإلهيّة والميتافيزيقيّة وهي المرحلة "الوضعيّة".

في مرحلة الميتافيزيق كان العقل الانساني مشغول بالعِلل، حيث كان يسأل: "لماذا تحدث هذه الأشياء؟"، فجاء أوجست كونت ليقول: "ليس المهم أن نعرف لماذا حدثت الأشياء، أو أن نفسّرها، أو ما هي الغائيّة من ورائها، ولكن المهم أن نعرف كيف حدثت الأشياء؟"، بمعنى أن نَصِف كيف حدثت الأشياء، مجرّد "وَصْف" وهذه هي "الوضعيّة".

لقد بينت في السابق خطأ أوغست كونت، فهناك ثوابت، لذلك أعدت الإعتبار لأهم سؤال، وهو السؤال الأول: "يا أوغست كونت: لماذا حدث هذا؟ وكيف حدث هذا؟".

أعظم جراح عصبي في العالم هو الطبيب الكندي (وايلدر بينفيلد بيو) والذي قضى مُعظم حياته في دراسة الدماغ، والتي حاز على إثرها على جائزة نوبل في وظائف الأعضاء، قضى حياته في مواجهة أعظم مشكلة بالنسبة له ألا وهي: "كيف نرى؟ وكيف نسمع؟ وكيف نفهم؟ وكيف ندرك؟"، وإنتهى إلا أنه لا يوجد جواب حقيقي؟! وكل ما ذُكِر في الطب هو نزعة آليه ميكانيكية، فهذه الكتلة الهلاميّة "الدماغ" ماذا يحدث فيها؟! وكيف تفسر الأشياء والالوان؟! وكيف نرى ونسمع ونفهم وندرك من خلالها؟! فقال: "لا يوجد تفسير! والمسألة أعقد مما نتخيّل!".

ألف كتابه الشهير "لغز العقل"، وعندما شارف على الموت قال: "لم نفهم بعد، وليس من السهل أن نفهم كيف يبصر الإنسان؟! وكل العلوم التي تلقيناها في المدارس والجامعات عن عملية الإبصار عبر مادة العين والإنعكاسات جميعها لا تفسّر حقيقة وجوهر الإبصار!".

إعترف (ويلدر بنفيلد) بعد مسيرة طويلة في دراسة الدماغ أنه عجز عن دراسة هذه الهلامة السوداء، فهذا الدماغ الذي لا يوجد فيه أي ضوء كيف يرى الألوان؟! فقال: "أنا لم أفهم ولا أعتقد أن أحداً سيفهم ذلك".

في النهاية- قال تعالى: فلا أقسم كيف تبصرون (الآية 38 من سورة الحاقة).

الله لا يخلق نفسه في الخارج وبأذهاننا يا باركلي

الفيلسوف الإيرلندي (جورج باركلي) الملقب ب "الأسقف باركلي"، وهو أحد عرّابين الفلسفة المثاليّة اللّاماديّة "الذاتية أو التجريبية"، وهي تنكر وجود الجوهر المادي، إذ تؤكد بدلًا من ذلك على أن الموجودات المألوفة مثل الطاولة والكرسي ما هي إلا أفكار فقط في عقول من يدركونها حِسيًا، وليس بإمكانها أن توجد دون أن تُدرَك، وهي بإختصار تعني: "أَنْ يُوجد معناه أن يُدرك".

معنى الوجود بالنسبة له هو أن العالم في الأفكار فقط، فالكون وما فيه موجود ولكن في ذهن الانسان، بمعنى أنّ أصالة الوجود هي بالذهن، وما ليس بالذهن ليس له وجود، وهذا الإتجاه يقوم بتحويل المعاني "الأفكار" إلى أشياء وماديات في الخارج.

المثالية الذاتية أو المثالية التجريبية هي عقيدة ميتافيزقية، تتبع الفلسفة الأحادية والتي تقول بأنه لا وجود إلا للعقل وللسياق العقلي، وهي إستتباع منطقي مرتبط باللامادية، أي بالمبدأ الذي يقول بعدم وجود الأشياء المادية.

قمت بالرد على باركلي باستفهام وهو: "يا باركلي، بعض الأفكار التي تدور في أدمغتنا بحد ذاتها ليس لها أي وجود بالخارج كي تُدرك، فكيف نُدركها؟ بل ونؤمن بها!! كالزمن مثلاً، ليس له أي وجود واقعي وملموس، فكيف نُدركهُ ونؤمن به؟".

كما ورد عليه (ديفيد هيوم) بهذه العبارة: "بأن الله ليس له وجود عَياني، لأنه ليس له جسد مادّي في الخارج، فهل هذا يعني أن الله ليس موجود؟ وكيف يصدُر عنك يا باركلي هذا القول وأنت قِس مؤمن! كما أن الروح أيضا ليس لها وجود، والإدراك نفسه ليس له وجود! فكيف تؤمن بشيء لم تُدرك وجوده في الخارج؟!".

كما ووجه له (ساموبل جاكسون) وهو "أول مؤلف لقاموس" هذه الكلمات: "إضرب برجلك الحجر لتعلم أن العالم موجود".

في النهاية:

سأل بعض الفلاسفة باركي: "طالما نحن في اليقظة وأعيننا مفتوحة وآذاننا تُصغي، فكيف نسمع ونرى ونشعر بالموجودات من حولنا بإستمرار وليس لنا إرادة في إيجادها؟ هذا يعني أنها لها وجود حقيقي"، فرد عليهم باركلي: "الله هو من يخلقها باستمار في الخارج وفي أذهاننا، والإنسان لا يستطيع أن ينفيها"، فردوا عليه: "فكرة الله نفسها من أين أتت؟ فكما نعلم جميعاً أنّ الله لا يخلق نفسه في الخارج ولا في أذهاننا!"، وهنا كانت الضربة القاضية لباركلي.

ترتقي الأخلاق بالقفزة الإيمانية يا كيركغور

الفيلسوف الدينيماركي (سورين كيركغور) يرى أن الفيلسوف المثالي (جورج فيلهلم فريدريش هيغل، هيجل) أحد أهم مؤسسين الفلسفة المثالية الألمانية في أواخر القرن الثامن عشر، يرى أنه خان الرومنسية، وانحرف بها عن طريقها، ولم يعد وفياً للإنسان ولحريّته ومسؤوليّته، كيركغور كان كل إهتمامه بالإنسان، بينما كان هيغل نسقي -آخر فيلسوف نسقي- ثم انصبت بعدها الفلسفة على الانسان كفرد في الوجودية وكمجتمع في الماركسية والإشتراكية.

تحدث كيركغورعن القلق الوجودي الذي ينتاب الإنسان، فكان يرى أن الإنسان يأتي وجوداً بلا ماهيّة، وتحديد ماهيّته مركون إليه، بأن يرسم هو معالمها، ولا أن يعيل أموره على القضاء والقدر.

كان يرى أن جوهر الانسان يتجلى في طبيعته بالله تعالى، وفي موقفه المسؤول إزاء الرّب، وكان يقول بأنه يجب على الجماليّة أن ترتقي إلى الأخلاق، يجب أن يصعد الإنسان مع ذاته إلى الموقف الأخلاقي لكي ينضج ذاتيّاً.

من وجهة نظري المتواضعة أرى أن المواقف الأخلاقية تعكس نضج الشخصية، لذلك يجب على الجماليّة أن ترتقي إلى الأخلاقيّة، لأن الجمالية وحدها هي أن تفعل ما يحلوا لك، تماماً كالحياة البدائيّة، وهي عبثيّة وأقرب الى البهيميّة.

بينما الاخلاقية هي حياة إلتزام وإرتسام وأفعال، وهي أصعب من الجمالية، ثم تأتي أخيراً القفزة الدينيّة والتي هي أرقى وأسمى شيء، لأن العقل لا يستطيع أن يقضي في حقائق الإيمان، وهو عاجز أمامها، لذلك لابد من الإيمان في النهاية.

في النهاية:

إنني أعتقد أن الجمالية ترتقي بالاخلاق، والأخلاق ترتقي بالقفزة الإيمانية.

الفلسفة من الإيمان بإله واحد إلى الإلحاد

بداية الفلسفة كانت مع اليونانيين، والفيلسوف الأخلاقي اليوناني (سقراط) هو الذي أعطى "الفلسفة" عنوانها، لفظة "فيلسوف" تقابلها "سفسطائي"، والسفسطائي تعني "الحكيم"، وهم الذين ادّعوا الحكمة لأنفسم، وهم معلمون متغطرسون إمتلكوا البلاغة وإحترفوا الكلام في كل الشؤون والعلوم فنسبوا الحكمة لهم وإحتكروها، فجاء سقراط ليقول لهم بكل تواضع: "أنا لست حكيما، ولكني مُحب للحكمة"، فظهر مفهوم "فيلوسوفي".

مفهوم فِيلوسوفي هو: حبّ الحكمة، فيلو: "حب"، سوفي: "حكمة"، فيلسوف تعني "مُحب للحكمة".

سقراط هو أول من أعطى "الفلسفة" نعتها، وتصدى للسفسطائيين، لذلك كان أول فيلسوف هو "سقراط" ثم تلميذه "أفلاطون" ثم تلميذه "أرسطو".

الفلسفة مرت في ثلاثة أحقاب "القديمة والوسيطة والحديثة" والمعاصرة الموجودة حالياً.

الحقبة القديمة تمتد 1000 عام من القرن الخامس قبل الميلاد، من عهد السفسطائيين والطبيعيين والسقراطيين الى القرن الخامس ميلادي، كان أبرز أعلام الحقبة القديمة هو الفيلسوف المثالي (أفلاطون) تلميذ الفيلسوف الطبيعي (سقراط).

الفيلسوف اليوناني والرياضياتي الشهير (أفلاطون) كان يرى أن الأفكار هي الحقيقة، وأن المادّة نتاج الأفكار، وهو مؤسس الفلسفة المثالية "Idealism".

ثم جاء بعده تلميذه الفيلسوف اليوناني الشهير (أرسطو) مؤسس مدرسة "ليقيون ومدرسة الفلسفة المشائية والتقاليد الأرسطية" والذي كان يرى أن المادّة هي الحقيقة، وأن الأفكار نتاج المادّة، وهو مؤسس الفلسفة الواقعية "Realism"، أرسطو كان أحد تعريفاته للفلسفة أنها "الدهشة"، فالطفل عندما يندهش تراه يبحث ويسأل ويكتشف ويحلّل.

بعد ذلك دخل العصر "الهينيليستي" 320 قبل الميلاد وحتى 20 قبل الميلاد، وهو عصر خروج (الإسكندر المقدوني) هو أحد تلاميذ (أرسطو) وفي هذا العصر فتح العالم الشرقي، لدمج العقلية الاغريقية بالروحانية الشرقية، وفي هذا العصر تراجعت الفلسفة وبدأ الاهتمام بالإنسان كفرد وكمجتمع، وظهرت المدرسة الرّواقية، والمدرسة الإبيقوريّة نسبة للفيلسوف (إبيقور) والمدرسة الشكية "الشك البيروني" نسبة لزعيمهم الفيلسوف (بيرون) ثم ظهر الفيلسوف (فلوتين) والذي مزج بين فلسفة أفلاطون المثالية والعرفان الشرقي الفارسي، وتسمى "النظرية الأفلاطونية المُحْدَثة"، حيث رأى فيها أنه يمكن الاتصال بالله عبر الانجذاب، كما يفعل الصوفيون "الجَذْبة"، وتحدث عن الثالوث والواحد، والتغيرات التي تعتري الوجود وانها تخضع لقانون جدلي معين، ثم ظهر الفيلسوف (سانت أوغسطين) المعروف ب (القديس أوغسطينوس) ووافق على ما قاله فلوتين في نظريته الأفلاطونية المحدثة، ولكنه أضاف أن الله تبارك وتعالى هو المسؤول عن هذه التغيرات، فهذه التغيرات لا تحدث من تلقائها ولا من نفسها، وإنما الله تعالى هو من يدبرها ويرعاها.

بعد ذلك دخل العصر "الوسيط" وهو عند سقوط الامبراطورية الرومانية الى 1000 سنة، من القرن ال خامس ميلادي الى الخامس عشر ميلادي، ويقسم الى قسمين، الأول هو "عصر الإباء" واشهرهم كان (القديس أوغسطين) صاحب الإعترافات وصاحب مدينة الله، ثم العصر "المدرسي Scasta lism" وهي

فلسفة دينية توسلت المنهج العقلي، وبالذات الفلسفة المشائيه لتبرير الوحي الديني بالعقل، بأن الوحي لا يناقض العقل بل يتوافق معه، وأشهرهم هو (توما الأكويني).

بعد ذلك دخل العصر "الإسلامي" وأشهر مدارسها هي الفلسفة "المشّائية الأرسطية أو الإسلامية"، وسمّي أعلامها ب "المشائية" لأنهم تأثروا بأرسطو، فأرسطو كان مشّاءاً، فكان يُعلّم العلوم وهو يمشي، لأنه أفضل للعافية كما يرى أرسطو، فكان يمشي ويُعلّم ويمشي ويتكلم، وأعلامها هم ثلاثة (أبو نصر الفارابي، أبو علي ابن سينا، ابو الوليد محمد ابن رشد) وكان أيضاً من أبرز فلاسفة العرب هو (الكِنْدي) ثم (أبو حامد الغزالي) والذي أشتهر عنه أنه عدو للفلسفة، فضربها، ولكن الحقيقة أن ابو حامد الغزالي كان فيلسوفاً، لأنه وهو يعالج الفلسفة درس الفلسفة، فكان من الطبيعي أن يكون فيلسوفاً، وألف كتابه "مقاصد الفلسفة" وكتابه الرهيب "تهافت الفلاسفة" والذي وضع فيه براهينه لإسقاط الفلسفة، وحينها رد عليه الفيلسوف الأندلسي المسلم (ابن رشد) في كتابه "تهافت التهافت".

ثم جاءت المدرسة الفلسفية "الاشراقية" وكان شيخها هو (الشهاب السهراوردي) المشهور ب "شيخ الاشراق"، ثم المدرسة الفلسفية والتي تسمى ب "الحكمة المتعالية والصّدرائية" للفيلسوف الايراني (ملّة صدر الدين الشيرازي) صاحب كتاب "الأسفار العقلية الأربعة"، يُذكر أن المسلمون أضافوا 500 مسألة جديدة في الفلسفة.

بعد ذلك دخل عصر "النهضة أو البعث" والذي بدأ من القرن 14م الى 16م ، عاش لقرابة قرنين من الزمن، وظهرت فيه النّزعة الإنسية، حيث تمت دراسة التراث اليوناني والروماني الشّعري والأدبي الذي يهتم بالانسان حياتيّاً، من دراسات أدبية وجمالية وفنية، وصار الانسان هو مركز الاهتمام وقتها، ولم يعد هناك اهتمام بالله والميتافيزيق.

والفيلسوف وعالم الرياضيات والفيزياء الفرنسي (رينيه ديكارت) كان ابرزهم، وكان شكّه منهجي، بدأ بالشكّ وإنتهى لليقين، ولم يكن شكّه مذهبي كمذهب الشكاك أنفسهم، فشك ديكارت هو غاية ووسيلة وسلم وطريق للوصول الى اليقين، فبرأيه لا نستطيع التمييز بين الحق والباطل الا اذا أعدنا إختبار كل أرائنا.

ثم حضرت الفلسفة "الوجودية"، وكان هناك فلاسفة وجوديون مؤمنون بالله مثل الفيلسوف الالماني (كارل تيودور ياسبرس) والفيلسوف الفرنسي (غابرييل مارسيل) والفيلسوف الروسي (نيقولا بيرديائيف) كما أنه كان هناك فلاسفة وجوديون ملحدون بالله، كالفيلسوف الألماني (مارتن هايدغر) وتلميذه الفيلسوف الفرنسي (جان بول سارتر)

ثم حضرت الماركسية للفيلسوف والناقد والمؤرخ والسياسي الشهير (كارل مارس) الذي رأى ان الشروط المادية هي التي تحدد البُنى الفوقية للمجتمع، فالثقافة والفن والدين والادب والموسيقى والسياسة والقوانين وأنماط العيش تساوي "البُنى الفوقية"، والشروط السفلى هي الشروط المادية "اقتصادية ومجتمعية" واهمها الاقتصادية، فطريقة الانتاج وأساليب الانتاج والتوزيع ومقاسمة الخيرات هذه هي التي تشكل عقلية الناس ونمط عيشهم، ولكن ليس بطريقة ميكانيكية وإنما بطريقة جدليّة "التأثر" التحتي يؤثر بالفوقي، والفوقي يؤثر بالتحتي، والدائرة متصلة.

ثم حضرت الفلسفة الأمريكية "البراغماتية"، ويسميها العرب بالفلسفة "الذّرائعية"، وشيّد أركانها الفيلسوف الأمريكي الملحد (جون ديوي) والفيلسوف وعالم النفس الأمريكي (ويليام جيمس) مؤسس علم النفس التجريبي، والفيلسوف وعالم منطق وعالم الرياضيات الأمريكي (تشارلز ساندرز برس).

ثم حضرت الفلسفة "الوضعية أو الفلسفة العلمية"، وصاحبها الفيلسوف الفرنسي الشهير (أوجست كونت) الملقب بأبو علم الاجتماع "زورا"، ولكن ابو علم الاجتماع الحقيقي هو "ابن خلدون".

ثم حضرت الفلسفة "العقلانية"، حيث جاء الفيلسوف (رينيه ديكارت) ليعيد للعقل مكانته، حيث كان فيلسوفاً عقلانياً، فأسس المدرسة "العقلانية Rationalist" في أوروبا الحديثة، وتكلم عن الإثنينيّة "العقل والمادة"، المادة على انها امتداد، والعقل على انه التفكير، ولكنها لم تبقى لوحدها في الساحة الفلسفية، فظهر إتجاه آخر يدعوا إلى الحسيّة، وهي المدرسة "التجريبية أو الامبريقية" وكان من أبرزهم الفيلسوف (جون لوك) والفيلسوف (فرانسيس بيكون) والفيلسوف (جورج باركيلي) والفيلسوف (ديفيد هيوم).

هؤلاء الفلاسفة تجريبيون، اكتفوا بالحس مصدراً رئيساً ووحيداً، واشتغلوا ضد الفلسفات العقلية والروحية، داعيين الى الإلحاد، ومنتهيين الى عدميّة أخلاقية، وهم من أوائل من إنتقد ديكارت قائلين: "لماذا نحتاج الى أفكار فطرية كالتي ادعاها ديكارت؟".

تلاهم في الفكر الفيلسوف النقدي (إيمانويل كانت) صاحب كتاب "نقد العقل المَحض"، والذي كان عدوّاً للميتافيزيقا "Metaphysics" مع أنه بدأ مشوارهُ كميتافيزيقي حتى قرأ للفيلسوف التجريبي (ديفيد هيوم) فشكّك بعدها في المعقولات، وإنتهى الى أن العقل النظري ليس مؤهلاً وليس جديراً على أن يتعاطى مع القضايا الميتافيزقيّة، وأضحت كلها أوهام بالنسبة له، فكفر باللّاهوت والميتافيزيق متأثراً بديفيد هيوم.

العقل العملي التجريبي يرفض كل ما هو وراء الطبيعة تماماً، وكلها كلام فارغ بالنسبة لهم، لأنهم ليس لديهم القدرة على أن يبرهنوها ويثبتوها، ودعوة الميتافيزيقا من وجهة نظرهم يدعوا بها رجال الدين فقط، لذلك أنا أقول أن إيمانويل كانت كان أخلاقي وليس ميتافيزيقي! ومن وجهة نظري أنه لا يمكن أن تقوم أخلاق بدون دين، فكل مخلوق يستند في بطانته الى معنى ديني وروحاني حتى لو لم يُعلن ذلك.

بعد ذلك عادت الفلسفة المثالية من جديد، وازدهرت وتفرعت إلى مذاهب، أحدها ظهر على يد تلميذ (إيمانويل كانت) الفيلسوف الألماني (يوهان جوتليب فيشته) المعروف ب "فِيشته، أو فِيخته" والذي كان فيلسوف مثالي رومنسي، وحتى الرومنسية إنشطرت إلى قسمين: رومنسية في الفلسفة، ورومنسية في الأدب.

الرومنسية في الأدب كان من أعلامها الأديب والفيلسوف السويسري (جون جاك روسو) والشاعر والروائي الفرنسي (فيكتور هوجو) والشاعر والسياسي الفرنسي (الفونس دي لامارتين) أما الرومنسيون في الفلسفة كان من أعلامها الفيلسوف الالماني (يوهان غوتليب فيشته) و والفيلسوف الألماني (فريدريك فيلهيلم يوزف شيلن).

المعنى ل "فيلسوف رومنسي" هو البدأ بالموقف الشخصي والذاتي، والإنتهاء الى تقرير حرية الإنسان وحرية الإرادة، وهي جوهر فلسفة فِيخته الحقيقية، وفلسفة فِيشته هي "المثالية الذاتية Subjectivity"، وبعض أفكاره أنه رأى العالم قوانين تعمل، والانسان إستثناء وعالم من الحريات وليس الحتميات، فكان يرى أن الإنسان لا يتبع الكون، وإنما الكون هو من يتبع الانسان، فبنظره أن الانسان قادر على اعادة وتشكيل هذا

الكون بما يعطيه هذا التصور، فكون الكون هو كون قوانين، والانسان هو من أعاد صياغة تصور هذا الكون لأنه عالم من الحرية، والكون عالم من الحتمية.

بعده جاء الفيلسوف الألماني (فريدريك فيلهيلم يوزف شيلن) المعروف ب "شيلن"، والذي كان فيلسوفاً مثالياً رومنسياً، تنطلق فلسفته من الشخص، وسمية ب "المثالية الموضوعية Objectivity"، ولكنه أكد أصالة الروح.

تتلمذ على يديه فيلسوفان شهيران وهما: الفيلسوف والناقد والمؤرخ والسياسي الشهير (كارل ماركس) والفيلسوف الدنماركي (سورين كيركجارد) مؤسس الفلسفة الوجودية الروحية "المسيحية".

ثم جاء بعدهم آخر فيلسوف نسقي، وهو الفيلسوف الألماني (جورج فيلهلم فريدريش هيغل) المعروف ب "هيغل"، وهو مؤسس فلسفة "المثالية المطلقة In Absolute Idealism "، وكان يرى بِخلاف الرومنسيين، حيث نظر الى العالم والى التاريخ أنه يسير من العام الى الخاص "من المطلق الى المُتعيّن"، ووجد أن العالم والكون والتاريخ محكوم بقوانين أسماها "الروح" أو "قوانين الروح المطلق" أو "قوانين العقل المطلق"، وهي قوانين جدليّة وليست ميكانيكية.

القوانين الميكانيكية تعمل باتجاه واحد، ولكن القوانين الجدلية تعمل بالتآثر، فكان يرى مثلا أن أهم الأفكار كانت هي فكرة "الوجود" فجعلها البداية، وهذه الفكرة انتجت نقيضها وهي فكرة "العدم"، وبعد ذلك بإمتزاج النقيضين "الوجود والعدم" معاً ظهر لنا مركب ثالث وهي "الصيرورة"، وهذا هو القانون الجدلي الذي يفعل في الوجود بمستويين "الذهني والعِياني".

الوجود الذهني وهو عالم الأفكار والمجرّدات، والوجود العِياني هو العالم الموجود بالخارج "الواقعي" وهما يخضعان لقوانين الجدل، بمعنى أن كل شيء يبدأ هكذا ثم يصنع نقيضه، ثم يصطرع النقيضان، ثم تأتي التركيبة الثالثة وتولد نقيضها، ثم يصطرع النقيضان، وهكذا باستمرار.

ملاحظة:

كل هؤلاء الفلاسفة الذين تحدثت عنهم هم فلاسفة نسقيّون، حتى آخرهم وهو (هيغل).

في النهاية:

أول فيلسوف كما ذكرت آنفاً هو "سقراط" وهو الذي عنون الفلسفة، سقراط كان فاضلا، ودائما يعطي الأسئلة أكثر من الأجوبة، وهو الذي أعاد القيم الاخلاقية الى مركزها، ولم يكن يؤمن بتعدد الآلهة، وقال عنها "وثنية"، ولم يؤمن إلا بإله واحد، مع أنه ابن مدينة "أثينا" والتي تؤمن بتعدد الآلهة "أولمبوس" إلا أنه كان يعبد إلهاً واحداً، وأعدم بسبب ذلك بكأس السم ليشربه.

سقراط لم يترك كتباً، ولكن دوّن تلميذه "أفلاطون" محاضراته ونهايته.

عزيزي الملحد، إن العِلّة ليست موضوع إدراك، بل هي وسيلة لها

عندما يدور نقاش بين ملحد عبقري كأمثال الفيلسوف والروائي والكاتب الفرنسي (جان-بول سارتر Jean-Paul Sartre) أو الطبيب النمساوي (سيغموند فرويد Sigmund Freud) أو غيرهم من الأشراس والمتمرسين في العديد من المجالات، وبين مسلم تقليدي كشيخ يخطب الجمعة بالناس وكأنهم بالصف الأول، أو كعالم يدّعِي أنه عالم ولكنه يكفّر الفلسفة ومن يقول بها، فضلا على أنه غير ضليع بالعلوم ولا يملك أدواتها ويركض خلف مؤخرة تسطيح الأرض! فيقول هذا الملحد العتيد: "أنا غير مُقتنع بكل الدلائل والبراهين التي تدل على وجود الله"، فيجيبه ذلك الشيخ أو رجل الدين أو الدكتور الفلاني والعلامة العلّاني: "كيف! وكل شيء له سبب وله عِلّة، والبعر يدل على البعير!"، فيرد عليه هذا الملحد الشرس: "ما الذي تتحدّث به؟! ألم تقرأ سقراط وأرسطو وأفلاطون وإيمانويل كانت وبرنارد راسل و ستيفن هوكينج وتشارلز داروين وهيو ايفرت؟! ويبدأ هذا الملحد بإدلاء رأيه وبراهينه ليتخبّط ويتوه ويتحول هذا الشيخ ورجل الدين والدكتور الفلاني من داعية الى ملحد! وإن لم يكفر بالإله سينزلق بالشك، ويفقد اليقين في قرارة نفسه.

وكم مِن الشّباب والشابات الذين ضاعوا وتاهوا وألحدوا بسبب ركاكة وسطحيّة الخطاب الإسلامي، هذا المنبر الإسلامي المُغيب عنّا وعن أطفالنا الذي يتلقّون الآن في المدارس والجامعات كل المواد والنظريات العلمية والفلسفية التي تدعوا إلى الإلحاد والإيمان بالمادة والتطور والصدفة والقوانين والعلم! حيث يتم نقر أدمغتنا وأدمغة أطفالنا بأفكار كفرية وإلحادية ومادية وشكية وجنسية ومثليّة عبر وسائل الملتيميديا والإعلام المرئية والمسموعة من خلال الأفلام والمسلسلات والبرامج، ومن أوساط المؤسسات التعليمية والثقافية.

إنّ مشكلتنا هي في الخطاب الدّيني وليس في الدّين، وهذا ما جعل المُفكرّين والفلاسفة الإسلاميّين أن يخرجوا بحُلّة دينيّة جديدة، ماسكين باليد اليمنى الدرع القرآني والسنّة وباليسرى السيف العلمي والفلسفي، من أجل أن ينخرطوا في الحرب العظمى والنهائية مع الالحاد وأعوانه على ساحة العقل، نيابة عن شيوخ الحيض والنفاس وعلماء التسطيح الذين يلتفون حول أنفسهم ويجلسون في زاوية غرفهم المظلمة.

عندما نسأل: "هل للكون بداية؟ وهل للزمان بداية؟"، سيجيب العلماء: "نعم"، ونظريّة "الإنفجار العظيم big bang theory" للعالم الروسي الكبير (جورج غاموف) تقول أنّه قبل 13 مليار سنة ضوئية ولد العالم، فيسأل العقل: "حسنا، ولكن ماذا كان قبل الإنفجار العظيم؟"، سيجيب العقل بنظريّة الأكوان المتعدّدة ألّلانهائيّة "Universes Multiverse – Parallel" للعالم الفيزيائي الأمريكي (هيو إيفرت الثالث) بأنّ الكون أزلي ولا يوجد خالق له، وعندما يبدأ العقل بتصديق ذلك، ينقلب مرة أخرى ليسأل: "مستحيل، يجب أن يكون هناك بداية؟!"، فيعود إلى فكرة أن هناك خالق وحاكم لهذا العالم، ثم يقع بعدها في نزاعه وسؤاله المستمر: "هل الله هو البداية، أم أن المادة أزلية ولا يوجد إله، وكل ما حدث هو صدفة في زمانية طويلة وممتدة"، ليقع الإنسان في النهاية في مفارقة وتناقض!

حسب تحليلي المتواضع أن العقل يذهب دائماً عن السّؤال عن عِلل المعلولات، حتّى أنّ إبنتي الصغيرة (تالا) والتي تبلغ من العُمر 6 سنوات سألتني ذات يوم: "بابا: من خلق العالم؟ فأجبتها: الله تبارك وتعالى، فقالت لي: ومن خلق الله تعالى؟ فقلت لها: لا أحد"، وانتهى الحديث بيننا، ولكني أعلم تماما أنّ إبنتي (تالا) ما زالت تفكّر في عِلّة العِلّة الأولى.

جلست مع نفسي وحيدا، وقلت لنفسي: "إنّ العقل الإنساني سواء كان السّائل صغيراً أم كبيراً يسأل دائما عن المَعلولات، ويقوم بعمل سلسلة منها حتى يقف عند العلّة الأولى والتي ليس لها عِلّة، فينتهي إلى أن الله هو عِلّة بلا عِلّة، ولكن سرعان ما يتبدل حاله، ولا يقبل بهذا الجواب، فيسأل مرّة أخرى عن عِلّة العِلّة الأولى وعن علة وجود الله، وهذا تناقض!".

سألت نفسي: "لماذا يذْأب العقل الإنساني إلى العِليّة؟ وما سبب هذه السّببيّة؟"، ثم وصلت لهذه الإجابة: "يبدوا أن الإنسان أخطأ في ظنِّه أنّ العِلّة موضوع إدراك، لأنّها ليست موضوع إدراك، بل هي وسيلة له، لذلك أعتقد أن الله تعالى ليس موضوع إدراك، ولا يُوجد إمكانيّة لإثبات وجوده سبحانهُ بالعقل، ولا يُمكن إختبار كُنهِهِ بالتّجربة، لذلك أعتقد أنّ العقل النّظري والمَحض فشل في إثبات وجود الله تعالى، وبالتّالي فإنّ العليّة والسّببيّة ليست قانون، وإنما هي وسيلة للإدراك في العقل فقط، فلا يوجد شيء في الخارج إسمه عِليّة".

وسنأخذ هذا المثال لكي تتضح الأمور: جهاز الحاسوب "الكمبيوتر" يوجد فيه معلومات فكريّة ومعرفيّة أوليّة مركوزة ومبنيّه في أساسه وجذره في "البيوس"، وعند عملية تشغيل الحاسوب وإقلاعه، يستند على هذه المعلومات الأوليّة في بنيته ونواتهِ، وبعد الدخول الى النظام تعمل المعلومات الثانويّة.

لذلك أعتقد أنّ مفهوم (الله) أو فكرة (الله) هي مغروسة فِطريّاً في الجذر الإنساني، ولا يستطيع الإنسان أبداً أن يُقلع بدون هذه الفكرة، ولا يُمكن أن تُسَلّم بها بالعقل المَحض والنّظري، لأنها ليست ضمن حدود العقل الإنساني، وإنّما نُسَلّم بها فقط بالإيمان.

عندما سألت إبنتي (تالا) عن خالقها، هي في الحقيقة سألت سؤالا فطريّاً، يتعلق بالعلم الوجودي والماورائي والإلهي، وهنا أيقنت تماما أنها سألت عن خالقها لأن هناك من خلقها! والذي خلقها هو الذي زرع المفهوم هذا في جذرها، ولو كان الأمر صدفة لما كانت المسألة متواترة بين أطفال العالم، سواء كان منشأهُ في بيئة إسلامية أو مسيحيّة أو يهوديّة أو إلحاديّة أو مثليّة، عِلماً أن كل هؤلاء الأطفال لم يبلغوا أي شيء من العلوم، ومازالوا أطفالا لم يضعوا أقدامهم على أول درجة في العلم بعد!

إنني أقول أن "الله تعالى" لا يُمكن أن يُسَلّم به إنسان عاقل أو مفكّر أو عالم أو فيلسوف بالعقل، وإنّما بالإيمان فقط.

قال تعالى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (الآية رقم 3 من سورة البقرة) وقال تعالى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (الاية رقم 136 من سورة النساء) إذن، مسألة وموضوع الخالق "الله تعالى" هي مسألة إيمانية وليست عقلية، فبالعقل نصل إلى أن هناك خالق، ولكننا نختلف في كُنهه، أما بالإيمان نشهد أنه "الله تبارك وتالى" بكل جوارحنا، أو نكفر به على النقيض، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (الآية رقم 137 من سورة النساء).

في النّهاية:

لا يستطيع المفكرين والعلماء والفلاسفة المنكرين لفكرة الخالق (الله) الهروب من فكرة وجود مُصمم، حتى أللادينيين وأللاأدريّين والملحدين والمتطوّرين والماديّين والعلميّين والتجريبيين يعترفون رغماً عنهم في نهاية المآل بوجود مُصمّم، ولكنهم بطريقة أو بأخرى يقبلون بوجود أي مصمّم لهذا الكون، سواء كانت الرياضيات أو التفاعلات الفيزيائيّة أو العلم والنظريات "كنظرية كل شيء -إم- وغيرها".

المصمّم هو X وليس الله! ويبقى الله سبحانهُ مُعلّق إلى أن يتم تدشين نظرية يحيلون إليها الخلق والخليقة، لذلك جاءت النّظريّات والفرضيّات العلميّة والفلسفية لإستبعاد فكرة وجود الإله، لأنّهم لا يريدون الله في حياتهم.

لكني أقول أن "الله" هي فكرة فطريّة زرعها الله سبحانهُ بيده الشريفة في الجذر الإنساني لحظة خلقه للإنسان، وبدون فكرة "الله" لا يُمكن قيام معرفة فكريّة وعلميّة لدى الإنسان، فكُل المَعارف والأشياء هي ثانويّة تستند على جذرها الأوّل والفكرة الأولى (الله تبارك وتعالى).

لذلك لا يُمكن لأي إنسان في العالم أن يَهْرب من فكرة واجد الوجود (الله) كما أنه لا يوجد أمام أي إنسان إلا إحتمالين فقط "الإيمان بالله" أو "الكفر بالله"، ومن كفر به فقد كفر بنفسه وبعقله، لأنّه الحقيقة المفارقة والفكرة الأولى والتي هي أساس النظام المعرفي والمنطقي للإنسان وللأشياء.

بقعة الله

عليك بتوجيه الأنتينا "اللّاقط" نحو الله

الفيلسوف الوجودي الفرنسي (جان بول سارتر) كان ملحداً، وعاش طيلة حياته متمرداً على السماء ويكفر بفكرة وجود إله لهذا الكون، ولكنه لم يكن مرتاحاً مع نفسه.

عندما زارهُ الموت، ولفّ حول أنفاسه قال لمن يحيط به: "إجلبوا لي قسيساً لكي يعمّدني"، صُدم الجميع من طلبه هذا لانه ملحد! ثم قبل أن يلفظ زفراته الأخيرة قال عبارتهُ المشهورة: "يبدوا أن هناك ثقباً في عقل كل إنسان لا يملؤه إلا الله".

لقد نطق بذات العِبارة قبل وفاته الفيلسوف والسياسي الفرنسي (شارل لوي دي سيكوندا) المعروف باسم "مونتسكيو"، صاحب الكتاب الشهير "روح القوانين" الذي ألفه عام 1748م.

وهذه العبارة عند العلماء لها دلالة علمية في وقتنا الحالي، وتسمى ب "بقعة الله"، فقال الأطباء المتخصّصين بعلم الأعصاب بالتعاون مع العلماء المتخصصين في مجال اللّاهوت أن الدماغ يوجد فيه مراكز تتحرك لكي تجعل الانسان يؤمن بالله، وعندما تُستثار هذه المراكز يبدأ الانسان بالايمان بالله والغيبيات، وكانت آليّة الإستدلال عبارة عن "خوذة"، حيثُ قاموا بصنع خوذة إختبارية توضع على رأس الإنسان لدراسة تأثير تحفيز الفص الصدغي في دماغ الإنسان، وأطلقوا عليها إسم "خوذة الإله".

والذي قام بإختراع هذه الخوذة العالم (ستانلي كورين) وإستخدمها عالم الأعصاب (مايكل بيرسنجر) في بحثه العلمي في مجال علم الأعصاب اللاهوتي، وهو العلم الذي يربط دراسة الأعصاب بالدين والروحانيات.

فكرة الخوذة قائمة على تحفيز الفص الصدغى الأيمن وتنشيط وظائف المخ المسؤولة عن الإدراك والوعى والتأمل بتوليد حقول تذبذب مغناطيسية ضعيفة تماثل في قوتها تقريبا نفس قوة الحقول التي تولدها سماعة هاتف أرضي أو مجفف الشعر العادى.

تم الإستعانة بمتطوعين لارتداء "خوذة كورين" لمدة ساعة فى حجرة معزولة مظلمة، ودون إخبارهم بماهيتها أو الغرض من التجربة، وكل ما قيل لهم أنها تساعد على الإسترخاء لا أكثر.
80% من المتطوعين سواء كان لهم خلفيات دينية أو لا، شعروا بوجود كيانات غامضة معهم فى الحجرة.
أثارت هذه التجربة جدلاً واسعاً فى الأوساط العلمية، ففريقاً رأى أنها تثبت بما لا يدع مجال للشك أن فكرة الإله ليست حقيقية وإنما هى مجموعة من التفاعلات العصبية الدماغية يمكن التحكم بها وحثّها فى أى وقت، بينما يرى آخرون أنها إثبات لوجود الإله وعوالم أخرى لا نعرفها تقبع خلف هذا العالم لا يمكن إدراكها إلا عند نشاط ذهنى معين.

أعلن "بيرسنجر" في تقريره أن المشتركين بالتجربة أمنوا بالغيبيات، 80% من المشتركين في هذه التجربة أبلغوا عن إحساسهم بحضور ملائكة أو أرواح شيطانية وحتى كائنات فضائية، بينما 1% أبلغوا عن إحساسهم بحضور إلهي.

بدأ الطعن العلمي من إنسان الطبيعة والمادة في بطن هذه الخوذة، حيث قالوا أنها تستحث الجنون والصرع وغيرها من الأمراض العقليّة والعصبيّة، وتوالت الضربات في وجه هذه الخوذة حتى جاء الرّد القاضي والنهائي من عالم الأعصاب الهندي (فيلايانور سوبرامانيان راماشاندران) الذي قال لهم: "لماذا لا يكون

وجود هذه المستحثات في الفص الصدغي في دماغ الانسان أشبه بالأنتينا -اللّاقط- لكي يستقبل إشارات خارجية؟".

في النهاية:

إنني أقول أن الإنسان يستقبل الصورة بالعين، ويستقبل الصوت بالأذن، فلماذا لا يستقبل وحي الإيمان ودَفق الايمان عبر هذا "الأنتين" المزروع في دماغ الانسان؟!

لقد ندبنا لذلك رسولنا الكريم ﷺ حيث قال: "افعلوا الخير دهركم، و تعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده".

أعتقد مليّاً أن دماغ الإنسان هو في النهاية عبارة عن جهاز إستقبال لإشارات خارجية مُنزلة من عالم مُفارق محجوب عنّا، والله سبحانهُ هو من يبثها، وهو يفعل ذلك ليقيم الحجّة على الانسان، لذلك على الانسان أن يوجّه الأنتين "اللّاقط" نحو الله تعالى .

الدماغ هو في نهاية الأمر جهاز لإستقبال الإشارة من الله سبحانهُ

لو قمنا بتعطيل أحد الأسلاك في التلفاز يكون الأثر هو إختفاء الصورة أو الصوت، فهل هذا معناه أن التلفاز هو مصدر الصورة أوالصوت؟ بالطبع لا، فالتلفاز في نهاية الأمر هو جهاز عرض، ومن غيره لا يمكن استقبال البث بشكل مفهوم لنا صوتاً وصورةً، فلم لا تكون علاقة الدماغ بالفكر على هذا النحو؟

إنني أرى أن الدماغ له علاقة بعمليّة الإبصار والسمع وغيرها، ولكنه ليس مصدرها، لأنهُ عبارة عن جهاز عرض يتلقى المُدخلات من مصدر خارجي.

الدماغ هو جهاز لإستقبال الاشارة المسموعة والمرئيّة والمعلوماتيّة من بُعدٍ آخر، ثم يقوم بمعالجتها وإعادة إنتاجها لكي نرى ونسمع ونتكلم، كما يفعل التلفاز تماما، حيث يستقبل الإشارة ويعالجها في داخله، ويعيد إنتاجها لكي تظهر لنا الصورة التي نراها والصوت الذي نسمعه.

ولو اختل جزء في الدماغ، يختل جزء في الإنتاج، ولكن ليس في الإشارة التي استقبلها الدماغ، لأن الدماغ ليس مصدرها، كما في التلفاز، اذا اختل جزء فيه تعطلت الصورة، وليس الاشاره التي استقبلها التلفاز، فالاشارة موجودة ومصدرها ليس التلفاز، فهناك تلفاز آخر يستقبلها ويعالجها ويعرضها بكل وضوح.

ولو كان الفكر مصدره مادي -وهو الدماغ فقط- كما يزعمون، فكيف نفسر موضوع الأحلام والرؤى التنبؤية؟! أين الأصل المادي هنا؟

طبيب الأعصاب النمساوي اليهودي الشهير (سيغموند شلومو فرويد) مؤسس علم التحليل النفسي وعلم النفس الحديث، كتب مكذبا ذلك في كتابه "تفسير الأحلام" قائلا: "لا يوجد أحلام تنبؤية، وكل الأحلام تحليليّة"، وهو يعني بهذه العبارة أن كل ما تَخبره في الحس يعاد إنتاجه في المنام، وهذا طبعا غير صحيح، وهو يكذب لأنه يريد أن يخرج فقط من مأزق الرؤى التنبؤية والتي تحدث في الحقيقة وتحدث واقعياً بعد مدة من رؤيتها.

الكاتب والشاعر البريطاني (روديارد كبلينغ) كتب مرّة يقول: "أنا لم أكن أؤمن بالروح والأحلام التنبؤية، كنت أؤمن أن الأحلام تحليلية مثل فرويد، حتى حلمت ورأيت نفسي أدخل قصر الملك، وأمشي في صالة بداخله حتى وصلت منتصفه عند بلاطة معينه، فجاء من خلفي رجل أشقر وربت على كتفي وقال لي بعض الأشياء، ثم نهضت من نومي، ودوّنت حلمي هذا، وبعد عدة أيام جائتني برقية بالحضور الى القصر الملكي، فذهبت، وعندما دخلته، واذا به تماما كما رأيته في حلمي! فولجت الى الصالة، ووقفت بمنتصفها عند نفس البلاطه التي رأيتها في حلمي! وما هي إلا لحظات حتى أتاني رجل أشقر من خلفي، وربت على كتفي، وقال لي نفس العباره التي قالها لي في حلمي!"، ثم قال: "الانسان كائن روحاني وليس مادي فقط"، وصار يؤمن بعدها بالروح.

في النهاية:

علم ما وراء النفس "الباراسايكولوجي" الإدراك خارج الحواس، كما في التخاطر، والإستبصار، والجلاء البصري، والتحريك العقلي، المعروف كذلك باسم "التحريك الذهني"، و"القياس النفسي" كإدعاء الخوارق، مثل تلك المتعلقة بتجارب الاقتراب من الموت، والتزامنية، وتجارب التجلي، إلخ، كلها تؤكد ان الاصاله للروح وليس المادة، وهي ظواهر أثبتت علمياً، لكن لا يمكن تفسيرها.

موضوع التخاطر يؤكد أصالة الروح وليس المادة، ولكني شخصيّاً لا أؤمن به كإستحضار للجهتين، وإنما أؤمن به على أنّهُ إشارة من خارج الكون تحث التخاطر، كأن أمسك هاتفي النقال مثلا للإتصال بزوجتي، فأجدها تهاتفني في نفس اللحظة! إن مصدر الإشارة الخارجيّة التي يتلقاها دماغ الإنسان هي من رب الإنسان، من الله تبارك وتعالى.

وهنا أرد عليهم جميعا بسؤال: "كيف يرى الأعمى بيده؟"، نلاحظ كثيراً أن الكفيف يرى العالم بيده، ويقرأ القرآن بيده، وهذا برهاني لكل الماديين والملاحدة على أن العين هي وسيلة للإبصار، وليست مصدراً له، فقال تعالى: وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون (الآية رقم 198 في سورة الأعراف).

عبقريّة السّؤال

هناك أسئلة كثيرة تراودنا في أذهاننا؟ أسئلة أرهقتنا فكريّاً وجسديّاً، تجول في عقل كل انسان على وجه هذه البسيطة، حتى أبسطهم، فيهربون منها خوفا من الوقوع في المحظور والحرام والشّرك والكفر، ولاشكّ أنّها ألقت بكبار العلماء والمفكّرين والفلاسفة في ركن النّفي والإلحاد.

هذه الأسئلة بعضها في الميتافيزيقا "Metaphysics" وما وراء الطبيعة، وبعضها في الإلهيات "Theology" حيث يحاول العلماء في هذا الباب أن يحللوا عمليّاً وتجريبيّاً وجود الإله، وبعضها في علم الوجود "Ontology" حيث يتم دراسة الوجود بذاته وبما هو موجود.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن أهم الأسئلة التي تراود الإنسان، وهو: "من خلق الله؟"، فجاء في الحديث الشّريف عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: "لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق اللهُ الخلقَ، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله"، وفي رواية أخرى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له من خلق ربَّك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته"، وفي حديث آخر، قال رسول ﷺ: "يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ فيقول: الله"، ثم ذكر بمثله - وزاد : "ورسله".

عالم الفيزياء البريطاني المشهور (بولت شارلز وليام دافيس) في كتابه "The Mind of God عقل الله" يتسائل: "ما معنى أن يتسائل الإنسان عن سرالكون وسر الوجود؟ ومحاولة الإنسان بين فشل ونجاح في فك هذا السر؟"، ثم أجاب: "إنني أرفض أن يكون ما حدث نتيجة صدفة، إنني أوقن وأقرر أنّنا وجدنا هنا لنكون هنا تبعا لقوّة خارقة أرادت هذا".

لقد وطئت قدم الإلحاد كوكب الأرض، من أدباء ومفكرين وعلماء وفلاسفة أمثال (سفانتِ أَوغُسْتْ أرهِنْيُوس، إيرين جوليو-كوري، رولد هوفمان، جون ماري لين، هارولد يوري، صامويل باركلى بيكيت، بيورنستيارنه بيورنسون، نادين غورديمر، جوزيه دي سوزا ساراماغو، ريتشارد جون روبرتس، نيكولاس تينبرخن) وغيرهم الكثير الكثير وخصوصاً في القرن "21" مِن مَن يركب فرس الإلحاد ليبارز الله سبحانه، وليقطع عنق هذه الفكرة وهذه الحقيقة، في المقابل نجد المشايخ مشغولين بتطويل لحاهم وتقصير ثيابهم، أما عن رجال الدّين من حملة الماجستير والدكتوراة في العلوم الشرعية وغيرها ما هم إلا أصحاب عقل قياسي وترادفي، يسيرون بعقل الشافعي وابن سينا والفارابي والغزالي وغيرهم إلى الآن، وحتى هذه اللحظة لم يقفزوا عنهم ولا زالوا المرجعيّة بالنسبة لهم، وأما عن علماء المسلمين فهم لا يمتلكون الأدوات، وهم تبع لعلماء الغرب، ووظيفتهم الوحيدة هي إسقاط ما توصّل إليه علماء الغرب والالحاد على آيات القرآن، قائلين: "هذا موجود في كتابنا منذ 1446 عام!!" وأنا أتسائل: "إذا كان ما وصل إليه علماء الغرب من نظريات وحقائق علمية موجود في كتابنا منذ 1446 عام، فلماذا لم تكتشفوه أنتم يا علماء المسلمين؟!"، أما عن فلاسفة المسلمين فقد انقرضوا منذ أمد بعيد!؟ "إلا من رحم ربّي".

على العموم، لقد كانت قراءة دؤوبة وطويلة في ميادين العلم والفلسفة والدين والأدب وغيرها من الحقول الواسعة والتي أبحرت فيها منذ نعومة أظافري إلى أن بلغت من العمر أربعون عاماً، أبحث فيها عن الحقيقة وعن نفسي من أجل نفسي ولغيري حتى وفقني الله للإجابة عليها، فإن أصبت فهو من الله تبارك وتعالى، وإن أخطأت فهو من نفسي ومن شيطاني، وأسأل الله تعالى أن يتجاوز عني ويغفر لي ذنبي وأن تسامحوني.

وأبدأ ببعض من هذه الأسئلة ....

#1 من خلق الله؟

من منّا لم يُحدث نفسه ويسألها: "من خلق الله؟"، وكأنّ هذا السؤال مبرمج في أدمغتنا ليحثّنا للبحث عن الفكرة الأولى وعن الحقيقة المطلقة وعن الخالق "الله".

لكن منهجيّاً فإن نصف الإجابة تكون في صحّة السّؤال ومنطقيّته، لذلك هذا السؤال: "من خلق الله؟"، هو منهجيّاً خاطئ، لأنه غير منطقي!

من تعريفات "الإنسان" أنّه مخلوق، ومن تعريفات "الله تعالى" أنه خالق "غير مخلوق"، وكل مخلوق له خالق، ولا يوجد خالق للخالق (الله عز وجل) لذلك السّؤال منطقيّاً من الأساس غير صحيح! لأنّك إن سألت: "من خلق الله؟" أصبح الله مخلوقاً وانتفت عنه صفات الرّبوبية!

لو تطرّقنا إلى هذا المثال: هناك سباق سيّارات يُقام، وصل أحد المتسابقين أوّلاً وفاز وانتهى السباق، فسأل أحد المارّة أحد الحضور: من هو أوّل المتسابقين؟ من هو الفائز؟ فأجاب الحاضر: فلان، فسأله: ومن وصل قبله؟!

السّؤال الأخير غير منطقي، وليس في مكانه، تماماً كسؤال "من خلق الله"، هو سؤال غير منطقي وليس في مكانه لأن الله تعالى هو الخالق، والإنسان رغماً عنه سيقف عند هذا السقف الأعلى.

مثال آخر: هناك صاحب شركة عقارات اسمه "أحمد"، ويعمل لديه في الشركة "زيد و حسان"، زيد هو المدير المالي للشركة، وحسان كان موظفاً لدى زيد في الدائرة، إضطر حسان لطلب سلفة من المال، فرفع إلى مسؤوله زيد حاجتهُ، فقال له زيد: أريد أن أعطيك مالاً، لكن بشرط أن يوافق "أحمد" صاحب الشركة، فالمال له وليس لي.

الإجراء الطبيعي أن زيد سيتجه نحو أحمد، من أجل أن يجلب الموافقة على منح سلفة لحسان، هذا يعني أن زيد يوجد له "مؤثّر" وهو أحمد، كما أن حسان وجميع موظفين الشركة يحتاجون الى موافقة أحمد، ولكن أحمد لا يحتاج الى موافقة أحد، لأن أحمد هو صاحب الشركة ومالك المال، وليس له علّه أو مؤثّر.

وجود أحمد هو الذي جعل حسّان والموظفين يحصلون على المال، ولولاه لما كان هناك مال ولا شركة من الأساس! إذن لابد من أن ننتهي ونصل الى احمد رغماً عنّا ونقف عنده، لأنه هو مؤسس الشركة وصاحب المال.

نستنتج من المثال السابق أنه لابد من ان يكون هناك صاحب ومالك للمال وهو المؤثر الأول، وليس له عِلّة، واذا لم تعترف بوجوده فانك لن تحصل على المال، ولكي تحصل عليه عليك ان تقر وتعترف بوجود أحمد صاحب الشركة ومالك المال.

مثال آخر: هناك جندي أعلى التلّة يريد أن يطلق الرّصاصة على العدو، ولكنّه لا يسطتيع أن يضغط على الزّناد الّا عندما يحصل على الاذن من الضابط المسؤول "الملازم الأول"، والملازم لا يستطيع ان يأخذ القرار إلا عندما يأذن له "النقيب" الضابط الأعلى منه رتبة، وهكذا حتى نصل الى القائد الأعلى للقوات المسلّحة، والذي بدوره ينتظر الجواب من الرّئيس.

نلاحظ أن الرّئيس هو من يصدر القرار الأول والنهائي، واذا لم يعطي الرّئيس التعلميات باطلاق الرّصاصة فإنها لن تخرج، والإذن بإطلاقها هو دليل على حاكميّة الرّئيس والذي يقف عنده الأمر، لذلك نجد في كل دول العالم رئيس واحد فقط، وهو صاحب القرار الأوّل والأخير.

مثال آخر: لو قلنا أن "ج" صنعتها "ب"، و"ب" صنعتها "أ"، السؤال: من صنع "أ"؟ إذا افترضنا أن "أ" صُنِعت من حرف آخر، فإننا سندور بحلقة الى مالا نهاية، ولن نتوقف عند بداية لهذه الأحرف، لذلك يجب أن نتوقف على عتبة الحرف "أ" لكي ننطلق بهذه الأحرف الأبجديّة.

والآن، اذا افترضنا عدم وجود خالق، فهذا يعني الإلتفاف بسلسة لا بداية ولا نهاية لها، وبالتالي لن يكون هناك وجود ولا معنى للإنسان، ولكن لو قلنا أن هناك خالق، فان السلسلة سوف تتوقف، ما يجعل الإنسان مخلوقاً وله معنى وجودي.

الإيمان يعني أن هناك إله، وهو خالق الشيء وكل شيء، وهذا الخالق غير مخلوق، وموجود بذاته، وليس له بداية، وأزلي وأبدي وسرمدي، ويؤثرعلى كل شيء ولا يتأثر بشيء، وعِلّة كل العِلل، وهذا الخالق هو (الله سبحانهُ) والمخلوق هو الانسان وكل شيء، وعند إنكار الخالق فإنك تعدم المخلوق فيزيائيّاً وفكريّاً، اذن لابد ان نقف عند عتبة وجودنا "الله تبارك وتعالى".

#2 ما هو الدّليل على وجود الله تعالى؟

السّؤال هنا أيضا خاطئ وغير منطقي أيضاً، والصحيح هو أن تسأل: "من هو واجد الوجود؟ من هو موجد الموجود؟ من هو محدث الحدث؟ من هو مسبّب السّبب؟ من هو مقنّن القانون؟ من هو خالق المخلوقات؟"، وهل لو توصلنا إلى فهم الكون وقوانينه، هل هذا يعني أن الكون ليس لو واجد أو خالق؟ بالطبع "لا".

يوجد برهان يسمّى "برهان الحدوث"، ويعني أن كل حادث له محدث وله علّة، ويقع في ظرف الزمن وكان مسبوقاً بالعدم.

الحادث دائما يحتاج الى مُحدث، فمن الذي أخرج الكون من العدم الى الوجود؟ لابد أن هناك من هو واجب الوجود، لكن ليس وجوداً امكانيّاً بل وجوداً وجوبيّاً، فنحن بالعقل نصل إلى أن هناك واجد، ولكن ننتهي بالإيمان على أنه الله تبارك وتعالى من خلال النص "القرآن الكريم" الذي ما زال يثبت جدارتهُ في كل زمان ومكان.

من الدّلائل العلميّة على أن هناك واجد واجب الوجوب هو قانون نيوتن الأوّل، فحسب القانون فإن الجسم الساكن يبقى ساكناً والمتحرك بسرعة منتظمة يبقى متحرك، مالم تؤثر عليه قوّة خارجيّة تغير من وضعه السّكوني والحركي، إذن، في نظريّة الانفجار العظيم"Big Bang Theory" لابد من وجود وعي عالٍ أشعل ذلك الجرم كي يحدث هذا الإنفجار العظيم، لابد من وجود قوة خارجيّة أجبرت حدوث بداية للكون في تلك اللحظة بالتّحديد، مما أدى إلى ولادة السماوات والأرضين وما فيها من مخلوقات وكائنات متمثّلة بأعلى ذروتها ووعيها ألا وهو الإنسان.

وكا نعلم جميعاً أن كل انفجار يخلّف دماراً وخراباً وفوضى، لكن هذا الانفجار خلّف ورائه نظاماً دقيقاً وجمالاً ساحراً وخلقاً في أحسن تقويم من ورائه غاية، إن كل انفجار يخلّف ورائه الموت والهلاك، لكن هذا الانفجار خلّف ورائه الحياة والإنسان، هل يُعقل أن يكون هذا صدفة! أم أنّه بفعل فاعل قدير وحكيم وعليم، "هذا ان كان هناك انفجار من الأصل، فأنا أعتقد إنه خلق وليس انفجار".

لماذا لا تكون نظريّة الانفجار العظيم التي درسناها في المدارس والجامعات هي نظريّة الحاديّة يستخدمها عُبّاد الكون من علماء الفلك والكوزمولوجي كدليل بأن الكون خلق نفسه بنفسه، وفجّر نفسه بنفسه منذ ملايين السّنين لإلغاء فكرة وجود الخالق؟!

أنا اليوم أعيش في كون ضخم جدّاً نصف قطره 93 مليار سنة ضوئيّة، هذا الكون نشأت فيه الحياة العاقلة والذكيّة متمثّلة بأعلى ذروتها ألا وهو "الانسان" الذي يقف الآن ويطرح مسألة هذا الإنفجار العظيم، على فرض أنّي سأُسلّم بنظريّة الانفجار العظيم، فإن هناك جملة أسئلة أطرحها على مشيّد النظرية وهو العالم الفيزيائي الروسي (جورج جاموف) ومن ضمنها:

السؤال الأول: كيف نشأ هذا الجرم؟ من الذي أوجد هذا الجرم؟ أو بالأحرى من الذي خلق هذا الجرم؟ هذا ان كان هو جرماً في الأصل!؟

السؤال الثاني: هل هذا الجرم إنفجر لوحده؟ وهل يعقل أن ينفجر شيء لوحده!؟ أم أنّ هناك من قام بتفجيره!؟ "مع تحفظي مرة أخرى على كلمة "إنفجار" لأنه خلق وليس انفجار!

السؤال الثالث: كان نتيجة هذا الإنفجار ولادة السماوات وما فيها من كواكب ومجرات ونجوم تسبح في بطنها، هذه الأجرام التي تسبح هل تتحرّك لوحدها؟ أم أنّ هناك من قام بتحريكها؟ كما أن هذه الأجرام تجري ضمن قوانين مُحكمة ودقيقة جداً، فلو حدث خلل لهذه القوانين في أجزاء من الثانية قد ينهار الكون بأكمله، هل صيغت هذه القوانين لوحدها؟ أم أن هناك من صاغها وكتبها وقنّنها؟ ومن هو هذا المُقنن والمحرّك الأوّل؟

السؤال الرابع: كل انفجار يكون ذا صوت كبير وهائل ومخيف، لكن هذا الانفجار لم يكن له صوت! كل انفجار يخلّف دمارا شاملا وخرابا وفوضى، لكن هذا الانفجار خلّف ورائه نظاماً دقيقاً جدّا وقوانين مضبوطة! كل انفجار يخلّف ورائه الموت والهلاك والفناء، لكن هذا الإنفجار خلّف ورائه الحياة والكائنات وعلى رأسها "الإنسان"! هل يُعقل أن يكون كل هذا صدفة؟ أم أنّه بفعل فاعل قدير وحكيم وعليم لا يمكن وصفه أو تخيله؟

السؤال الخامس: الكون عبارة عن زمان ومكان ومادّة وطاقة، لو توفّرت هذه الأربعة مواد لكل علماء وفلاسفة الدّنيا، هل يستطيون بناء كون؟ وللعلم أن مكونات الكون متوفرة بين يدي العلماء، فلماذا لم يخلقوا كوناً حتى هذه اللحظة؟! بل إن أمامهم كائن حي أحقر بكثير من الكون، لا يتعدى النصف سنتيمتر وهي "الباعوضة"، لماذا لم يخلق هؤلاء العلماء إلى الآن باعوضة حيّة؟ بل إن الذي خلقها تحدى الإنسان أن يخلق حتى جناح هذه الباعوضة؟!

السؤال السادس: أنت تقول لي "انفجار عظيم" يعني أنّ هناك بداية! اذا فهو كون ليس أزلي ولا أبدي لأن له بداية، ولكل بداية نهاية، إذن، بالتأكيد أن له نهاية، وهذا يعني أن هناك يد هي من صنعت هذه البداية وهي من ستعدمها، يد من هذه؟!

وهناك دليل أيوي "البرهان الأيوي" على وجود الخالق، ويعني أنك تستطيع أن تستدل من المصنوع على أن هناك صانع له، ومن المخلوق على أنّ هناك خالق له، ومن الموجود على أنّ هناك واجد له.

كإنسان كان يسير، فوجد أمامه مركبة، سيسأل نفسه تلقائيّاً: من الذي اخترع هذا المركبة؟ وما الهدف والغاية من اختراعها؟ ثم سيحاول أن يدرسها ويكتشفها كي يصنع مثلها، ولكنه لن يتمكن من ذلك، لفرق المستوى الفكري بينه وبين هذا العبقري -مخترع هذه المركبة- مما سيضطرهُ إلى الخروج للبحث عن صاحبها وناحتها حتى يصل إليه في النهاية ويتعرف عليه، وسيكون بين يديه عبداً يمتثل لكل أوامره ويجتنب كل نواهيه كي يتلقى العلم منه.

النتيجة أخيراً أن هناك مخترع عبقري لهذه المركبة، وهناك أيضاً واجد وصانع وخالق عاقل وحكيم وبديع للكون وما فيه من كائنات وأشياء.

ولو تطرقت لهذا السؤال في الرّياضيّات وهو 2س + 1 = 11؟ ما هي قيمة "س" المجهولة؟ المعظم سيهتدي إلى النتّيجة، وهو أن "س" = 5، إذن، استطعنا معرفة أن هناك مجهول من وجود المعلوم! واستطعنا أيضاً معرفة من هو هذا المجهول من وجود المعلوم!

سؤالي الآخر: هل يمكن أن أنكر العالم الرياضي والمهندس الميكانيكي البريطاني الشهير (تشارلز بابيج) صانع ومخترع "الحاسوب" لمجرد أنني إكتشفت طريقة عمل الحاسوب؟!

جهاز الحاسوب معقّد التركيب ومكوّن من ثلاثة مستويات: المستوى الأوّل "Hardware"، ثم المستوى الثاني "Software" وهو أعلى من الأول، ثم المستوى الثّالث والأخير "الطّاقة".

Hardware هي المادّة "المعدّات والموارد والأجهزة والقطع" المصنوعة بطريقة معقّدة ومنظّمة، بحيث لو علم الانسان العادي طريقة صنع الحاسوب فإنه لن يتمكن من بنائه! و Software هي البرمجة "نظام التّشغيل" الخاص بالحاسوب، وهو نظام ذكي ودقيق، بحيث أن هناك معلومات كبيرة وواسعة مدخلة في عقل الحاسوب، والمستوى الأعلى والأخير هو الطّاقة "الكهرباء" والتي من غيرها فإن جهاز الحاسوب لا يعمل ولا يُقلع، وبالتالي فإنه لا يُرجى أي فائدة وغاية منه، وكأنه هو والتالف سواء.

وهناك جملة أسئلة أطرحها عليكم في هذا الصّدد:

السّؤال الأوّل: هل يعقل أنّ هذا الصّنع المُعقد والبناء الرّهيب للحاسوب جاء بالصّدفة؟ أم أنّ هناك من أوجد هذا الحاسوب وصنعه؟ الإجابة المنطقيّة أن هناك صانع لهذا الجهاز، وهو العالم الرياضي والمهندس الميكانيكي البريطاني الشهير (تشارلز بابيج).

وهل يُعقل أن "الانسان" جاء صدفة بالتطور؟ أو جاء من دون واجد وخالق له؟ الإجابة المنطقيّة أنه يستحيل ذلك، لا يُمكن أن يكون هذا البناء العبقري والرهيب والمُعقد والمُنظم جاء صدفة، لابد من وجود واجد وخالق له سوّاهُ وأبدعهُ وصمّمهُ وبثّهُ في هذا الوجود لغاية وهدف واضح.

السّؤال الثاني: هل أستطيع أن أنكر صانع ومخترع التلفاز لمجرّد أنّني فهمت وأدركت طريقة الصّنع وكيفية العمل؟ ولو عثرت على هذا التلفاز في طريقي، وجاء شخص وأخبرني بكيفية تشغيله وعمله، هل هذا يُلغي وجود صانع لهذا التلفاز؟ وأنه لا حاجة لي لمعرفة من صنعهُ واخترعهُ؟ هذا كله كلام غير صحيح وغير منطقي، فهناك فرق بين الأسباب والكيفية التي يعمل ويشتغل بها هذا التلفاز، وبين سبب وجود التلفاز ومن أوجد وصنع هذا التلفاز! ما علاقة هذا بهذا! لذلك لو فهمنا الكون وقوانينه، هذا لا يعني ان الكون ليس لو واجد وخالق؟! ولو فهمنا نسيج الانسان، هذا لا يعني أيضا أنه ليس له واجد وخالق.

السّؤال الثّالث: هل التلفاز أو الحاسوب مصنوع بدون سبب، أم أنّ الذي صنعه صمّمهُ لهدف معيّن ومُحدّد؟ بالتّأكيد أن المخترعات لها أسباب لصنعها، والكون وما فيه وعلى رأسها الإنسان له غاية من وجوده.

السّؤال الرّابع: ألا يدل صنع هذا الحاسوب بطريقة ذكيّة ومعقّدة ومنظّمة على ذكاء الصّانع؟ بحيث لو علم العموم مكوّنات الحاسوب وطريقة تشغيله لن يستطيعوا صنعه؟ بالتأكيد أن الذي صنع الحاسوب هو استثنائي، لذلك نُسب اليه هذا الاختراع، وأُعلن عن اسمه في كل الأماكن والمحافل والمواقع.

عندما نقول انه يوجد "حاسوب"، معنى ذلك انه من الطّبيعي ان يكون هناك صانع له، وأنه لم يوجد صدفة ولم يصنع لوحده، والسّبب بسيط وهو أن هذا البناء مُحكم ومبني وفق خُطة، ويوجد في نواته نظام دقيق وذكي، وبالتالي فإنه من الغباء أن تسأل ما هو الدليل على وجود صانع لهذا الحاسوب؟ وان سألتني ما هو الدليل على وجود صانع للحاسوب، سأقابلك بهذا السؤال: ما هو الدليل على عدم وجود صانع للحاسوب؟ لأن الصانع يُستدل به ولا يستدل عليه ولا يحتاج الى برهان، لأنه هو البرهان بذاته على وجود هذا الحاسوب، ووجود الكون وما فيه وعلى رأسها الإنسان هو أكبر دليل على أن هناك واجد أوجده وخلقه.

وهناك دليل فطري على وجود الخالق، وهو إحساس وفكرة داخليّة مزروعة لدى الانسان تُخبرهُ بأنّ هناك خالق وواجد له، وهذا الإحساس وهذه الفكرة تنبع من الجزء والمكنون الغيبي الذي نفح فينا، ألا وهي

"الرّوح"، فالرّوح جزء غيبي ويؤشر على شيء غيبي، لذلك ترى الإنسان يسأل سؤاله الفطري "من الذي خلقني؟"، ويبدأ بالبحث عبر عقله الفقير والبسيط في الموجودات ظانّاً منه أن الخالق موجود بين موجوداته أو جزء من هذه الموجودات! ثم يدرك خطأه بعد ارتقائه لمستوى أعلى في الّتفكير، وهو أن هذا الخالق مفارق ووراء الموجودات والطّبيعة، لذلك ظهرعلم الميتافيزيق والذي يوجّه الانسان للتفكير بأن هناك وعي خارجي عظيم، وقوّة خارجيّة عظيمة خلف كل شيء.

في برمجة كيمياء الدماغ وعقل الانسان تتكون الفكرة أولاً -المعنى يوجد أولاً- ثمّ اللفظ والنطق به ثانياً، فمثلا قبل وجود الطائرات واختراعها فيزيائيّاً، تكون فكرة وجود هذه الطائرة أوّلا والمعنى من وجودها موجودة في عقل الصّانع (الأخوان رايت "أورفيل وويلبر") ثمّ بعد ذلك يصنعها ويخترعها ويبثها في هذه الأرض، إذن، هي تحولت من فكرة في عقل الصانع الى هيكل مادي منشور في حيّز هذا الوجود، ثم تكون المرحل الأخيرة بتسميتها "الطائرة".

إذن، في البداية توجد الفكرة والمعنى أولا، ثم البناء المادي ثانياً، ثم الإسم والنطق به أخيراً، وهذا أقرب دليل لمن ينكر وجود الخالق، فأنت عندما تقول "لا يوجد خالق" هذا يعني أن فكرة الخالق ومعناه موجودة أصلاً في عقل الإنسان وبرمجة دماغه "لأنك نطقت باسمه!"، اذن الفكرة والمعنى موجود أصلا قبل ان يولد الإنسان، لذلك أكبر دليل على وجود الخالق هو انكار وجود الخالق.

وهناك دليل لغوي على وجود الخالق، حيث يوجد لغة بين الكون وبين الإنسان، بين عقل الكون وبين عقل الإنسان، هذا التناغم والتراسل والتّفاهم مكّن الإنسان أن يعرف بأن هناك كتلة جليدية قادمة، وأن هناك كسوف سيحدث، وأن هناك مطر سيهطل، وهذا يعني أن بنية الإنسان متراسلة مع بنية الوجود.

إن هذه المنظومة الرائعة والمباشرة تؤكد بأن الانسان يفهم الكون ويستخدم مكنوناته، ويبحث في أسراره للوصول إلى ما وراء كل هذا، فالكون وما فيه من ذكاء وتصميم يدل على خالقه وحاكمه، ونحن في المقابل لدينا القدرة على أن نفهم ذلك، والخالق خلق الانسان وهيأهُ لهذا كما هيّأ الكون بأن جعله قابلا للمعرفة من قبل الانسان الباحث والمكتشف.

الكون هو وجود وعقل وفكرة، والانسان هو وجود وعقل وفكر، وهما مهيئان للتطابق وارسال واستقبال الافكار بينهما، للوصول الى العقل والوعي الخارجي، وهو الخالق "الله سبحانه".

وهناك دليل عقلي على وجود الخالق، حيث أن الحيوانات وجدت قبل الانسان بآلاف السنين، لكنها لم تستطع أن تحدد شكل الكون ومساره وقوانينه، أو أن تَنظر وتبحث فيه، بينما الانسان آخر مخلوق وجد على كوكب الأرض، ولكنه مع ذلك وضع مخططاً للأرض، وتصور شكلها، وحسب سرعة الضوء، واكتشف قانون الجاذبية، اذن هناك قصد وغايه وهدف من الواجد والخالق لهذا الإنسان بأن يجعله هو المُسيطر والمُتحكم فيها، مع العلم أن الحيوانات أفضل من النوع الإنساني في مجالات كثيرة، فالصقر يستطيع رؤية حمام جاثم على بعد 1000 متر، وحمام طائر على بعد 1600 متر، والصقر الاعتيادي يستطيع أن يرى بنفس رؤية إنسان يرتدي نظارة تكبير الأشياء من 7 إلى 8 مرات، لذلك يمكننا القول أن الصقر يبصر الفأر من علو 1 كم في الإضاءة الجيدة، ولكن الانسان لا يستطيع! إذن، الصقر في هذه النقطة تفوق على الإنسان.

تمساح المياه المالحة هو صاحب أقوى عضة في مملكة الحيوانات، حيث تعادل قوة عضته قوة ضغط 542 كجم على السنتيمتر المربع، بينما تصل عضة الإنسان إلى 162 رطل! إذن، التمساح في هذه النقطة تفوق على الإنسان أيضاً.

الفهد تبلغ سرعته 120 كلم في كل ساعة، ويمكن أن تبلغ سرعته خلال 3 ثواني من صفر الى 110 كم /س، بـالتأكيد هذه السرعة عالية جداً، لذلك هو اسرع الحيوانات على كوكب الأرض، بينما تبلغ متوسط سرعة الانسان 13 كم /س! إذن، الفهد في هذه النقطة تفوق على الإنسان أيضاً.

يُعتبر الحُوت الأزرق من أقوى الحيوانات على وجهِ الأرض بسبب حجمِهِ الكبير، كما أن قُدراته عظيمه إذ يُمكنه أن يدفع بمركبٍ إلى الهواء بحركةٍ من ذيلِهِ، بينما أعلى رقم قياسي حققة الإنسان في القوة ورفع الأثقال هو 501 كيلوغراماً، وكان ذلك على يد لاعب القوى الآيسلندي "هافنور يوليوس بيورنسون"، إذن، الحوت الأزرق في هذه النقطة تفوق على الإنسان أيضاً.

لكن ما يميّز الانسان عن جميع المخلوقات هو العقل، فاذا لم يستخدمه بالطريقة الصحيحة والمطلوبة فإن الحيوان سيتفوق عليه به أيضاً! ولكن العقل الإنساني تفوق على الحيواني، حيث اصطاد الإنسان الحوت الأزرق الكبير وأكله، وأمسك بأسرع فهد في العالم ووضعه في أقفاص حدائق الحيوان، وسلخ جلد التمساح وصنع منه حذاء له، لذلك، الذي خلق وبرمج عقل الإنسان بالتأكيد هو عقل أعلى وعياً وقدرة وحكمة وعظمة منه، وهو عقل الخالق.

لذلك، الوجود نوعان "وجود تام، ووجود ناقص"، الوجود التّام هو أن يوجد المخلوق ويفهم، والوجود النّاقص هو أن يوجد المخلوق ولا يفهم، الأول هو الانسان وهذا هو شرفه، والثاني هو الحيوان وهذا هو قدره.

يقول الفيلسوف البريطاني المشهور (أنطوني جيرارد نيوتن فلو) المعرف ب "أنطوني فلو" في كتابه "هناك إله There Is a God" بعد خمسين عاماً من الإلحاد، وتأليف أكثرممّا يزيد عن ثلاثين كتاباً في إثبات عدم وجود إله، يعترف أخيرا في كتابه "هناك إله" بوجود إله! حيث نسخ كل الكتب السابقة بهذا الكتاب الذي أعلن فيه وجود خالق وإله لهذا الكون وما فيه.

كتب فلو في كتابه "هناك إله" يقول أن التعقيد العالي والمثير للدهشة في شريط ال DNA في الخلية الحية، لهُ الدور الاكبر في أقناعهِ بأن هناك مُصمم عظيم، ويشير كذلك بأن أتساع معرفتنا عن علم الكون والفضاء لعبت دوراً هاماً في أقناعه بأن هناك مُصمم ذكي وراء كل هذا الكون، وقال بأنه صار يؤمن بإله واحد أحد، واجب الوجود، غيرمادي، لا يطرأ عليه التغير، مطلق القدرة، مطلق العلم، كامل الخير، لكنه رفض فكرة تجسّد الإله فى هيئة بشرية "المسيح"، وقد أُعلنت الحرب عليه من كبار المفكرين العلماء والفلاسفة الملحدين لاعترافه بوجود إله.

إنني أقول أن كتاب "هناك إله" الذّي ألّفه (أنطوني فلو) هو عبارة عن أفكار فلو وقطعة من عقله، ويدل وجود الكتاب على أن هناك من ألّفه، وتدل المعاني والأفكار الموجودة في الكتاب على الأفكار والخصائص والمعاني التي يحملها فلو، وكذلك الخالق، تستطيع أن تستدل من المصنوع على أن هناك صانع، ومن المخلوق على أنّ هناك خالق، ومن الموجود على أنّ هناك واجد، وأيضا تستطيع أن تستدل من بعض

خصائص المخلوق على بعض خصائص الخالق، فمثلا، الجمال الموجود في الوردة دليل على أن الخالق أجمل، والقوّة الموجودة في الجبال تدل على أنّ الخالق أقوى.

إنني أؤمن أن الايمان يكون في الغيب، والغيب هو كل شيء خارج الطبيعة ونظامها، والعلم والعقل لا يعمل ولا يفسّر ولا يؤمن الّا بكل شيء طبيعي و ملموس ومشاهد، ولهذا السبب تراه يرفض التسليم بالخالق ولا يؤمن به، لأنه محجوب عنه، وهذا برهان غير مقبول، لأن العقل والعلم اذا بحث في الطبيعة والأشياء الملموسة والمشاهدة، فمن الطبيعي أنه لن يجد الخالق فيها، لأنه في مجال غير طبيعي، ولكي يجدهُ ويشاهدهُ عليه أن يبحث عنه وراء الطبيعة وفوقها، وهذا مستحيل! كما أن القوانين والعلوم بشتى أشكالها وألوانها وتصنيفاتها لن تستطيع من خلالها الوصول الى الخالق، لأنّها تعمل في المجال الطّبيعي!

إن التفسير الوحيد والمنطقي لوجود الوجود وما فيه وعلى رأسه "الإنسان" هو أن هناك خالق وواجد له ولكل شيء، وهذا الخالق هو (الله تبارك وتعالى) هو رب السماوات والأرضين، هو رب الحجر والشجر، هو رب الإنسان والحيوان، هو رب المسلم والمسيحي واليهودي والمجوسي والبوذي والاجنبي والعربي، هو رب ما نعلم ومالا نعلم، هو رب كل شيء.

قال تعالى: الله خالق كل شيء (الاية رقم 62 من سورة الزمر).

#3 هل المادّة هي الصانع أم الله تبارك وتعالى؟

هناك دليل النّظم والنّظام "برهان النّظم"، وهو دليل العناية والدّليل الغائي، والذي شبّه الكون بالسّاعة الدقيقة المنظّمة، لها هدف وغاية، وأنّ هناك مصمّم ذكي صنعها وأوجدها، هذا الدليل له ثلاثة مقدّمات: الأولى "حسّية"، والثانية "عقليّة"، والثالثة "النتيجة"، وهنا السؤال: هل النتيجة هي المادة أم الله؟

لو أخذنا "السماء" كمثال، سنجد أن "المقدّمة الحسيّة" بالنسبة للسماء هي أنّني الآن أمام صناعة طبيعيّة، وعيني تشاهد هذه السّماء العظيمة والواقفة بغير عمد.

أما "المقدّمة العقليّة" بالنسبة لمشاهدتي للإنسان مثلا، هي أنّني أرى نظام دقيق في بناء هيكله وجسده الجميل، كما أن هناك أجهزة مُعقدة ومصممة بطريقة عبقرية في حشوته، والتي لها وظائف غائية تقدمها.

النّتيجة: هي أن هناك صانع ذكي ومُصمم مُبدع ومُنظم ومُقنن دقيق، والنتيجة تتطلب تحديد هويّة هذا الصانع، وهناك احتمالين فقط لا ثالث لهما، وهما إما "المادّة"، وإمّا أنّ هناك خالق "الله سبحانه وتعالى".

وهذا ينقلني إلى جملة من الأسئلة والإستفهامات لتحديد هوية هذا الصانع:

الأوّل: هل للمادّة عقل وفكر؟ هل للحائط عقل؟ هل للكرسي عقل؟ هل أتى العقل صدفة؟ وهل للصّدفة عقل؟! كيف نشأ العقل من اللّاعقل؟ كيف نشأ الفكر من اللّافكر؟ كيف نشأ الوعي من اللّاوعي؟ كيف جاءت العلوم؟ من الذي أوجد العلوم؟ ومن هو أصل المعلومة؟

لايمكن لأحد أن يعطيك من علم الرياضيات الا اذا كان المالك المطلق لعلم الرّياضيات! ولا يمكن لأحد أن يعطيك من علم الفيزياء الّا اذا كان المالك المطلق لعلم الفيزياء! ولايمكن لأحد أني يعطيك مالاً الّا اذا كانت خزائن المال بحوزته! ولا يمكن لأحد أن يبسط الأرض لك الّا اذا كانت الأرض وما فوقها وتحتها خرجت من بين يديه وهي بين يديه! وبذلك من منح الانسان العلم لابد أن يكون العليم، ومن أعطى الانسان القوّة لابد أن يكون الأقوى، ومن رسم هذا الجمال في الطبيعة لابد أن يكون الأجمل، ومن صنع المكان وقيده بالزّمان لابد أن يكون مفارقاً لهما، كيف تقول لي بالله عليك أنّ النتيجة هي المادّة؟! هل يُعقل أن أصدق أن المادة لها فكر وعلم ووعي ويد تخطط وتصنع بها!؟ وهل أنا أبله لأصدق هذا السخف!؟ نحن نتحدّث عن وعي خارجي عظيم، يتميز بالحكمة والقوة والدقّة والعظمة، يتصف بالجمال وبحوزته خزائن المال، نحن نتحدث عن خالق له الأسماء الحسنى والصفات التامة، نحن نتحدث عن الله تبارك وتعالى.

ولماذا قلت أنه الله، لأنه هو من قال لي في كتابه أنه الله، قال تعالى: قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد (الآية 1،2،3،4 الإخلاص).

قال تعالى: أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (الآية رقم 17 إلى 22 من سورة الغاشية).

وقال تعالى : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (الآية رقم 164 من سورة البقرة).

وقال تعالى : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (192) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (الآية من رقم 190 الى 194 من سورة آل عمران).

الثّاني: هل للمادّة مشاعر وأحاسيس؟ هل يبكي التراب؟ هل يصرخ الباب؟ هل يضحك التّلفاز؟ هل يجوع القلم؟ في المقابل كل الكائنات والمخلوقات الحيّة وعلى رأسها الإنسان منسوجة من مشاعر وأحاسيس وشهوة وغريزة، هذه دراما المشاعر ولوحة الأحاسيسي من الذي رسمها؟ من الذي جبلها في نسيجنا؟

هل يعقل بكل سذاجة وتفاهة أن تقنعني بأنها المادّة؟ بالتأكيد أنّه حي ويألم لألم الإنسان، ويغضب للتمثيل بالحيوان، إنه الخالق، إنه الله تبارك وتعالى، قال تعالى: وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (الآية 43 من سورة النجم).

الثّالث: هل تستطيع المادّة أن تميّز الصّح من الخطأ؟ هل تستطيع المادّة أن تميّز الحرام من الحلال؟ هل تستطيع المادّة أن تميّز الخير من الشّر؟ حسب بعض الدراسات التي بحث فيها كبارالعلماء في علم سلوك الانسان، انتهوا فيها إلى أن الانسان قبل ان يقدم على فعل شيء، فإنه يستطيع أن يميز هل هذا العمل خيرأم شر؟ من الذي برمج ذلك في أعماقنا؟ من الذي وضع هذه البوصلة في نواتنا؟ وكيف يستطيع الانسان تمييز الأشياء قبل الإقدام على فعلها؟ لماذا قال الملحد أن الظلم والكذب خطأ، وأن القتل والسرقة جريمة! كيف عرف الملحد أن هذا الفعل خطأ؟ هذا يؤشر لي على أنه يوجد داخل الانسان شيء يمكن أن أسميّه "ميزان أخلاقي" أو "بوصلة أخلاقة" والتي من خلالها علِم أن هذا الشر شر، هل يُعقل أن تكون المادة التي لا تُميز الصح من الخطأ، ولا تعرف شيئاً عن الخير والشر والحلال والحرام هي الفاعل؟! طبعاً من السخف أن أصدق هذا، إنّه الخالق منبع كل خير، إنه الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (الآية رقم 90 من سورة النحل).

وقال تعالى: فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (الآية رقم 7 و 8 من سورة الزلزلة).

#4 هل المادة أزلية، أم أن الله هو الأزلي؟

يقول التيار الإلحادي أنه من الناحية العلمية فإنّ المادّة أزليّة وأبديّة وغير قابل للتّجزئة وللتدّخل فيها والتّعامل معها، ولا يطرأ عليها تغيير، وتكون متحرّرة من الزّمان والمكان، ولكن هل هذا صحيح؟

عندما نقول أن المادة أزلية يعني أن المادة يجب تكون بسيطة وليست مركّبة، لكن لو نظرنا إلى الكون ووحدة بنائه -وهي الذرّة- سنجده أنه عبارة عن بروتونات ونيوترونات وإلكترونات، وهذا يعني أن الكون مركّب وليس بسيط، وبالتالي فإن المادة مركّبة وليس بسيطة، كما أننا سنجدها قابله للتجزئة، ويمكن أن نحلّلها ونتعامل معها وأن نصنع عناصر منها، لذلك يطرأ عليها التغيير، وهي مقيّدة بالزّمان والمكان، وبالتالي فإن المادّة ليست أزلية ولا أبديّة!!

كما أنني لو تطرقت لنظريّة "الانفجار العظيم Big Bang Theory" للعالم الفيزيائي الروسي (جورج جاموف) سنجد أن للكون بداية، حيث أن الانفجار العظيم حادث كوني وقع قبل "15 بليون" سنة عندما كان الكون كله مضغوطاً في جزيء ذري واحد بشكل نقطة واحدة أطلق عليها العلماء اسم "الذرة البدائية" أو "الحساء الكوني"، وأن حجم هذه النقطة كان يساوي الصفر وكتلتها لا نهائية، أي أن الكون كان عبارة عن طاقة خالصة، وأن الصيغة النهائية التي يمكن اختصار النظرية بها هي: "أنه قبل 15 بليون سنة وقع انفجاراً هائلاً في ذرة بدائية كانت تحتوي على مجموع المادة والطاقة، وفي اللحظات الأولى من الانفجار الهائل ارتفعت درجة الحرارة إلى عدة تريليونات، حيث خلقت فيها أجزاء الذرات، ومن هذه الأجزاء خلقت الذرات، وهي ذرات الهيدروجين والهليوم، ومن هذه الذرات تألف الغبار الكوني الذي نشأت منه المجرات فيما بعد، ثم تكونت النجوم والكواكب ـ وما زالت تتكون ـ وفي غضون ذلك كان الكون وما زال في حالة تمدد وتوسع، وبذلك فان الانفجار العظيم أدى ليس فقط إلى ظهور جزيئات ذرية جديدة بل إلى وجود مفهومي الزمان والمكان اللذان كان يستحيل الحديث عنهما قبل المادة.

هناك العديد من العلماء الذين أسسوا لنظرية الانفجار العظيم، ولكن كان أبرزهم: القس البلجيكي (جورج لو ميتيرGeorge Le Maitre) والذي اقترح سنة 1927 صورة جديدة لنشأة الكون وتطوره، وقد وافقه على ذلك (جورج جاموف George Gamov) والذي كان أيضا أحد مؤسسي النظرية.

وهذا يؤكد على أن الكون ليس أزلي ولا أبدي، وله بداية، وبالتأكيد سيكون له نهاية، اذن هناك يد خلف هذا الإنفجار وخلف خلق الكون، وبالتأكيد أن الخالق هو الأبدي والأزلي، لأنه هو عِلة ولادة هذا الكون والمادة التي يتكون منها.

أيضاً، ينادي علماء الإلحاد الذين يؤمنون بالعلم أنّ الكون أزلي وأبدي لأنه يتجه نحو البناء والتطوّر والتعقيد، وهذا غير صحيح علميّاً، لأنه مخالف تماما للقانون الثاني للثّيرموديناميك والذي يوضّح أن هناك نهاية حتميّة للكون! وقد بيّن بعض العلماء أن الكون يتّجه نحو التفكك والهدم والبرودة والموت الحراري عندما تتساوى جميع الأجرام والجسيمات، اذن، الكون والمادة ليست أبدية ولا أزلية وتسير نحو الكفت والفناء! ولقد وضّح عالم الفلك (دينيس سكايما) والذي أشرف على بحث العالم الفيزيائي (ستيفن هوكينغ) حول الكونيات أنه وبعد كثرة الأدلة التي تدحض أزلية الكون، فإنه يجب التخلي عن نظريّة الكون المستمر الأزلي، وعام 1980م أطلقت ناسا قمرا يدعى "كوبى" حيث جمع هذا القمر خلال 8 دقائق براهين على أن

الكون مُحدث، وأنه له بداية بسبب انفجار عظيم! وبهذا يكون العلم نفسهُ هو من قصم المادّية وأزلية الكون، بل إنه زاد على ذلك أن هناك علّة غائيّة من وراء ولادة الكون، وأن هناك سبب لوجوده.

اتضح لنا بالعلم أن المادة ليست أزليّة، وأن كل ما ذُكر بخصوص هذه الجزئية على لسان علماء المادة والإلحاد كله هراء، اذن، يتبقى لدينا الاحتمال الثاني، وهو أن الخالق هو الأزلي والأبدي والسرمدي، لأنه هو من وراء ولادة وخلق وتفجير هذا الكون، وهو (الله تبارك وتعالى).

قال تعالى: ألم يروا الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما (الآية رقم 30 من سورة الأنبياء).

#5 ما الدّليل على أنّه إله واحد؟

هناك قانون مبرمج في عقل الانسان، وهو قانون السببية، والذي يقول بأن لكل شيء واجد وسبب، لذلك نجد العقل البشري بسبب هذا القانون يرشّح مفهوم أن هناك خالق وواجد واحد فقط، لأنه يرى أنّه في الوحدة كمال التّنزيه، لذلك يوجد رئيس واحد للدولة، وزعيم واحد للقبيلة، ومديرعام واحد للإدارة، فبالتّأكيد أنّ هناك خالق واحد لكل شيء.

وتخيل معي أنه لو كان هناك رئيسين للدولة، بالتأكيد لحدث بينهما نزاع عظيم على الكرسي، كالحرب الأهلية الحالية القائمة في السودان على الحكم بين رجلين، الأول "عبد الفتاح البرهان" قائد الجيش السوداني ورئيس مجلس السيادة، او -حاكم الأمر الواقع كما يطلق عليه- والثاني "محمود حمدان دقلو- حميدتي" قائد قوات الدعم السريع أو الميليشيا الموازية للجيش.

هذه الحرب تركت وراءها دمارًا هائلاً ومعاناة إنسانية لا تُطاق، ورغم الجهود الدولية الحثيثة، لا تزال بوادر الوصول إلى حل بعيدة المنال في ظل اشتداد حدة الصراع مع مرور الوقت من أجل الجلوس على هذا الكرسي.

ولهذا الدّاع الخالق هو واحد، ولو كان هناك أكثر من خالق "إله" لحدث بينهما صراع على الحاكمية! إذن، الخالق هو واحد، وهو الوحيد الحاكم على الوجود وما فيه، ومن هنا جاء التّوحيد بالدليل العقلي.

قال تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (الآية رقم 22 من سورة الأنبياء).

#6 ما الدّليل على أنّ هذا الخالق هو الله وليش شيئاً آخر؟

ما الدّليل على أنّ هذا الخالق هو الله وليس التطور أو القوانين أو المادة أو أزلية الطبيعة أوالكون أوالإنسان أو تعدد الأكوان أو كائنات فضائية أو غيرها؟ ما الدّليل على أنّ هذا الخالق هو الله وليس شيئاً آخر؟

الدليل هو "الكتاب"، التنزيل الحكيم والمصحف الكريم والقرآن العظيم هو الدليل على أن الخالق هو الله وليس شيئاً آخر، لأن هذا الكتاب الديني والتشريعي خاطب البشرية جمعاء، حيث قال فيه الخالق أنه هداية روحيّة لهم من وحي السماء، وقد أثبت ذلك من خلال تلميحاته على بعض الظواهر العلمية، هذه الظواهر تم رصدها وتأكيدها من قبل العلم الحديث على يد العلماء المؤمنين والملاحدة وأصحاب الإتجاهات الأخرى، وهذا التأكيد أثبت بدوره أنه ليس كلام مُنمق أو تأليف بشري أو غيرها، وإنما كلام وتأليف رب البشر ورب كل شيء.

وما زال هذا الكتاب يكشف لنا كل يوم أنه مُنزل من الخالق، كآيات خلق الجنين ومراحل تطوره في قوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (الآية من 12 الى 14 من سورة المؤنين) هذه الآيات التي كانت سبباً في إسلام الطبيب والعالم الكندي الملحد (كيث مور) في القاهرة عام 1986م.

كما أن هذه الآيات في سورة النجم في قوله تعالى: "أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا *وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى *مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى" كانت سببا في تحول المفكر الألماني الدكتور (مراد ويلفريد هوفمان) من المسيحيّة إلى الإسلام، حيث توقف عندها كثيرًا و حدث نفسه بأن هذا هو الحل لكل القضايا التي تشغل باله منذ صغره، ودخل في قلبه يقين بأن هذا الكتاب حق، وأردف يقول أن هذا الكلام لابد أن يكون من -إله- حقًا، كما أنه شعر بأن هذه الآيات موجهة إليه من الله سبحانهُ، وتوضح له أن قضية التثليث قضية غير صحيحة.

كما أن هذا الكتاب يتناسب مع الإنسان ويحفظ حق وجوده ويواكب مجريات الحياة في كل الأزمان وكل العصور، حيث نجدهُ أنّه كرّم المرأة وحماها بحصنه من سهام الجاهلية بعد أن كانت مضطّهدة ومقهورة ومظلومة ويتم وئدها وهي على قيد الحياة، كما أننا نجدهُ أنّه ساوى بين الأبيض والأسود وبين كل الأجناس والأعراق والألوان، كما أننا نجدهُ أنّه أخبر المسلم بأنّه لا إكراه في الدّين، وأن كل انسان له حريّة اختيار دينه وإلهه، كما نجدُه أنه جعل الميزان والتفاضل بين الناس ليس للغنى أو للقوي أو للأبيض أو للنسب أو للمنصب أو للجنس أو للحركة أو للطائفة، وإنما للأتقى -إن أكرمكم عند الله أتقاكم- ولا يوجد أي حزب أو حركة أو منظمة أو جماعة أو فرقة إلا وانتهت واندثرت عبر التاريخ، وهذا يدل على أن الإنسان لا يمكنه وضع دستور شامل وكامل يواكب ويدوم وتتعاقب عليه العصور والأزمان والقرون ويتناسب مع الإنسان والتغيرات وتطور الحياة، مما يؤكد على أن القرآن -الكتاب- هو الحق لإثبات لياقته على مرّ العصور، وأنه هو المنقذ الأوحد للبشرية، لأنه الوحيد الذي نجدهُ تعاطى مع العصور البدائية والمتقدمة والرقمية، وهذا يدل على ان واضع هذا الكتاب هو خالق كل شيء والذي يعلم أحداث الكون وما سيجري ويحدث فيه من البداية

وحتى النهاية، كما أنه يعلم حاجة الانسان من حقوق وما عليه من واجبات، وهذا الخالق هو الله تبارك وتعالى.

لماذا هذا الخالق هو "الله"؟ لأنهُ عرّف على نفسه للنوع الإنساني قائلا: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد (الايات من سورة الإخلاص) قال لنا هذا الخالق: قل أنا "الله"، وليس التطور وليس المادة وليس بشر وليس قانون وليس كائن فضائي وليس أزلية الكون ولا المادة ولا الانسان وليس أي شيء آخر، أخبرنا أن إسمهُ هو "الله"، كما أنه سبحانهُ وضح لنا طبيعته أنه ليس بشراً أو كائناً يتوالد ويتكاثر، وأنه ليس له أب أو أم -بمعنى أنه ليس جنس- وأنه يختلف تماماً عن كل ما يمكن أن تتصوره، فقال تعالى: ليس كمثله شيء (الاية رقم 11 من سورة الشورى).

يقول المفكر السياسي الايرلندي (ادموند بيرك) عن القرآن -الكتاب- قائلاً: "كلّما ندقّق في القرآن نرى كماله وعلوّه، يجذب المرء أوّلا ثمّ يبهره ويحيّره ويجعله شغوفا به، ويجبر المرء على احترامه وبذلك ترى تأثيره في الأعماق".

وتقول المستشرقة الألمانية (آنا ماري شيمل) وهي أشهر المستشرقين الألمان على المستوى الدولي، وهي بروتستانتية -أحد مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحي- تقول عن القرآن -الكتاب- ما يلي: "القرآن هو كلمة الله، موحاه بلسان عربي مبين، وترجمته لن تتجاوز المستوى السّطحي، فمن الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغه؟".

أمّا الكاتب الإسكتلندي والناقد الساخر والمؤرخ (توماس كارليل) كتب عن القرآن -الكتاب- يقول: "القرآن هو الكتاب الذي يقال عنه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون".

والأديب الألماني (يوهان فولفغانغ فون غوته) نثرعن القرآن -الكتاب- هذه العبارة: كلّما قرأت القران شعرت بروحي تهتز داخل جسدي".

والمصلح الاجتماعي وداعية السلام والمفكر الأخلاقي الرّوسي (ليو تولستوي) عبر عن رأيه في القرآن -الكتاب- قائلاً: "سوف تسود شريعة القرآن العالم لتوافقها وانسجامها مع العقل والحكمه".

والمؤرخ والكاتب الفرنسي (أرنست رينو) صرّح معتقداً عن القرآن -الكتاب- يقول: "لو أراد أحد أن يعتقد بكتاب نزل من السّماء، فإن هذا الكتاب هو القرآن لا غير، اذ أنّ الكتب الأخرى ليس لها خصائص القرآن".

بينما الفيزيائي الفلكي اليهودي والأمريكي (مايكل هارت) صاحب كتاب "الخالدون المئة" كتب يقول عن القرآن -الكتاب- ما يلي: "لا يوجد في تاريخ الرّسالات كتاب بقي بحروفه كاملا دون تحوير سوى القران الكريم".

وأختم بالبروفيسور الياباني (يوشيودي كوزان) الذي وصف القرآن -الكتاب- بهذه الجملة: "إن هذا القران يصف الكون من أعلى نقطه في الوجود، إن الذي قال هذا القرآن يرى كل شيء في هذا الكون، وكل شيء مكشوف أمامه".

ولو لم يكن واضع هذا الكتاب والذي هو منهج البشر وطريقهم الى النّجاة والى الصراط المستقيم واحد فقط -الله سبحانهُ- لحدث خلل كبير ولأصبح الدّستور مطّاطاً، لأن الانسان حينها هو من سيضع دستوراً وكتاباً لنفسه لكي يدير شؤون حياتهُ وحياة غيره، وإن حدث ذلك وقد حدث في بعض الدول التي يحكمها العلم

والمادّة والإلحاد الذين سطّروا كتاباً ودستوراً عِوضا عن كتاب الله، والنتيجة كانت هي الفوضى، حيث تم التلاعب فيه وأصبحت حياة الإنسان غير مستقرة، فالناس أجناس وعقولهم متفاوتة ومتنوعة، فتفكيرك يختلف عن تفكيري، ونسبة ذكائك تختلف عن نسبة ذكائي، واستيعابك يختلف عن مقدار استيعابي، ورؤيتي وتحليلي للأمور والتوقعات تختلف عنك، أيضا زمانك يختلف عن زماني، وأدواتك تختلف عن أدواتي، لذلك سيضطر الإنسان إلى نسخ مواد كثيرة من هذا الدستور، وتغييرها واستبدالها بما يتناسب مع أهوائه ورغباته وأغراضه وشهواته وزمانه وعصره ومجتمعه وحاشيته، والتي كانت في النهاية نتيجتها القتل والحروب.

فظهر السياسي الألماني النازي (أدولف هتلر) مؤسس حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني، والمعروف باسم "الحزب النازي" القائم على التمييز بين الأجناس والأعراق، وأن البقاء فقط للعرق الآري، حيث كان هتلر سبباً رئيسياً في المحرقة واندلاع الحرب العالمية الثانية، وقتل ستة ملايين يهودي، وتعذيب عشرات الملايين من الناس الذين عانوا وماتوا بسبب جنونه، واستحق أدولف هتلر لقب "الديكتاتور"، كما أنه لقّب نفسهُ ب "الفوهرر".

كما وظهر أخطر الزعماء في الإتحاد السوفيتي وهو (جوزيف ستالين) والذي مارس القوة والسلطة السياسية في روسيا أكثر من أى شخصية أخرى فى التاريخ، ولقي أكثر من 20 مليون فرد من شعبه حتفهم خلال 29 عاما التي حكم فيها بسبب أوامره بالقتل وقسوة الجوع.

وظهرت الملكة (مارى الأولى) ملكة إنجلترا، وهي أول امرأة تعتلي عرش إنجلترا، حيث حكمتها بالحديد والنار، وبسبب عقيدتها الكاثوليكية واجهت ماري بعنف وقسوة دعاة الإصلاحات البروتستانتية، فكانت تتنشق كل يوم رائحة اللحم البشري المطبوخ من الطائفة البروتستانتية وغيرهم الكثير.

وظهر زعيم الحزب الشيوعي الصيني (ماو تسي تونغ) والذي كان يرى أن جميع الحيوانات السُّفلية سوف تعدم، وكل من وقف ضد الثوره هو خطأ تطوّري، وكانت النتيجة خمسين مليون قتيل صيني.

وظهر الثوري الروسي الماركسي وقائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية (فلاديمير أليتش أوليانوف) المعروف ب "لينين"، والذي كان يرى أنه لا رحمه لأعداء الشعب بل كان يقول: اقتلوا واشنقوا وصادروا .

وظهر الفيلسوف الألماني، والاقتصادي، وعالم الاجتماع، والمؤرخ، والصحفي الاشتراكي (كارل ماركس) والذي كان يقول: ليس لدينا من شفقة لكم ولا نسألكم الشفقة.

والكثير مِمَّن قاموا بخلق دستورهم الخاص لهم ولحاشيتهم، متغاضيين ومبتعدين ومُلقيين دستور الله تعالى -القرآن- جانباً، وقاموا بفصله عن الحياه، وكانت النتيجة هي انحطاط الحضارة الانسانيّة وقتل الملايين بسبب الآتي:

1- العبودية: من حق الانسان الأوروبي استعباد الانسان الافريقي "الأبيض سيّد والأسود عبد للأبيض".
2- العنصرية: أرقى جنس هو الجنس الأوروبّي، وأسقط وأوضع جنس هم العرب وبالتّحديد المسلمين.
3- الانتهازية: المريض والضّعيف والغير متكيّف عليه أن يرحل من هذه الحياه.
4- الاستعمارية: البقاء للأقوى، يعني البقاء لأميركا وإسرائيل، لإنّهما صاحبتا الحضارة بالأدوات التي امتلكوها واخترعوها.

5- جنون العظمة والكبرياء والإيجو: أشخاص عديموا الرّحمة، ومجرمون وقتله، وتعجز كل الكلمات عن وصف وحشيّتهم أمثال من ذكرنا آنفا.

ولكن هؤلاء المجرمين قذفوا في مزبلة التاريخ، وانتهى حكمهم وتبخرت فرقهم وتفككت أحزابهم ومحيت دساتيرهم وقوانينهم وتشريعاتهم، لأنها لم تكن لصالح الإنسان لا في زمانهم ولا في زمان غيرهم، فضلا على أنها دمّرت الإنسان وسحقته ومحقته.

قال تعالى: ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين (الآيات من سورة البقرة).

#7 ما الدّليل على مُقنن القانون هو واحد؟

القانون على الأرض هو واحد، وهذا يدل على أن مقنّن القانون هو واحد فقط، ولو كان هناك أكثر من مصدر للقانون لوجدنا أن هناك أكثر من قانون يضبط هذا الكون، ولكن حسب ما نراه في العين المجرّدة وفي محيط العلوم أن كل شيء يؤشر على أنّ هناك قانون واحد يحكم الكون.

ومن الدلائل العلمية على أنه واحد هو ان ظواهر الكون مُتسقة بقانون واحد يضبطها، مِمّا يؤشر على أن الذي كتب القانون هو واحد، ولو كان هناك اكثر من مصدر لوجدنا أنه لكل ظاهرة واحدة قانونين يحكمها على الأقل، وبهذا لن يكون هناك نظام في الكون، وسيفقد اتساقيّته.

فمثلا، هناك قانون إلهي "قانون طبيعي" نشاهده كل يوم، وهو أن الشمس تشرق من جهة الشرق وتغرب من جهة الغرب، هذا القانون الطبيعي يحرك الشّمس ولكنّه لم يخلقها، لقد شاهدنا هذا القانون وأبصرناه، ولم يحدث ولو لمرّة واحدة أن أشرقت الشمس من الشمال وغربت في الجنوب!؟ كما أن كل فلاسفة وعلماء الأرض من فلكيين وفيزيائيين ورياضيين وغيرهم لم يستطيعوا وضع وإسقاط هذا القانون الطبيعي في قانون رياضي لكي يتحكّموا بحركة الشّمس؟! وهنا دلالة على أن هذا القانون يتحرّك بواسطة يد الخالق وحدها، والتي كتبت هذا القانون الطبيعي وحركته، قال تعالى: والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز الرحيم (الاية رقم 38 من سورة يس).

ولو كان هناك أكثر من إله على سبيل المثال، لكان هناك أكثر من مسار للشمس، فإله يخرجها من الشرق، وآخر يظهرها من الشمال، وبالتالي يصبح لدينا قانونين لظهور الشمس، لكن ما نراه منذ ان خلق الله السماوات والأرض والانسان، ان الشمس تشرق من الشرق وتغرب من الغرب، وهذا قانون طبيعي وإلهي نراه كل يوم بأم أعيننا، ويدل بشكل واضح على أن مقنّن القانون هو واحد، وهو الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (الآية رقم 91 من سورة المؤمنون)

قال تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (الآية رقم 22 من سورة الأنبياء).

#8 من الذي وحّد كيميائية الدماغ الإنساني؟

لو تحدثت عن آليّة عمل العين وكيف نرى الأشياء، سنجد أن العين تعمل على رؤية الأشياء المحيطة بنا بآلية يعرفها العلماء منذ قرون، فالضوء يدخل عبر العدسة مصطدمًا بالشبكية الواقعة في الجزء الخلفي من العين، والتي تنقله بدورها عبر العصب البصري إلى القشرة الدماغية البصرية، وهو الجزء المسؤول عن تفسير المرئيات في الدماغ، ثم يبدأ الإدراك البصري بامتصاص الضوء -أو بشكل أكثر دقة بامتصاص مجموعات صغيرة منفصلة من الطاقة تسمى الفوتونات أو وحدات الكم الضوئي- بواسطة ما يُعرَف بالمخاريط والنبابيت الواقعة في الشبكية "تُستخدم المخاريط للرؤية النهارية، أما النبابيت فهي مسؤولة عن الرؤية الليلية"، هذه آلية عمل العين وكيف نرى الأشياء، وهذه مقدمة مختصرة كي أتحدث عن الخداع البصري.

ظهر فن الخداع البصري لأول مرة في منتصف عشرينيات القرن الماضي، ويُعرف بأنه رؤية خادعة أو مضللة، تُصور للنّاظر مرئيات على غير حقيقتها؛ إذ ترى العين الأشياء على خلاف حقيقتها، نتيجة مُعالجة خاطئة للدماغ.

وفي منتصف الثلاثينيات، تمكن فنان الجرافيتي (فيكتور فازريلي) من ابتكار أول عمل تم تصنيفه كلون من ألوان الخداع البصري؛ حيث صمم لوحة فنية مؤلفة من خطوط متموجة سوداء وبيضاء، ووضع داخلها حمارًا وحشيًّا تصعب ملاحظته دون تدقيق، وتوال العمل على فن الخداع البصري، حيث نشر عالم النفس الياباني (أكيوشي كيتاوكا) صورة على صفحته الشخصية بموقع فيسبوك، الصورة تحتوي على خطوط رمادية متقاطعة، تُشكل شبكة هندسية تسمى بمربع الألوان المتباينة، وتتألق في داخل المربع اثنتا عشرة نقطة سوداء، وغيرها الكثير.

وعلى الصعيد ذاته يقول الدكتور (أحمد سعيد إبراهيم) الباحث في مجال طب العيون بالمركز القومي للبحوث، أن المشاهدة الخادعة للنقاط السوداء في مربع الألوان المتباينة تعود إلى عدم قدرة العقل على تمييز كل ما تقع عليه العين مرة واحدة وفي الوقت ذاته، إذ إن القشرة المخية في الدماغ هي المسؤولة عن تفسير الصور التي ينقلها مركز الإبصار في الشبكية، مشيرًا إلى أن الخطوط المائلة المتقاطعة تجذب التركيز أكثر من الخطوط العمودية أو الأفقية، قائلاً في تصريح لـ"للعلم": "إن العقل لا يستطيع استيعاب ذلك كله، وبالتالي ينتبه للنقطة الموجه إليها مركز الإبصار أولًا، ويتجاهل النقاط الأخرى، وبالعكس مع كل حركة لمركز الإبصار تجاه هذه النقاط"، ووفق دراسة نشرتها الباحثة بكلية التربية الفنية في جامعة أسيوط المصرية "إسراء حامد" فإن التفسير العلمي لذلك أنّ هذه النقاط السوداء لا وجود لها أساسًا داخل المربع، مشيرةً إلى أن التأكد من صحة تلك الفرضية يتم عبر تغطية أحد الأشرطة السوداء باليد. ويمكن تفسير ذلك باعتبار أن العين البشرية عاجزة عن التنقل بين لونين متعاكسين بسبب التباين الشديد بينهما، بمعنى أنها خُدعت أبصارنا من جرّاء هذا التباين الشديد بين اللونيين.

لذلك .. العين لا ترى إلا ما يراه العقل، وكذلك الجهاز السمعي وغيرها من الأجهزة كلها تتلقى الأوامر في نهاية المطاف من هذا الصندوق الأسود "الدماغ".

جرى حوار بيني وبين أحد المفكرين الملاحدة، حيث سألني هذا الملحد السؤال التالي: "أثبت لي علمياً بأن الله هو خالق كل شيء دون ان تقول لي -قال الله وقال الرسول- لأني لا أكفر بهما من الأساس"، فقلت له: "تؤمن بالعلم؟"، فأجابني: "أجل"، فقلت له: "أليس الدّماغ هو المسؤول عن اصدار الأوامر لأجهزة

الجسم؟"، فأجابني: "صحيح"، فقلت له: "الدماغ يعلم أن 1 + 1 = 2، ولا يمكن أن تساوي 3، وهذا مايسمى باليقين الرياضي"، فرد علي: "صحيح، ولكن لم أفهم إلى ماذا ترمي!"، فقلت له: "لا يمكن أن يصدر الدماغ إشارة لليد بأن تمسك هذه المعلقة، فيقوم الجسم بعمل حركة أخرى، كأن يقفز مثلا!"، فأجابني: "صحيح"، فقلت له: "الضوء الأبيض يدخل الى الدماغ، فيُترجم ويرسل عبر جهاز العين، والتي من المفروض أن ترى المخرجات كلّها باللون الأبيض من الناحية العلمية! ولكنّ هذا غير صحيح، فنحن نرى من خلال اللون الأبيض المُدخل إلينا بعد معالجة الدماغ له مخرجات من الألوان العديدة، كالأبيض والأسود والأخضر والأحمر وغيرها من الألوان! والعجيب والأعجب أن المخرجات لا تقتصر على رؤية الألوان فقط، وإنما على رؤية الأجسام والأشياء! فكيف تفسر هذا يا عزيزي الملحد؟!"، فأجابني: "لا أعلم"، فقلت له: "يبدوا أن العلم قد عجز عن تفسير كيف يرى الإنسان من خلال الإنارة البيضاء جميع الألوان والأجسام والأشياء، وأنا لا أتحدث عن وصف هنا، أنا أتحدث عن كيفية عمل الدماغ -ماذا يحدث عمليّاً عندما يدخل هذا اللون الأبيض في قلب الدماغ- يا عزيزي الملحد".

ثم ختمت نقاشي معهُ، فقلت له: "لم يكن هناك -كرسي- في العالم، لكن صانع الكرسي قبل أن يصنع هذا الكرسي كانت فكرة -الكرسي- ومعناه موجوده أصلا في دماغه، ثم قام بإخراجه الى حيّز الوجود، اذن، كانت الفكرة والمعنى أصالة مزروع في دماغ صانع الكرسي، السؤال: من الذي وضع الفكرة وزرعها في رأسه؟ مع العلم أنني لو قمت بجلب صيني وأمريكي وعربي ووضعت أمامهم هذا الكرسي، فإنك ستجد الجميع سيتبادر الى ذهنه أن هذا الشّيء نجلس عليه -مع اختلاف لغاتهم وأشكالهم وألوانهم وجنسيّاتهم وأعراقهم- وسؤال آخر: من هذا المبرمج الذي برمج هذه الفكرة في كيميائيّة أدمغتنا على اختلافنا؟ بالتأكيد أنّ هذا المبرمج -واحد- لأنّه لو كان لدماغ الإنسان أكثر من مبرمج لهذه الفكرة فإن الأمريكي سيرى بطريقة تختلف عن الصيني وعن العربي!؟ لكنّهم جميعاً رأو الكرسي بنفس الهيئة والطّريقة، اذن، فكرة الكرسي ومعناه مزروعة وموضوعة في دماغ النوع الإنساني مُسبقا! وهذا لا يقتصر على الكرسي فقط، بل على كل شيء يخترعه الانسان -كلها أفكار ومعاني مغروسة في أدمغتنا منذ القِدم، ويراها جميع النوع الإنساني بنفس السبك- وهذا أكبر برهان على أن هناك يد واحدة عملت على برمجت كيميائيّة دماغ النوع الإنساني على طول خطه بأن يعالج ويفسر الأشياء كمدخلات ومخرجات بنفس الأسلوب، وهي ذاتها من وضعت وزرعت فيه كل الأسامي والمسمّيات، وهذا المبرمج العبقري فائق الذكاء والحكمة هو الله تبارك تعالى، لأنه كما قلت آنفاً أنه التفسير الوحيد لذلك"، قال تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (الآية من 31 إلى 33 من سورة البقره) وقال تعالى: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (الآية رقم 31 من سورة البقرة).

#9 من هو الله؟ وهل هو كالأشياء التي خلقها؟

وصف أرسطو الله تعالى قائلا: "The Unmoved Mover" بمعنى: "المحرك الذي لا يتحرك"، المحرّك الذي أطلق الحركة في كل الكون ولم يحرّكه أحد.

لكن في رأيي المتواضع أن الله تعالى هو الخالق، والخالق يختلف عن المخلوق، لأن ماهية الخالق تختلف عن ماهية المخلوق، فنحن نؤمن بوجود الجاذبيّة ولكن لا نراها، ولكننا نرى تأثيرها، ولله المثل الأعلى، نحن نؤمن بالله تعالى لكن ليس بالضّرورة أن نراه -فتأثيره واضح في كل شيء من حولنا- كما أن الزّمان لا نستطيع أن نرقبه أو أن نراه وأن نجده في الأشياء من حولنا، ولا نستطيع أن نمسكه مع أنه يتخلل الطبيعة والأشياء ومحيط بها! وقد يكون الزّمان بعداً يوجد في الأشياء ومعها وحولها، ولله المثل الأعلى، فالله ليس شيئا كسائر الأشياء، ولا بعداً، ولا يُبحث عنه في داخل الأشياء أو في عرضها أو طولها أو في الطبيعة والكون، بل يُبحث عنه كواجد لأنه محيط بكل شيء وبكل بعد.

قال تعالى: ليس كمثله شيء (الاية رقم 11 من سورة الشورى).

قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (الآية 53 و54 من سورة فصلت).

ومرّة أخرى أكرر أن صفات الخالق تختلف عن صفات المخلوق، فنحن نستطيع أن نستدل من المصنوع على أن هناك صانع، ومن المخلوق على أنّ هناك خالق، ومن الموجود على أنّ هناك واجد، وأيضا نستطيع أن نستدل من بعض خصائص المصنوع على بعض خصائص الصانع، فمثلا، يوجد قدرة في رفع السّماء بدون أعمده ترونها، وهذا يدل على قدرة الله تعالى المطلقة، كما أنه يوجد جمال في الطبيعة وفي الكائنات، وهذا يدل على أن الذي خلق هذا الجمال هو أجملهم، وهو الجميل المطلق، كما أنه يجد قوّة في الجبال، وهذا يدل على الذي خلقها أقوى وأعظم، كما أنه يوجد حكمة وسبب وتقدير وغائية لوجود الأشياء، وهذا يدل على حكمة الله المطلقة في كل شيء، وبالتأكيد أن فاقد الشيء لا يعطيه، إذن، الله تعالى هو الخالق وله الأسماء والصفات والأفعال التامات والمطلقة.

قال تعالى: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (الاية رقم 110 من سورة الاسراء) وقال تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الاية رقم 23 و24 من سورة الحشر).

كما أن قوانين الخالق تختلف عن قوانين المخلوق، فبما أن الخالق خارج الطّبيعة ومحيط بها وبالكون وبكل شيء، هذا يعني أنه لا يمكن أن تُسقط عليه قوانين الطبيعة ومعادلات الرياضة ونظريّات العلم لكي تُثبت وجوده، لأن الله تعالى خارج الطّبيعة وهو مقنّن القوانين وواضعها والتي حكم بها الكون والاشياء، وبالتالي فان كل موجود له قانونه ومساره الذي يُسيّرهُ ويضبطهُ ويُنظمهُ، وهذا ينطبق على المخلوق والموجود، وليس على الخالق والواجد "الله سبحانه".

قال تعالى: قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(الآية رقم 285 من سورة البقرة).

ولا ننسى أن كل المخلوقات والموجودات تفتقر لمن يمنحها الوجود والحياة، والذي يمنحها ذلك هو الذي أوجدها، وهو الله تعالى، لأنه لا يحتاج الى من يوجده، فالوجود صفه ذاتيّة فيه، لذلك مرة أخرى، الله تعالى هو التفسير الوحيد لوجود الأشياء والكون وما فيه من الكائنات والموجودات، وغير ذلك مستحيل.

قال تعالى: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (الآية 62 من سورة الزمر)

#10 لماذا حجب الله تعالى ذاته عنّا؟

لماذ حجب الله تعالى ذاته عنّا في هذه الدنيا؟ ولماذا نسمع عنه فقط فيها؟ ولماذا قدر سبحانهُ أن نرى ما خلق، ولا يريد أن يظهر لنا عياناً في هذه الدّار؟

أعتقد أن الله تعالى لو أراد أن يُعلن نفسه لنا لأعلنها، وهذا لا يُقلل من شأنه حاشاهُ إذا قرّر أن يرينا ذاته الجليلة، لكن المسألة في نظري هي أنّه سبحانهُ يريد أن يجعلنا حُجة على أنفسنا في هذه الدنيا عندما تركنا أحراراً في إتخاذ القرار المصيري سواء بالتصديق أو بالتكذيب بشأنه، ولو أظهر سبحانهُ نفسه لنا في هذه الدنيا لما تجرّأ أحد على الكفر أو التكذيب أو الإلحاد به وبوجوده!

كما أنه في حال ظهوره سيكون وراء كل ذنب عقاب مباشر، بل إنه لن يُقدم أي كائن على معصيته بتاتا، والكل سيستقيم.

في بعض البلدان الغربية والأعجمية ككوريا الشمالية مثلا، إذا حلقت رأسك بصورة معيّنة خارجة عن المواصفات والمعايير التي أصدرها الحاكم فإنك ستُعدم مباشرة، وهنا حصل انضباط، ولكن انضباط قهر وخوف من هذا الحاكم "كم جونغ أون"، لكن الله تعالى لا يريد أن تكون علاقتنا معه علاقة قهر وخوف، وإنّما علاقة حب وشوق، قال تعالى : لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (الآية رقم 256 من سورة البقرة).

الله تعالى يريدك أن تأتيه طائعاً باختيارك أنت، حرّاً وليس مجبراً، لقد بين لك الحق والباطل، وأطلقك حراً مختاراً بأن تصلّي أو لا؟ أو أن تذهب للديسكو أو إلى المسجد؟ او أن تؤمن أو أن تلحد؟ لذلك لو تجلّى لنا سبحانهُ لألغي التّكليف وألغيت الأمانة والرّسالة، وبالتالي لن يكون هناك ثّواب أوعقاب.

قال تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (الاية رقم 99 من سورة يونس).

كما أن أحد الأسباب في نظري لحجب الله تعالى ذاته الشريفة عنّا في هذه الدنيا هو محدوديّة الانسان، فلا يستطيع المحدود رؤية الّلامحدود، أو حتى إمكانية استيعاب المشاهدة، أو حتى الإقتراب من ذلك، لأن جسد الانسان وطبيعته التي خلق منها في هذه الدنيا لا تمكنهُ من استيعاب أو الإقتراب من النظر اليه سبحانهُ، فالعين ترى انعكاس الضّوء من على مادّة، ولو كان الله تعالى مادّة لرأيناهُ، لكنه سبحانه وتعالى ليس مادّة، وليس كمثله شيء، لذلك لا يُمكننا رؤيته لا علمياً ولا منطقياً ولا تجريبياً حتى.

قال تعالى: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (الاية رقم 143 من سورة الأعراف).

خلق الله تعالى لنا الأشياء، وحدّدها وصوّرها لنا لكي نتعرّف عليه، ونتقرب منهُ سبحانهُ بمحدوديتنا من خلال هذه المخلوقات في هذه الحياة، حتى إذا متنا أعيد خلقنا وبعثنا بصورة أزلية تتناسب مع الكون الأزلي المقبلين عليه "الجنة والنار"، عندها والله تعالى أعلى وأعلم إن شاء سيمكننا من رؤية وجهه الكريم.

الله هو هو في ذاته، الله هو هو في تجلياته، والانسان لا يمكنه أن يقارب ذاتاً ليست كالذّوات من جميع الجهات، ولا يوجد أصلاً تصوّر بين التراب ورب الأرباب، وبين الخالق والمخلوق، وبين الواجد والموجود.

#11 هل الله تعالى يريد أن نراه أم يريد أن نتعرّف عليه؟

إنّ الله تعالى يريد أن نتعرّف عليه من خلال مخلوقاته وموجوداته، حيث خلق الانسان لكي يبحث عنه ويتعرّف عليه وفي النّهاية يصل اليه ويتواصل معه "اتصال روحي بيننا وبينه سبحانهُ".

كل المفكّرين والعلماء والفلاسفة الذين فكّروا وسألوا وبحثوا في الطبيعة والوجود بصدق، وصلوا الى أصل المعلومة وانتهوا الى اليقين بأن هناك إله، أمثال (أنتوني فلو) و (جيفري لانج) وغيرهم الكثير.

لذلك، كل مفكّر حقيقي ذهب في رحلة للبحث عن اليقين، ولو أراد شخص التواصل مع آخر فإنه سيسأل ويبحث عنه حتى يصل إليه، ومن أراد التّواصل مع هذا الإله العظيم عليه أن يسأل ويبحث عنه أولاً، ومن بحث عنه صادقاً مخلصاً سيجدهُ في كل مكان من خلال موجوداته ومخلوقاته، وبعد أن وجده سيبدأ بالتعرّف عليه وعلى أسمائه وعلى صفاته، وبعد أن تعرّف عليه سيعلم مدى حكمته وقدرته، وبعد أن علم قدره سيخشاهُ وسيعبدُ -وسيخضع لكل أوامره ويجتنب نواهيه- وبعد أن خضع وسجد له فإن العلاقة ستتحوّل من عبادة الى حب، وهذا الحب هو أجمل شيء وأسمى شيء وأروع شيء في هذا الوجود!

قال تعالى: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (192) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَاد(194) آل عمران.

#12 الله تعالى أين كان قبل أن يمكّن المكان؟

جاء في الحديث "الامام أحمد" أن رسول الله ﷺ سُأل: أين كان ربّنا قبل أن يخلق السّماوات والأرض؟ فقال ﷺ: كان في عماء، جاء عند علماء اللغة أن "العماء" يقصد بها "السحاب"، وقال البعض الآخر أن المقصود بها "السحاب الرقيق"، ولكنني عندما عدت إلى المعجم اللغوي وجدت المقصود بالعماء هو "الفراغ" أي في "لا شيء"، ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء.

قال تعالى: وكان عرشهُ على الماء (الآية رقم 7 من سورة هود).

وقال تعالى: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ (الآية رقم 54 من سورة الأعراف) استوى كما أخبر، وعلى الوجه الذي أراد، وبالمعنى الذي قال، استواءً منزهاً عن الحلول والانتقاص، فلا العرش يحمله، ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته، والكرسي وعظمته، الكل محمول بلطف قدرته، مقهور بجلال قبضته، فالاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة؛ لأنه تبارك وتعالى كان ولا مكان، وهو على ما كان قبل خلق المكان، لم يتغير عما كان، لا يحويه زمان، ولا يحده مكان، علم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"، هذا من ناحية الكيفية.

أما من الناحية اللغوية فالإستواء والعرش لها معاني ومصاديق لا أريد التطرّق إليها.

#13 هل رؤية الله تعالى هي سرّ نجاح العلاقة بيني وبينه؟

أعتقد أن الإجابة "لا"، فأنا أرى الكثير من الزملاء والأصحاب في الشارع وفي العمل وفي المقهى، ومنهم من أجلس معه يوميّاً، بل وإنه يوجد في سجل هاتفي أكثر من ألف رقم، ولكن لا يوجد حبل بيني وبينهم، ولم تفلح محاولاتي ولا محاولاتهم لكي ننشأ صداقة بدون مصلحة، إذن ليس بالضّرورة أن نرى الله تعالى لكي تستمر العلاقة.

إن رؤية وجه الله تعالى هي أجمل شيء في الأشياء، لكنّنا لن نراه في هذه الدّنيا، وإنما في الآخرة "الجنة" بعد اجتيازنا هذا المطب ونجاحنا في الاتصال الرّوحي معه والإيمان به في هذه الدار ونحن لم نراه فيها، وما أجمل أن نرى وجه الله سبحانه في الجنة وقد كانت هناك علاقة قويّة ورابطة روحيّة بيننا وبينه مُسبقاً، والتي هي في نظري أجمل من أن نبدأ علاقتنا معه بأن نراه في هذه الدنيا!

عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ، فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ، قَالَ تعالى: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وهي الزيادة، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ -لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَة-"، وقال جل شأنه: "لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد"، والمزيد هنا هو "النظر إلى وجه الله عز وجل" كما فسر ذلك علي و أنس بن مالك رضي الله عنهما.

#14 ما هو الدّليل على حكمة هذا الإله؟

هناك دليل يسمى ب"التّصميم الذّكي"، حيث يوجد فرق بين "مصمّم" وبين "صدفة عشوائية"، وكل شيء من حولك وحتى في نفسك يقدّم علامات ذكاء نقرأ من خلالها أن هناك مصمّم حكيم، كشيء معقّد محدّد لا يختزل، وهذا الدليل له 3 أركان:

أولا- تعدّد الأجزاء "وجود أجزاء مختلفة"، لها عدد معين لا يصلح أن يزيد أو ينقص، والكل ينتفع بالكل.

ثانيا- بينها ترابط وتناغم ونظام وتناسق دقيق جدّا، بحيث لو اختل أي جزء فسد الشيء.

ثالثا- تحكي غاية معينة لها قصد، وتؤدّي وظيفة معيّنة.

وهناك "دليل غائي"، والفيلسوف "أرسطو" تحدّث عن أربعة أنواع من العلل في هذا الباب: "الصّوريّة، الماديّة، الفاعليّة، الغائيّة".

ولو أخذنا الكرسي كمثال مرّة أخرى، هناك "كرسي" موجود، له شكل معيّن مستطيل مثلاً وهذه هي "العلّة الصّوريّة" .

ممّ صنع هذا الكرسي؟ من الخشب، هذه هي "العلّة الماديّة".

من الذي صنع الكرسي؟ النّجّار، هذه هي "العلّة الفاعليّة" .

لماذا صنع النجّار الكرسي؟ لنجلس عليه، هذه هي "العلّة الغائيّة"، وتكون العلّة الغائيّة هي أوّل شيء في ذهن الصّانع، حيث هناك قصد وهدف دقيق ومعيّن لصناعة الكرسي، وهو لكي نجلس عليه، وتكون هي آخر مرحلة من العلل الأربعة والتي تتحقّق في النّهاية.

كل شيء مخلوق له غاية وسبب لوجوده، وهذا يدل على ذكاء وحكمة هذا الإله العظيم، فالانسان والحيوان والجبال والسماء والأرض وكل المخلوقات والموجودات والأشياء لها غايتها وسبب لوجودها، كشريط ال " DNA" في الإنسان، حيث رُتب هذا الشريط بطريقة مذهلة ومعقدة ودقيقة ومبرمجة بهدف وغاية مقصودة، ولها رسالة، ويوجد مرسلات ومستقبلا وحاملات، واذا عبثت في تكوين هذا الشريط، أو بدلت أو غيرت، سيخرج لنا زومبي وليس انسان.

قال تعالى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (الأية 8 من سورة التين)

أيضا، ما قدّر الله تعالى أمراً إلا لحكمة، ما كتب مرضاً ولا إبتلاءً الّا لحكمة، ما منع الّا لحكمة، وما أخفى الّا لحكمة، فاصبر وتذكّر أنّ وراء المصيبة هذه حكمة يعلمها الله تعالى.

قال تعالى: وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (الاية 48 من سورة الطور)

المشكلة هي أنّ النّاس يؤمنون بأنّ الله تعالى هو الحكيم، ولكن وقت حضور المشكلة والمصيبة لا يلتزمون بشرعه وقدره الحكيم، مع أنّهم يقرؤون القرآن، ويعلمون أن الله تعالى أخبرنا فيه بأنّه "أحكم الحاكمين"، ولكن على أتفه سبب نقول: "ليش يا الله؟" ، "ليش أنا من دون الناس؟"، ومنهم من يكفر بالله سبحانه وتعالى! والعياذ بالله، بل وصل الأمر في البعض الى أنهم وضعوا انفسهم بطريقة أو بأخرى مكان الله تعالى، فشيدوا تشريعاً جديداً حللوا وحرموا فيه ما يريدون.

فمثلا، أخبرنا الله جل جلاله في القران: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ (الآية رقم 173 من سورة البقرة) أخبرنا الله تعالى أن لا نأكل لحم الخنزير، ومع ذلك أكل الانسان لحم الخنزير كبراً وعناداً وفجراً، ففي أوروبا وأمريكا وغيرها من الدول الأعجمية فإنّهم يأكلون لحم الخنزير، حتى أخبر العلماء مع تقدّم التكنولوجيا والأدوات والعلوم أنّ هناك أضرار كبيرة جدّا تحل بالإنسان عند أكل لحم الخنزير، حيث ثبت علميّا أنّ دهن الخنزير لا يستطيع جسم الانسان الاستفادة منه ابدا، ولا تستطيع المعدة هضمهُ، ولا يستطيع الكبد أن يخزنه، فيتجمّع في جسم الانسان كدهن خنزير، مما يؤدّي الى ظهور العديد من الأمراض كجلطات الدم والقلب وضعف العضلة، كما أن علماء الاحياء قسّموا الكائنات من حيث التغذية الى آكلات لحم وآكلات اعشاب وآكلات لحم واعشاب معا، والانسان هو من آكلي اللّحم والأعشاب "الخضروات" معا، والخنزير يتغذّى بنفس الطريقة -نمط غذاء الخنزير يشبه نمط غذاء الانسان- وبذلك دورة الأمراض تكتمل بين الانسان والخنزير، و لا تكتمل بين الانسان وأي كائن اخر! وبهذا فان جسم الخنزير هو مخزن للأمراض "مخزن للفطريات، والبكتيريا، والديدان، والطفيليات"، كالدودة الشريطية والديدان الطفيلية مثل أسكارس في الجهاز الهضمي، والامراض مثل بعض سلالات الأنفلونزا المتوطنة في الخنازير -كإنفلونزا الخنازير- ويقول العلماء بأنه جسم الخنزير يحوي 400 نوع من مسبّبات الأمراض!!

إن "العلم" الذي جعله بعض مفكرينا وعلمائنا وفلاسفتنا وعامتنا "إله" الانسان، بدأ الآن يتواضع أمام عظمة القران الكريم وحكمة الله تعالى الذي أخبرنا قبل 1446 عاماً بأن أكل لحم الخنزير حرام.

ولكن، لماذا حرم الله تعالى أكل لحم الخنزير؟ ما الحكمة من تحريم أكل لحم الخنزير في نظري؟ قال تعالى: الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (الاية 1 من سورة هود)

إن الحكمة في عيني من خلق الخنزير هو لكي ينظّف الأرض والبيئة من الأوساخ والنّفايات والجيف، الله سبحانه وتعالى أعطاه هذا الدّور، وليس من أجل أن نأكل لحمه! خلق الله تعالى الخنزير حيوان برّي يعيش في البراري لانه مخلوق لها، وله دور فيها وهو " تطهير البيئة"، تنظيف البرية والطبيعة من كل الأوساخ، وأنا أشبهه "بالمكنسة الطبيعيّة"، ومحاولات الانسان بأن يأنّس الخنزير ويجعله مخلوق منزلي راقي كلّها بائت بالفشل، فأين ما وجد الخنزير تتجمّع الدّيدان والحشرات والأوساخ والأمراض، فهو حيوان نجس وقذر يأكل هذه القاذورات، ولو قمت بمحاولة ترويض الخنزير لتربيته في بيتك فإنك لن تستطيع، ومهما حوالت أن تضبط سلوكه من طعام وشراب لن تستطيع ولن تستطيع، لأنّه في فطرته النّجاسة والقذارة، وفي النّهاية سيأكل وسخه وروثه عند النّتيجة! ولهذا السبب أعتقد أن الله تعالى حرم أكل لحم الخنزير منذ 1446 عام على لسان نبيّه محمد ﷺ، حيث قال تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ (الاية رقم 3 من سورة المائدة) .

الديانة المسيحية الوضعية لا تحرم أي نوع من المأكولات أو المشوربات، ففي الأنجيل يقول يسوع "المسيح الناصري" أن ليس كل ما يدخل جوف الإنسان هو نجس، بل ما يخرج منه، ولكن فوجئ المسيحيّون في 1 أغسطس 2007 بأنّ البابا "شنودة " وهو "بابا الإسكندرية" وبطريك الكرازة المرقسية، بأنه ينصح أتباع كنيسته بعدم تناول لحم الخنزير، قائلا: "أنه رغم عدم تحريم أكل هذا النوع من اللحم، فإن تناوله يتسبب في إصابة الإنسان بالعديد من الأمراض، كونه يحتاج إلى طهي جيد، ولأنه من الحيوانات التي تتناول القاذورات والمخلفات غير النظيفة".

وفي الديانة اليهودية الوضعية يحرّم أكل أنواع مختلفة من اللحوم، من بينها لحم الخنزير، فمن ناحيتهم لا توجد خطورة خاصة لتحريم أكل لحم الخنزير مقارنة بتحريمات أخرى، ولكن في التراث اليهودي يعدّ هذا النهي ذي أهمية كبيرة، حتى أن بعض العلمانيين من اليهود يعدّون لحم الخنزير غير صالح للأكل.

وفي العلم الحديث فإن النظام الغذائي العالمي يتطابق مع ذلك النظام الذي وضعه القرآن الكريم قبل أكثر من 1446 سنة، والذي يحرم فيه على الإنسان تناول لحم الخنزير، حيث أظهرت الدراسات العلمية أنه ممتلئ بدهون "أوميجا6"، وهي أحد الأسباب المؤدية إلى إصابة الجسم بأمراض المناعة الذاتية، والتي يمكن أن تؤدي إلى وفاة الإنسان، والعلم الآن يثبت أنّ النظام الغذائي الصّحيح هو ما جاء به القرآن للمسلمين وللناس كافة منذ 1446 سنة، قال تعالى : "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْـزِيرِ" (الاية رقم 173 من سورة البقرة).

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ" (الاية رقم 1 من سورة المائدة) فالله تعالى يلزمنا بعقد بيننا وبينه بأن نأكل ما يحلله هو "كلحوم الإبل والغنم والنعام والأرانب والمأكولات البحرية"، ونبتعد عما يحرمه لنا "كلحم الخزير والميتة".

إنني أرى أنه لا صدام بين العلم والدين، فالعالم الآن يتخلله ثلاثة أقسام من حيث تناول الطعام، الأول لا يأكل الخنزير، ولكنه يمنع نفسه من المصادر الغنية بدهون أوميجا 3 "كلحوم الأسماك الصدفية"، والثاني لا يمنع نفسه من المصادر الغنية بدهون أوميجا 3 "كلحوم الإبل والنعام والأرانب" ولكنه يأكل لحم الخنزير ويعتبره هو المصدر الرئيسي الأول لأوميجا 6 -في معظم الدول أو الثاني بعد الزيوت النباتية- والثالث لا يأكل الخنزير، ولا يمنع نفسه من المصادر الغنية بدهون أوميجا 3 الموجودة في اللحوم والأسماك، وهؤلاء هم المسلمين.

المسلم فقط وفقا لعلم التغذية والجينات الحديث هو من يستطيع أن يأكل بطريقة صحية ويحقق النسبة الصحية المتزنة من دهون أوميجا 6، ودهون أوميجا 3 وهي 1:1، ولنرفع جميعا شعار: " لنأكل مثل المسلم Eat like a Muslim".

وفي مقابلة أجريت مع ممثّل الأكشن البلجيكي الشّهير "جان كلود فان دام" والذي يبلغ من العمر 67 عاما، حيث سألته المذيعة عن سر رشاقته ونشاطه وحركته، فقال لها: "آكل ما يأكله المسلمين، نظام غذائي هو نظام غذاء المسلم -ووصف سيدنا محمد ﷺ في هذه الجزئية بالذكي- وأوصى الرياضيين أن يقتدوا به ﷺ".

كما وقد جاء في السنة النبوية الشريفة على لسان نبينا محمد ﷺ النهي الصريح عن الوشم ولم يقتصر ذلك على النهي فقط، بل جاء اللعن لمن يدق الوشم في جسده وهو مختاراً غير مكرهاً، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة" رواه البخاري.

لماذا نهى الرسول ﷺ عن الوشم حتى وصل به الأمر ﷺ بلعن الواشم؟! لقد أثبت علميّا في عصرنا الحديث أن الوشم يُحدث خللاً في الجهاز اللّيمفاوي، فالحبر هو عباره عن جسم غريب ودخيل على جسم الانسان، فيحاول الجهاز اللّيمفاوي ارسال اجسام مضاده للتخلص من هذا الحبر، لكنّها لا تستطيع ان تتخلص منه، فيستقر الحبر تحت الجلد، لذلك ينطفئ لون الحبر بعد أيام، وهذا هو الدليل على حدوث خلل في الجهاز اللّيمفاوي المسؤول عن مقاومة السموم داخل الجسم، كما أنه يعمل على تشوّه الأجنّة وحدوث السّرطانات،

فالحبر المستخدم هو من المؤكسدات والكبريتات والصبغات العضويّة والمواد البلاستيكيّة، وهذه المواد الكيميائيّة تسبّب السرطانات وتشوّه الأجنّه في الحوامل، وأيضا يسبّب العديد من الأمراض، فاذا لم تقوم بتعقيم إبرة الوشم فانها ستؤدي إلى أمراض خطيرة كالايدز والتهاب الكبد الوبائي، وحتى لو كانت الإبر المستخدمة نظيفة فإنها ستتسبب بأمراض جلدية كالإحمرار والطفح الجلدي والحكّة، لذلك أنت معرض للخطر على جميع الأحوال بسبب الوشم، ناهيك على أن من يقومون بالوشم تمنعهم المستشفيات من التبرّع بالدّم لأنّه يكون ملوّث.

والأمثله كثيرة ...

لقد كَانَ السَلَفُ الصّالح لهذه الْأُمَّةِ والَّتِي هِيَ أَكْمَلُ الْأُمَمِ عُقُولًا وَمَعَارِفَ وَعُلُومًا - لَا تَسْأَلُ نَبِيَّهَا: لِمَ أَمَرَ اللَّهُ بِكَذَا؟ وَلِمَ نَهَى عَنْ كَذَا؟ وَلِمَ قَدَّرَ كَذَا؟ وَلِمَ فَعَلَ كَذَا؟ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ مُضَادٌّ لِلْإِيمَانِ وَالِاسْتِسْلَامِ، وَأَنَّ قَدَمَ الْإِسْلَامِ لَا تَثْبُتُ إلَّا عَلَى دَرَجَةِ التَّسْلِيمِ.

فلقد جاء شرح "الطحاوية" أن أَوَّلُ مَرَاتِبِ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ: التَّصْدِيقُ بِهِ، ثُمَّ الْعَزْمُ الْجَازِمُ عَلَى امْتِثَالِهِ، ثُمَّ الْمُسَارَعَةُ إلَيْهِ وَالْمُبَادَرَةُ بِهِ الْقَوَاطِعَ وَالْمَوَانِعَ، ثُمَّ بَذْلُ الْجُهْدِ وَالنُّصْحِ فِي الْإِتْيَانِ بِهِ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، ثُمَّ فِعْلُهُ لِكَوْنِهِ مَأْمُورًا، بِحَيْثُ لَا يَتَوَقَّفُ الْإِتْيَانُ بِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ حِكْمَتِهِ - فَإِنْ ظَهَرَتْ لَهُ فَعَلَهُ وَإِلَّا عَطَّلَهُ، فَإِنَّ هَذَا يُنَافِي الِانْقِيَادَ، وَيَقْدَحُ فِي الِامْتِثَالِ.

لا شك أن معرفة الحكمة من الفعل أو الخلق أو الأمر تزيد المرء إيماناً، ولكن ليس شرطاً في الإيمان أن نتعرف على تفاصيل حكمة الله تعالى في خلقه وأمره وأن نطّلع عليها، وإنما مدار أمر العبد هو التسليم أولا قبل كل شيء؛ فإن أدرك الحكمة فليحمد الله، وإن لم يدركها رجع إلى التسليم لربه تعالى مع إيمانه أنه سبحانه حكيم عليم، لا يخرج فعل من أفعاله الّا عن حكمة .

وهناك حكاية جميلة تتنفس منها حكمة الله في كل شيء، حيث سأل سيّدنا موسى عليه السلام الله تعالى عن عدله وحكمته؟ فأمره الله تعالى أن يقف على نهر يأتيه النّاس، ففعل، فاذا بفارس يأتي الى النهر ويشرب منه وكانت معه صرّة من المال فشرب وانصرف ونسي صرّة المال هناك، فجاء بعده شاب صغير يشرب من النهر فوجد صرّة المال فأخذها وانصرف، بعد ذلك جاء شيخ كبير ليشرب من النّهر، فشرب وجلس على حافة النهر ليستريح، وفي الوقت ذاته تذكّر الفارس أنّه نسي صرّة المال عند ضفة النّهر، فرجع مسرعا، فوجد الشّيخ الكبير يجلس هناك، فسأله عن الصرّة؟ فقال له الشيخ أنّه لم يراها، فاحتدّ النّقاش بين الفارس والشّيخ، فأنكر الشيخ، فقام الفارس بقتله ومضى، فقام النبّي موسى متعجباً وسأل الله تعالى: يا رب، ما هذا الذي حصل؟ وما ذنب ذلك الرجل المسن أن يذبح على يد ذلك الفارس الظالم؟ أين الحكمة في ذلك؟ فقال الله تعالى: أمّا الفارس فقد سرق صرّة المال، فلم أجعله ينتفع بها، وأمّا الفتى الصّغير فقد قُتل أباه وهو يتيم، فأحببت أن أعوّضه بهذا المال، وأمّا الشيخ الكبير الذي قتله الفارس فهو قاتل والد ذلك الطفل اليتيم!!

اللهُ سُبْحَانَهُ مَا أَعْطَى إلَّا لِحِكْمَتِهِ، وَلَا مَنْعَ إلَّا لِحِكْمَتِهِ، وَلَا أَضَلَّ إلَّا لِحِكْمَتِهِ، وليس بالضرورة أن تصل عقول العباد إلى معرفة الحكمة في أفعال الله وشرعه وأمره، بل قد يُمرر الله تعالى لعباده بعض تلك الحكم، وقد يستر عنهم بعضها محنة لهم، واختبارا لعبوديتهم وتسليمهم لأمر ربهم.

قال تعالى : وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (الآية رقم 3 من سورة الطلاق).

#15 لماذا لا يبدأ القرآن باثبات وجود الخالق؟

لأن القرآن هو كتاب يحث الإنسان على التفكّر والتّسائل والبحث والنّظر في النفس والطبيعة والوجود، وهو يفترض من الإنسان أنه قد أحكم عقله واستعمل فكره في ما يوجد من حوله من الأشياء، ومن خلال عملية التفكير في المرئيّات والموجودات ينبت اليقين أن هناك خالق وموجد لكل هذه الموجودات، وتتكوّن لديه صورة تلقائية للصّفات العظيمة التي يملكها هذا الخالق وهذا الإله.

قال تعالى : أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (الآية من 17 الى 22 من سورة الغاشية)

لذلك لو نظرنا إلى الطّفل الصغير، هذا الكائن العجيب والغريب والسؤول، والذي لا يستطيع أي شخص في المجرة كبح فضوله وأسئلته التي لا تنتهي، نراه دائم البحث والسؤال وحب المعرفة والاكتشاف، والأطفال باختلاف أعراقهم وأجناسهم وأديانهم ولغاتهم وجنسيّاتهم في المعظم تجدهم يسألون عن أنفسهم وعن خالقهم وعن كنهه.

قال تعالى: فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، إنه على رجعه لقادر، يوم تبلى السرائر (الآية من 5 إلى 9 من سورة الغاشية)

إنني أعتقد أن الطّفل يرى الأشياء بخلاف ما نراها نحن، فهو يراها وكأنّها معجزات في العالم، ويندهش بها ويفكّكها ويقوم بتحليلها، لكن نحن الكبار نفشل في رؤية الأشياء أصلاً، نفشل في رؤية المعجزات من حولنا في هذا العالم؟! الأطفال يرون التّراب الذي نمشي عليه وندوسه بأقدامنا بأنّه معجزة جميلة ورائعة، الأطفال يرونه هكذا، ونحن المراهقين والكبار كل يوم نرى التّراب وندوسه بأقدامنا لنمضي الى الوراء دون معرفة معنى هذا التّراب!

فها هو الطفل الماليزي النابغة "هاريز نظيم محمد حلمي نعيم" الذي يعيش في بريطانيا مع والديه، انضم مؤخراً إلى جمعية "منسا" في المملكة المتحدة، بعدما نال 142 درجة في مقياس "ستانفورد بينيت" للذكاء، ليكون ضمن نسبة 0.3 في المائة من الأذكياء في العالم، بحسب تقرير لصحيفة "مترو" البريطانية.

وها هو الطفل الفلسطيني "رشاد أبو راس" من غزة، والذي يبلغ من العمر 6 أعوام، يتمكن من حفظ القرآن الكريم خلال 8 أشهر فقط، ليكون بذلك أصغر طفل في غزة يحفظ المصحف الشريف، ومن ضمن أصغر الأطفال وأذكاهم في العالم والذين يتميزون بالحفظ وسرعة البديهة.

والطفلة الإنجليزية "إليس تان روبرتس" والتي تبلغ من العمر سنتين، تستطيع عد الأرقام باللغة الإسبانية بدون معلم، والطفلة "جوديت بولغار" والتي حصلت على معدل ذكاء 170، احترفت لعبة الشطرنج لتحصل على بطولة نيويورك المفتوحة للشطرنج وهي في سن التاسعة عام 1986م، وغيرهم الكثير الكثير مِمّن لم يتم اكتشافهم بعد.

قال تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (الاية 21 من سورة الذاريات).

#16 لماذا خلق الله الانسان؟

عندما يقف الإنسان على عتبة قلعة علم أو هيئة أو وزارة كبيرة -كوزارة العلوم والتكنولوجيا مثلا- ويشاهد شكل البناء الجميل والحدائق الخضراء والأرصفة المزخرفة من الخارج، ثم يدخل إلى قلب المبنى ليرى الأجمل من الأقسام والغرف وقاعات الإجتماعات والمكاتب، فإنه سيسأل نفسه هذا السؤال: من هذا المهندس العبقري الذي صمّم هذا البناء بهذه الكيفية والجمال والدقّة من الخارج والدّاخل؟ بالتّأكيد أنه خبير في التصميم!؟ وهذا الشّيء عرفه الإنسان بالعقل، حيث أدرك أن هناك مصمّم لديه خبره كبيرة وواسعة في بناء المباني والعمارات والأبراج.

في نفس الوقت لا يستطيع الإنسان أن يعرف الغرض من هذا البناء والهدف من وجوده، إلّا من خلال كتاب ودليل يُوضح فيه أنّ هذا البناء هو من أجل عمل الأبحاث والاكتشافات أو التّعليم أو الصناعة مثلا! وأيضا من خلال هذا الكتاب والدّليل يستطيع أن يعرف ما اسم المسؤول الأول عن هذه الوزارة واتّخاذ القرار فيها، ومن هم المسؤولين الذين ينفّذون قرار هذا الوزير، لذلك الإنسان بحاجة الى كتاب لكي يرشده.

وكذاك الأمر بالنسبة للوجود وما فيه من أشياء، فالإنسان من خلال قرائته للسّماوات وما فيها والأرضين وما فيها، فإنه يعلم بالعقل أنّ هناك مصمّم وخالق وواجد عظيم شيّد ما هو موجود، فعلّة وجود هذه السّماوات لكي نعرف الخالق، والإنسان علم أن هناك واجد وخالق لكل مخلوق، لكنّه لن يستطيع أن يعرف لماذا خلق هذا الشيء ولماذا خُلق هو من الأساس الّا من خلال كتاب ودليل، وهذا الكتاب ليس من تأليف المخلوق، ولم يُنزل لوحده -فلكل علة معلول- هذا الكتاب أنزله الله تعالى عن طريق وحي ونقطة إتّصال بين السّماء والأرض، وهو -جبريل عليه السّلام- والذي تلاهُ بدوره على نبيه محمد ﷺ، لذلك الإنسان من خلال الكتاب "القرآن" يعلم الغاية من وجوده، وما هو المطلوب منه، وما المنهج والطريق الذي ينبغي ان يسير عليه، وما أسباب سلامته وسعادته ونجاته، وما أسباب تعاسته وهلاكه.

لقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الغاية الأولى من خلق الإنسان قائلا: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (الآية 56 من سورة الذاريات) إذن، العلّة الأولى من وجود الانسان هي العبادة، كطالب سافر الى مصر لكي يتعلّم ويأخذ البكالوريوس في هندسة الحاسوب مثلا، عليه أولاً أن يستأجر شقّة قريبة من الجامعة، ويرافق الطّالب الذّكي والمجتهد والصالح، ويشتري الكتب المتعلّقة في مجال دراسته وتخصصه "الهدف لدى الطّالب واضح ووحيد منذ البداية، وهو الحصول على البكالوريوس في هندسة الحاسوب، لذلك ترى كل حركة للطّالب يتحرّكها متعلّقه بهذا الهدف"، والهدف الأوّل من خلق الإنسان هي العبادة والتّي تعني الطّاعة والخضوع لهذا الاله مختاراً، ولكي تكون عابدا له عليك أن تكون قريباً منه، تلتزم أوامره وتتجنّب نواهيه، وهنا تتحقق النتيجة النهائية وهي السّعادة في الدّنيا والآخرة، كحصولك على السعادة عندما تتخرج من الجامعة وتمسك بيدك شهادة البكالوريوس.

وهنا ملاحظة مهمة، وهي أن الله تعالى خلقنا لنعبده، أي لنطيعه اختيارا وليس اجبارا، جعلنا نطيعه أحرار وليس مكرهين على ذلك، قال تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (الاية 99 من سورة يونس) لذلك نحن نكون سعداء عندما نعبد الله ونطيعه، لأنّه منحنا الحرية والاختيار في ذلك، ونحن بادرنا وسرنا بأن نكون عابدين طائعين له باختيارنا، مع العلم أنه تعالى قادر على أن يُكرهنا على عبادته، لكنه لو أجبرنا على ذلك لما كنّا سعداء! لذلك من رحمته أنه خلقنا

ليرحمنا، لأنّه يحبّنا، ويريد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة حب ورحمه وليس علاقة كره وإجبار وقهر، لذلك يحدث بعبادة الله تعالى وطاعته اختياراً نمو نفسي وحب وشوق للقاء هذا الإله.

لذلك يقول الشّافعي: تَعْصِي الإله وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هذا محالٌ في القياس بديعُ

لَوْ كانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ ... إنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

أعتقد شخصيّاً أن العجيب أن تعرف الله تعالى ولا تحبّه! والأعجب من ذلك أن تحبّ الله تعالى ولا تطيعه!

جاء في الحديث أن النبي ﷺ أخبر أن رجلا ركب بقرة، فلمّا إعتلاها، أنطق الله البقرة، فقالت له: "ما لهذا خلقنا؟"، فقال الرجل: "سبحان الله، بقره تتكلّم!"، الشاهد هنا أن البقرة أنكرت أنّها خلقت للرّكوب، وإنّما خلقت للحرث، والانسان ما خلقه الله تعالى إلّا لعبادته في المقام الأول، الله تعالى خلقنا لا ليستكثر بنا من قلّه، ولا ليستنصر بنا من ذلّه، خلقنا لسبب مباشر وواضح من بين جملة أسباب، وهي عبادته وطاعته اختياراً ورحمة بنا لأنّه يحبّنا، وهذه هي العلة الأولى.

العلّه الثّانية: الإستخلاف، قال تعالى: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً(الآية رقم 30 من سورة البقرة) أي كائن مسؤول عن الأرض، ويخلف بعضه بعضاً، ولنكن واضحين بشأن هذه النّقطة، حيث قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (الآية 156 من سورة الانعام) اذن، هو ليس خليفة عن الله تعالى أو خليفة الله، هو خليفة بأمر الله تعالى بأن جعله مسؤول عن الأرض وما فيها ومؤتمن عليها، وخلفاً بعد خلف يعمر الأرض جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن لاستمرار النوع الإنساني الى أن يطوي الله تعالى بساط هذه الأرض.

العلّه الثّالثة: الإستعمار، قال تعالى: هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (الاية 61 من سورة هود) بمعنى أنه أسكننا فيها لنفلحها ونحرثها ونستخدم مكنوناتها، ولكي نبحث في طينها ونستخرج منها كل ما ينتفع به الإنسان من مواد صناعية وغيرها تساهم في تطوّر ونهضة الإنسان.

ملاحظة: إذا كنت عابدا لله، ولم تعمل في أرضه، أصبحت هذه العبادة صوريّة مرئيّة تضحك بها على نفسك وترائي بها النّاس، لأنّه يجب اسقاط العبادة على الواقع الحقيقي ومع الناس، في عملك وفي الشارع وفي المنزل، يجب أن تتقن عملك على أحسن وجه، وأن يكون خالصا لوجه الله تعالى، وفي معاملاتك وأخلاقك مع النّاس يجب ان تكون سهلا ليّنا، وأن تعاملها بأجمل اخلاق الإسلام كما علّمنا معلّمنا وقدوتنا محمد ﷺ، فهناك فرق بين الصلاة وبين إقامة الصلاة، حيث انه جاء في الحديث عندما سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي محمد ﷺ قالت: كان خُلُقُه القرآن، أو كما قالت.

قال تعالى: الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور (الاية رقم 2 من سورة الملك).

هذا يدل على أنَّ الحُسن أهم -إحسان العمل أهم من كثرته- وإن كانت الكثرةُ مطلوبةً، لكن العدد لا قيمة له مقارنة بالجودة، ولهذا قيل لأبي علي ابن الفُضيل بن عياض: "يا أبا علي، ما معنى أحسن العمل؟"، قال: "أخلصه وأصوبه"، قيل: "ما أخلصه؟"، "وما أصوبه؟"، قال: "إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإن كان صوابًا ولم يكن خالصًا فلم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا"، قيل: "يا أبا علي، ما هو

الخالص الصواب؟" قال: "الخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة."
إذن، الاهتمام بإحسان العمل أعظم وأولى من الكثرة، فكون المؤمن يهتم بإخلاص العمل وتنقيته من الرياء وغيره من أنواع الشرك، ويهتم بمُطابقته للشريعة، وألا يكون فيه ابتداعٌ؛ هذا أهم من الكثرة، وإذا صحَّ له هذا فليُكثر من العمل الذي صحَّ له فيه هذا "صحَّ له فيه الإخلاص، وصحَّ له فيه الصدق"، لذلك يجب أن يكون الاهتمام والإخلاص والصدق والاتقان في العمل، والذي هو أعظم من الكثرة.

اذن، الله تعالى أخبرنا عن الهدف من خلق الانسان، وهو "العبادة، الإستخلاف، العمارة"، فاذا تحقّقت هذه الأسباب الثلاثة في الانسان أصبح إنسان، والأرض يرثها عباد الله الصّالحين لعمارتها وقيادتها بكل أنواع وألوان المعاني والعلوم وعلى رأسها إقامة القسط "العدل".

هذا ما أراده الله تعالى من خلق الإنسان.

#17 لماذا لا يبعث الله معجزة خارقة في وقتنا الحالي تدل عليه؟

لأنّ الله تعالى بعث معجزات حسيّة لقوم موسى وعيسى وإبراهيم وصالح وغيرهم الأنبياء والرسل لمدّة طويلة من الزّمن، ولكنّهم لم يؤمنوا، ولم يصدّقوا، وجحدوا، وكفروا، حتّى وصل بهم الأمر الى قتل الأنبياء والرسل.

فمثلاً، معجزة نبي الله إبراهيم عليه السلام هي أنّ الله تعالى أنجاه من نار قومه، حيث قام قومه بجمع الحطب الكثير، ثمّ أشعلوا النيران فيه، حتّى غدت تلك النار ذات شرار ولهب، وبعد ذلك ألقوا بنبي الله فيها، وعندما فعلوا ذلك قال إبراهيم: "حسبنا الله ونعم الوكيل" (الآية رقم 173 من سورة آل عمران) فأنجاه الله منها، وجعلها برداً وسلاماً عليه، قال تعالى: "يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم" (الآية رقم 69 من سورة الأنبياء) وكانت هذه معجزة عيانيّة أمام الجميع، ومع ذلك لم يؤمن معه الا القليل.

وموسى عليه السلام كانت معجزته تحويل العصا إلى أفعى كبيرة جداً، وادخال يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء آية لقومه، وذلك لاشتهارهم بالسحر وخداع أعين الناس، فلما رأى السحرة معجزته آمنوا به، فهم يميزون السحر عن الحقيقة، قال تعالى: "وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ" (الآية رقم 31 من سورة القصص) وقال تعالى: وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (الآية رقم 22 من سورة طه) ومع ذلك كله كفر به فرعون وحاشيته وجنوده، بل وتمادى فرعون في طغيانه حتى صار الصورة النموذجية "للطاغية" على مدار التاريخ الإنساني، حتي وأصبح اسمه مصدرًا لاشتقاق الأفعال والصفات.

وهذا نبيّنا صالح عليه السّلام يقول لقومه، قال تعالى: "قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" (الآية رقم 48 من سورة هود) ثم أخبرنا الله تعالى في سورة الشعراء على لسانه، قال تعالى: "إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون" (الآية رقم 142 من سورة الشعراء) فقالوا له لن نؤمن لك حتى تأتينا بآية تدل على صدقك، فأخرج لهم الله تعالى معجزة هي "الناقة" دليلا على صدقه وبينة على دعوته، وهو يرجو منهم أن يتركوا الناقة تأكل في أرض الله، و يحذرهم أن يمسوها بسوء خشية وقوع عذاب الله عليهم، قال تعالى: "قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية" (الآية رقم 73 من سورة الأعراف) وقال الله تعالى في سورة الإسراء: "وآتينا ثمود الناقة مبصرة" (الآية رقم 59 من سورة الاسراء) وقال تعالى: "وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ" (الآية رقم 64 من سورة هود).

وراح سيّدنا صالح عليه السّلام يذكّرهم بنعم الله تعالى عليهم لعلّ وعسى ترق قلوبهم، قال تعالى: "واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا" (الآية رقم 74 من سورة الأعراف) ولكنّهم جحدوا وحقدوا -قلوبهم مليئة بالكفر والطّغيان لأنّه جاء فقط برسالة التّوحيد، ولأنّ الله تعالى إختاره من بينهم- فقالوا له، قال تعالى: "قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب" (الآية رقم 62 من سورة هود) وقال تعالى: "قالوا إنما أنت من المسحرين، ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين" (الآية رقم 153 من سورة الشعراء)

لقد شاهدوا ناقة حية تخرج من الصخرة -شاهدوا هذه المعجزة الحسية بأم أعينهم- وكانت النتيجة أنهم قتلوا النّاقة وذبحوها! وليس هذا فحسب، بل تحدوا الله سبحانه أن يأتي بالعذاب، قال تعالى: "فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين" (الآية رقم 77 من سورة الأعراف)

فأتاهم أمر الله، قال تعالى:" فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (الآية رقم 78 من سورة الأعراف) وقال تعالى: وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود (الآية رقم 67 من سورة هود) وقوله تعالى: فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (الآية رقم 158 من سورة الشعراء) وكالعادة ما آمن معه الّا القليل.

وهذا نبيّنا نوح عليه السّلام والذي مكث يدعوا قومه ألف عام تقريباً! قال تعالى في سورة العنكبوت: "فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا" (الآية رقم 14 من سورة العنكبوت) حتى يئس نوح عليه السلام من كفرهم، فبلَّغه الله سُبحانه وتعالى أنه لن يؤمن من قومه إلا من آمن منهم -وهم قلة لا يتجاوز عددهم الثمانون حسب ما ورد في الأحاديث- وأمرهُ سبحانه ببناء سفينة في الصّحراء، وكانت هذه السفينة هي أداة النجاة لكل من آمن أو من أراد أن يؤمن قبل نزول أمر الله، ولكن قابلهُ قومه بالسخرية والإسهزاء ومن بينهم ولده.

وجاء أمر الله، وإذا بالماء يخرج من كل مكان، فيبنجس من الأرض وينزل من السماء، ويبلع كل شيء، ولم ينجُ من فم الطوفان إلا نوح ومن ركب معه في السفينة، وعندما استقرت وقضي أمر الله، تمَّ بناء قرية لسكناهم سماها النبي نوح "بقرية الثمانون"، فعن الامام الرضا عليه السلام أنه قال: "لما هبط نوح إلى الأرض كان نوح و ولده و من تبعه ثمانين نفساً، فبنى حيث نزل قرية فسمَّاها قرية الثمانين".

كل الأقوام الدابرة شاهدت وأبصر المعجزات المادية عياناً من الله تعالى على يد رسله وأنبيائه ليصدقوا ويؤمنوا به، ولكنّهم كفروا وألحدوا به سبحانهُ، ولم تفلح تلك المعجزات الخارقة والمادية والحسيّة مع النّاس لكي يسلّموا ويؤمنوا بالله تعالى، لذلك أعتقد من وجهة نظري أنه لا داعي لتكرار الآيات والمعجزات مع انسان متكبّر ومتعجرف وأناني ونرجسي ظن نفسه أنه الإله ورب هذا الكوكب!

ولهذا الداعِ تحديداً أرى أن الله تعالى أرسل لنا المعجزة الأخيرة والخاتمة وهي رسول الله -محمد ﷺ- للعالمين، ولكنها لم تكن معجزة حسية بل فكرية، حيث كان في غار حراء يتفكّر في خلق الله وملكوت الله عز وجل، فجاءه الملك "جبريل عليه السلام" وقال له: "اقرأ"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنا بقارئ"، قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني"، فقال: "اقرأ"، قلت: "ما أنا بقارئ"، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: "اقرأ"، قلت: "ما أنا بقارئ"، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم".

وهنا إشارة خطيرة بالنسبة لي، وهي إنتهاء عصر المعجزات الخارقة، انتهاء عصر عصا موسى، انتهاء عصر سفينة نوح، انتهاء عصر ناقة صالح، انتهاء عصر مائدة عيسى "عليهم السلام جميعا"، انتهاء عصر المعجزات الخارقة، وابتداء عصر جديد، وهو عصر "اقرأ"، حيث بدأ عصر الثقافة، بدأ عصر العلم، بدأ عصر التعليم والفكر والتخطيط بقائد الموكب البشري "محمد ﷺ"، ولذلك أطلقت على هذا العصر ب "العصر المحمدي"، حيث بدأ عصر إنطلاق الحضارات والثّقافات والعلوم والتّكنولوجيا به ﷺ -بدأ العصر المحمدي على يد نبينا ورسولنا وقدوتنا ومعلمنا "محمد ﷺ"- ولهذا هو نبي آخر الزمان، ولذلك كن محمدي!

الله سبحانه وتعالى باستطاعته وهو قادر على أن يبهرن لنا جميعاً بمعجزات وآيات تجعل الناس أن يؤمنوا به أجمعين، ولكنّه لا يريد هذا، قال تعالى: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (الاية 99 من سورة يونس) هو تركنا أحرارا مختارين لنكون حجّة على أنفسنا فيما سنختاره -هل ستعقد صفقه مع الشّيطان أم ستعقد صفقه مع الرّحمن- فمن أراد الله تعالى ويريد أن يتعرّف عليه وأن يدخل في علاقة روحيّة معه -بين الخالق والمخلوق وبين العابد والمعبود- سيرى الأدلّة الحسيّة والمادية والطبيعية أمامه، سيرى المعجزات من حوله والتي لا تعد ولا تحصى، كمعجزة خلق الانسان وما فيه من تعقيدات وعمليات ارادية وغير ارادية، وخلق السماء بغير عمد، وخلق الأرض وما فيها من كائنات، كل ما هو حول الانسان عبارة عن معجزات، وكلها لمن نظر وفكّر وتدبّر تضيء في النهاية نحو خالق عظيم وبديع وحكيم، واذا كنت قد تغاضيت وكففت النظر عن كل ما هو حولك من آيات فهذا يعني أنك لا تريد أن تؤمن وتدخل بعلاقة روحيّة معه سبحانه، لذلك لا معنى لإرسال المعجزات الخارقة والحسيّة من أساسه!

#18 هل غرض الله تعالى أن يبهرنا بكثرة الأدلّة الحسية التي تدل عليه؟

جوابي هو: "لا"، أعتقد أن المسألة كضيف أتى لزيارتي ووقف بباب بيتي، ثم دقّ الباب، فإذا سمعت أنا صوت الباب سأفتح لضيفي، وإذا لم أسمع سيرحل، وفي حال فتحت الباب لضيفي فإنه لن يقدّم لي دليل على أنّه جاء إلي، بل سيدخل مباشرة إلى غرفة الإستقبال، وسنتحدث معاً، ثم ستنشأ علاقة صداقة فيما بيننا في المستقبل، ولله المثل الأعلى، فهذا ما يريده الله تعالى من الإنسان، أن يدخل معه في رابطة روحيّة وعلاقة بين المخلوق والخالق، ولكن الفرق بين باب البشر وباب ربّ البشر أن الأول مغلق، ولكن يُفتح لمن يرغب به صاحب البيت، أما باب الله تعالى فهو مفتوح دائماً للجميع، ولكن المشكلة تكمن في أن الإنسان هو الذي يرفض الذّهاب اليه، فتجده يطرق كل الأبوب إلا باب الله.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ -فيما يرويه عن ربّه- قال الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه، وإن تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة... رواه البخاري.

وليس هذا فحسب، بل إن الله تعالى يتنزّل في كل يوم الى السّماء الدّنيا من أجل الإنسان -أي مسؤول يفعل هذا؟ أي وزير يفعل هذا؟ أي رئيس يفعل هذا؟ أي ملك يفعل هذا؟- هذا الإله العظيم والذي بيده ملكوت السموات والأرض وما فيها وكل شيء يتنزّل من أجلك ويقول لك: ألك حاجة ألبيها لك؟ ألك حاجة فأقضيها؟ ألك ذنب فأغفره لك؟ ألك سؤال فأعطيه؟ اسألني يا عبدي، ادعني، وأنا سأجيب.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ.

ولو تحدثت عن آية واحدة من آيات الله تعالى -ألا وهي الإنسان- ستشاهد العجائب والغرائب والإبداع والإتقان والدقة والجمال والغائية والإعجاز فيه، فهل تعلم أن الانسان الواحد يشرب في العام طنّين من الماء! هل تعلم أن الإنسان الواحد يتنفس خلال اليوم الواحد نحو 23000 ألف مرة! هل تعلم أن عدد الخلايا العصبيّة في جسم الانسان تفوق ال 14 ألف مليون خليّة عصبيّة في الدّقيقة الواحدة! هل تعلم أن طول الشّرايين في جسم الإنسان تبلغ 600 ألف كيلومتر! هل تعلم أن كريات الدّم الحمراء تصل في جسم الإنسان إلى 25 بليون كرة! هل تعلم أن طول القناة الهضميّة تصل إلى 9 أمتار تبدأ من الفم وتنتهي بفتحة الفرج! هل تعلم أن جسم الانسان يتكون من 600 عضله تشكل 40 % من وزن الجسم! هل تعلم أن عدد العظام في جسم الإنسان 206 عظمة!

هل تعلم أنه يبلغ متوسط عدد شعر الإنسان حوالي 100.000 بصيلة شعر موزعة على مساحة فروة الرأس التي تبلغ 770 سنتيمتراً مربعاً تقريبًا، ولكل شعره وريد وشريان وعصب وعضلة وغدّه دهنيّة وغدّ صبغيّة! ومن إعجاز الله أنّه لا يوجد في شعر الإنسان عصب حس، لأنّه لو وجد لإضطر الانسان لإجراء عمليّة جراحيّة لكل شعره يريد أن يزيلها! ولكنّها رحمة الله تعالى أن جعل في الشّعر أعصاب حركة فقط ، وكذلك الأمر بالنسبة لأظافر الإنسان، ولو كان فيها لإضطررنا الى إجراء عمليّة جراحيّة لكل أظفر نريد أن

نزيله! والعجيب في المسألة هي في أنّ الشّعر ينمو في الانسان في كل مكان الّا في ثلاثة "الشّفتين، والكفّين، وأخمص القدمين"، يا لحكمة الله تبارك وتعالى!!

هل تعلم أن شبكيّة العين فيها 100 مليون مستقبل في الملم الواحد من أجل رؤية دقيقة! العين البشرية يمكنها أن تميز بين 10 مليون لون مختلف، عضلات التركيز في العين البشرية تتحرك بنحو 1000،000 مرة في اليوم الواحد! إنه لشيء مدهش، إذا أردت أن تقوم عضلة ساقك بنفس عمل تلك العضلة في العين هذا يعني أنه يتوجب عليك أن تسير 50 ميلاً كل يوم! الرؤية المحيطية الخاصة بك تكون منخفضة الدقة، وتكاد تكون باللون الأبيض والأسود، ولكنك لا تدرك ذلك، لأن عينيك تتحرك بسرعة لملأ تلك التفاصيل المحيطة قبل أن تلاحظ الفرق! القرنية في العين البشرية مشابهة جداً للقرنية الخاصة بعين سمكة القرش، إذا ربما في المستقبل سيتم إستخدام قرنية القرش كبديل لقرنية العين البشرية في العمليات الجراحية!

هل تعلم أنه يوجد 14عشر مليار خليّة قشريّة بداخلها المحاكمة والتصوّر والتخيّل والإستنباط والاستنتاج داخل الدّماغ، عمليّات لا إراديّة فكريّة معقّدة جدّا، كما دماغ الإنسان يوجد فيه 140 مليار خليّة سمراء لم تعرف وظيفتها بعد!

هل تعلم أن شبكية العين الخاصة بك ترى العالم من حولك بشكل مقلوب في حقيقة الأمر! أي ترى الصورة معكوسة، ولكن الدماغ يقوم بعكس الصورة لوضعها الصحيح بالنسبة لك، كما ان الصورة تصل للشبكية بنصفها فقط ومشوهة، حيث أن كل نصف من الدماغ يتلقى نصف الصورة، ليتم معالجتها في الدماغ وتجميعها في نهاية الأمر لتكوين الصورة الكاملة التي تراها، هل لك ان تتخيل ان ذلك يحدث الآن بكل هذه السرعة الفائقة ! كما أن شبكية العين لا يمكنها تمييز اللون الأحمر، فعلى الرغم من أن لديها مستقبلات للألوان "الأحمر والأخضر والأزرق" فإن مستقبلات اللون الأحمر تكشف فقط عن اللونين الأصفر والأخضر، ومستقبلات الأخضر تقوم بالكشف فقط عن اللونين الأخضر والأزرق، ولهذا فإن دماغ الإنسان يجمع بين هذه الإشارات ويحولها إلى اللون الأحمر.

أعتقد شخصيّا ان الدّماغ عاجز عن فهم ذاته!!

هل تعلم أن هناك من العمليّات اللّا اراديّة التي تحدث في أجسامنا ولا نعلم ولا نشعر بها والتي تحدث بأمر الله تعالى رحمة بنا، فمثلاً، يقطع دم الأنسان مسافة تصل الى 9 آلاف كيليمتر يوميّا عبر الأوعية الدّمويّة المختلفة! ويقوم الدم في هذه الرحلة بإيصال مواد مثل الأكسجين، والسوائل، والغذاء، والهرمونات، والفيتامينات لكافة أعضاء الجسم! ثم يعود مُحملاً بثاني أكسيد الكربون، ومُخلفات الغذاء بعد تحوله إلى طاقة في الجسم مع بعض المواد الأخرى التي تُخرجها الخلايا! هذا يحدث كل يوم داخل أجسامنا ونحن نعلم ولا نشعر به.
ومثال آخر، النبض الطبيعي للإنسان البالغ يتراوح ما بين 60 إلى 90 نبضة في الدقيقة، وهذه النسبة يحتاجها الدم للخروج والعودة للقلب في دورةٍ دموية كاملة، ويمكن أن يرتفع معدلها إلى 100 في حالة الحركة والقيام بمجهود معين.

ولو تحدثنا عن العطس، فعند العطس تتوقف كل أجهزة الجسم حتى القلب لجزء من الثانية، لذلك نقول "الحمد لله" لأن الله أعادنا للحياة مرّة أخرى، إن العطس ينظّف الجسم حيث تخرج الغازات والجراثيم والميكروبات والمواد الضّارّة والتي لا يعلمها الا الله من الأنف والرئتين، وسرعة العطاس تصل حتى 100

ميل في الساعة 160 " كلم في الساعة"، لذلك إن أغلقت فمك عند العطس يمكن أن تثقب أذنك! ويمكن أن يموت الإنسان اذا أمسك العطسة! لذلك قل الحمد لله دائماً على ما تعلمه ومالا تعلمه.

هذا الإنسان الذي تحدثت عنه صنع من؟ خلق من؟ حكمة من؟ رحمة من؟ معجزة من؟ إنه الله تبارك وتعالى الذي خلقه في أحسن تقويم، فكيف تعصيه بخلقه؟! كيف تعصيه بجوارح خلقها لك ومن أجلك؟! لذلك، اجعل جسمك ونفسك لله وفي طاعته.

قال تعالى: وفي أنفسكم أفلا تبصرون (الاية رقم 21 من سورة الذاريات)

ولا تنسى الله تعالى فتنسى نفسك، قال تعالى: قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (الاية 126 من سورة طه).

#19 كيف أصدّق أنّ القران الكريم هو كلام الله تعالى؟

اذا كنت متعطّش للمعرفة وللحقيقة، فهناك كتاب واحد فقط في العالم وهو "القرآن الكريم"، هذا الكتاب الوحيد الذي سيعقد الدهشة في كل جورحك، وسيفرحك تارة وسيبكيك تارة أخرى، وسيجعلك شغوفاً ومتعلّقاً به، وستزداد شهيّتك كلما طالعته وخصوصاً في المجال الرّوحي، لتستسلم بعدها وتخضع أمام عظمة وبلاغة ورصانة هذه الأحرف.

كان أكثر ما يدهشني ويروى عطشي هو الكتاب العظيم "القرآن الكريم"، حيث وجدت نفسي في هذا الكتاب الكريم الّذي يعالج الأمور الأخلاقية والاجتماعية والنّفسيّة، ويوضح الحقوق والواجبات، ويرفع قدر المرأة بعد أن كانت تضطهد وتدفن وهي حيّة، ويبين الغائية من خلق الانسان والشيطان والحيوان، ويؤشر على بعض الحقائق العلميّة والمعرفيّة والرقميّة، ويدعوا إلى التفكر واستعمال العقل في النفس وفي الأشياء.

إن أهم جانب قد شغلني وملأني وأشعلني فيه هو الجانب الغيبي " الرّوحي"، ولا يوجد أي كتاب على وجه الأرض يملأ هذا الفراغ الدّاخلي في الإنسان سوى القرآن الكريم.

لقد حدث تعالق رهيب بين نفسي وبين هذا الكتاب العظيم الذي تمتزج فيه البساطة والبلاغة والعمق في آن واحد، كتاب لا أعلم كيف أصفه! وبماذا أصفه! إن هذا القرآن ليس له برهان، فهو برهان ذاته بذاته.

كلّما أقرأ فيه أراني أنسلخ تلقائيّاً من العشوائيّة والسّطحيّة والأنانيّة والصّفريّة، أرى نفسي تتحرّر بسلام من كلّ القيود دون صراع ودون عراك، بسببه وقف عقلي على قدم الحرية وخرج من تلك الحلقة الدّائريّة الّتي كنت أدور فيها كل يوم بلا هدف، وأصبح لحياتي معنى وجودي وروحاني.

قال تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (الاية 23 من سورة الزمر)

الله تعالى نزّل الينا أحسن وأفضل الحديث والكتب، ألا وهو المصحف "القرآن"، وهو كتاب متشابه، أي: يشبه بعضه بعضاً، ويصدّق بعضه بعضاً، ويدلّ بعضه على بعض، وهو مثاني، أي: تُثنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحدود والحجج.

هذا الكتاب "القران" تقشعرّ منه جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ إذا تلي عليهم لما يحويه من صدق ووضوح وحقائق، ثم تلين جلود الذين يخافون ربهم، فيصدقون ويؤمنون به أنه من عند الله، ويسارعون إلى العمل بما فيه.

وهناك حقائق علمية عديدة أشّر عليها الكتاب "القرآن" تم رصدها واكتشافها واثباتها في العصور الحديثة بعد انقضاء زمن محمد ﷺ، ومنها- قال تعالى : مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (الآية 19 و 20 من سورة الرحمن).

وقال تعالى: وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (الاية رقم 53 من سورة الفرقان).

وقال تعالى: أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (الاية 61 من سورة النمل).

وقال تعالى: وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ (الاية 12 من سورة فاطر).

البحرين هما النوعان المشهوران من المياه الموجودة على وجه الأرض، النوع الأول وهو الأنهار العذبة، والنوع الثاني هو البحار المالحة ، ودليلي على هذا التفسير قوله تعالى في وصف البحرين في سورة فاطر: "ذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ".

وقوله تعالى "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ" قال ابن عباس فيها، أي: أرسلهما، وقوله: "يلتقيان" قال ابن زيد فيها، أي: منعهما أن يلتقيا، فجعل بينهما حاجزاً يفصل بينهما، والمراد بالبحرين هو "البحر العذب، والبحر المالح"، فهما يلتقيان، فيصب العذب في في المالح، ويختلطان ويمتزجان، ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبغي أحدهما على الآخر، لكي يحصل النفع بكل منهما، فالعذب تشرب منه الكائنات، والمالح يطيب به الهواء، ولتجري به الفُلك والمراكب، ومسكن للحيتان والأسماك والكائنات المائية.

وقوله: "بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ"، أي: جعل بينهما حاجزاً، لكي لا يبغي هذا على ذاك، فيزيل عنه صفته التي خلق من أجلها .

وقد أثبت العلم الحديث أن هناك بحر مالح وآخر عذب، وإكتشف العلماء أن لكل بحر خصائصه وصفاته ولونه، واكتشفوا الخط الأبيض الدّقيق الفاصل بين البحر المالح والعذب "البرزخ" وصوروه، وقد نوقش هذا الموضوع مع عالم البحار الأمريكي البروفيسور "هيل" وعالم الجيولوجيا الألماني "شرايدر" اللذان أبديا عن اندهاشهم وأقرّوا بأن "القرآن" هو علم الهي، وأن محمد ﷺ هو رسول الله، لأنه لم يكن يعرف وليس على دراية بهذا العلم في عهده وفي العصور القديمة لعدم توفر الأدوات والتكنولوجيا، فمن الذي أخبر محمد ﷺ بوجود البرزخ؟ إنه رب محمد ﷺ ورب البشر والناس أجمعين، ورب كل شيء (الله عز وجل).

والحقيقة الثّانية في قوله تعالى: وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (الآية 22 من سورة الحجر) حيث أثبت العلم الحديث وإكتشف العلماء أن الرّياح تحمل حبّات الطّلع لتلقيح الأزهار، فمن الذي أخبر محمد ﷺ بأن الرياح تقوم بتلقيح الأزهار؟

والحقيقة الثّالثة في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (الآية 65 من سورة النساء) حيث أخبرنا تعالى عن الطريقة التي سيعذب بها من كفر بآياته وصدّ عنها في نار جهنم، فقال سبحانه "إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً" أي: ندخلهم نارا دخولا يحيط بجميع إجرامهم وأجزائهم، ثم أخبرنا سبحانه عن دوام عقوبتهم ونكالهم ، فقال "كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب"، قال الأعمش عن ابن عمر في تفسيرها "إذا أحرقت جلودهم بدلوا جلودا بيضا أمثال القراطيس" رواه ابن أبي حاتم، وقال يحيى بن يزيد الحضرمي إنه بلغه فيها "يجعل للكافر مائة جلد، بين كل جلدين لون من العذاب" رواه ابن أبي حاتم.

وقد أثبت العلم الحديث في حقل الأحياء وعلم الإنسان أن الجسيمات الحسيّة المختصّة بالألم والحرارة تكون موجودة في طبقة الجلد وحدها، ومع أن الجلد سيحترق مع ما تحته كالعضلات والعظام وغيرها، الّا أنّ القران لم يرد إليها لأن الشّعور بالألم تختص به طبقة الجلد وحدها، فمن الذي أخبر محمد ﷺ بذلك؟

والحقيقة الرابعة في قوله تعالى: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (الاية 40 من سورة النور).

وهذا مثل آخر ضربه الله في أعمال الكفار، حيث شبه الله أعمال هؤلاء الكفار، فيما عملوا من خطأ وفساد وضلالة وحيرة من أعمال على غير هدى، كظلمات في بحر لجّيّ، أي بحر عميق كثير الماء، ولجة البحر معظمه، يَغْشَاهُ مَوْجٌ "مِنْ فَوْقِ البحر مَوْجٌ"، ومن فوق الموج موج آخر يغشاه، ومِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ "من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأوّل سحاب"، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، والبحر اللجيّ مثلا لقلب الكافر، لأنه عمل بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشَّته الضلال والحيرة، كما يغشى هذا البحر اللجّي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله ختم عليه، فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه، فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة، فلا يبصر به حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض.

لم يكن الإنسان القديم سابقا قبل اختراع الأدوات والمواد والغواصات يستطيع أن يغوص في أعماق البحر أكثر من 15 متر، لأنه يصبح عاجزاً عن التنفّس، ويختنق ويموت لأكثر من دقيقتين، ولأن عروق جسمه ستنفجر من ضغط الماء، وفي القرن العشرين عند تقدم العلم واختراع الغواصات، أثبت العلم الحديث والعلماء المختصين أن قيعان البحار شديدة الظّلمة، واكتشفوا أن لكل بحر لجّي طبقتين من المياه، الأولى عميقة وهي شديدة الظلمة، ويغطّيها موج شديد متحرّك، وطبقة أخرى سطحيّة مظلمة، وتغطّيها الأمواج التي نراها على سطح البحر، ولقد إندهش عالم البحار الأمريكي البروفيسور "هيل" من عظمة التعبير القرآني في الآية السابقة عندما شبه ظلمة الكافر بظلمة البحر، وخصوصاً الشطر الثاني من الآيه "مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا" فقال العالم "هيل": "إن مثل هذا السحاب لم تشهده الجزيرة العربيّة أبداً، وهذه الحالة الجوّية لا تحدث إلّا في شمال أمريكا وروسيا والدّول الاسكندنافيّة، والتي لم تكن أصلا مكتشفة! لم تكن هذه القارّات مكتشفة على أيّام محمد ﷺ! فمن الذي أخبر محمد ﷺ بهذه الأمور؟

والحقيقة الخامسة في قوله تعالى: الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (الآية من 1 الى 3 من سورة الروم).

الروم هم النصارى المعروفين، وكانت الحروب بينهم وبين الفرس سجالًا، تارة يدال هؤلاء على هؤلاء، وتارة هؤلاء على هؤلاء، وقد أخبر الله أنهم غُلِبوا "غلبتهم الفرس" فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (الآية رقم 3 و 4 من سورة الروم) ووقع ذلك! فغلبت الروم الفرس، وكان ذلك أول مبعث النبي ﷺ حين كان الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة، وكان ذلك من الآيات والدلائل على صدقه ﷺ وأنه رسول الله حقًا؛ لوقوع الأمر كما أخبر الله به في كتابه العظيم.

الله جل وعلا هو العالم بالغيب والمغيبات، ويخبر نبيه بما يشاء منها، كما أخبره عن الكثير مما يكون في آخر الزمان، كما أخبره فيما مضى من الزمان؛ من أخبار عاد، وثمود، وقوم نوح، وفرعون، وغيرهم، وكما أخبره أيضًا عليه الصلاة والسلام عما يكون يوم القيامة، ومن حال أهل الجنة وأهل النار، إلى غير ذلك، وهذه من جملة الأخبار الغيبية التي أخبر بها القرآن ووقعت كما أخبر، وكان ذلك من علامة صدق

الرسول محمد ﷺ وقد فرح المسلمون بذلك؛ لأن الروم أقرب إلى المسلمين من الفرس؛ لأنهم أهل كتاب، والفرس عُبّاد أوثان، ولهذا قال: "وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ " (الآية رقم 4 و 5 من سورة الروم)

لكن المعجزة هي أن العلم الحديث أثبت أن "أدنى الأرض" أخفض بقعه على سطح الأرض، وقد غلبت الرّوم في فلسطين قرب البحر الميّت! والبحر الميت هو أخفض بقعة على سطح الأرض وفي العالم، وعندما نوقشت هذه الآية مع عالم الجيولوجيا الشّهير "بالمر" في المؤتمر الدولي الذي أقيم في الرياض عام 1979 م، أنكر الأمر وقال أن هناك أماكن عديدة أكثر انخفاض على سطح الأرض من البحر الميت، وعندما راجع الخرائط لديه فوجئ واندهش بخريطة يوجد عليها سهم مكتوب فوقه "البحر الميت أخفض بقعة على سطح الأرض"، مما جعله يُعلن على إثرها ان هذا القران لابد ان يكون كلام الله!

والحقيقة السادسة في قوله تعالى: خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (الآية 6 من سورة الزمر).

جاء في الحديث "يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْق" أي: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم لحما، ثم إنبات الشعر، وهذه أطوار الخلق، وفي حديث آخر "يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ" أي: يكونون نطفا، ثم يكونون علقا، ثم يكونون مضغا، ثم يكونون عظاما، ثم ينفخ فيهم الروح.

وقوله: "فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ"، يعني: في ظلمة البطْن، وظلمة الرّحِم، وظُلْمة المَشِيمَة.

والمعجزة هنا أن محمد ﷺ لم يكن طبيب، ولم يشرّح أي امرأة في حياته، ولم يأخذ دروس في ذلك، أصلا لم يكن هناك علم تشريح ولا علم أجنّة على زمانه، ولم تكن أي أدوات ومواد متقدّمة لمعرفة هذا الأمر، ولقد أثبت العلم الحديث أن هناك ثلاثة أغشية تحيط بالجنين، غشاء بطانة الرحم والغشاء المشيمي والغشاء السلّي، وكلّها تشكّل "ظلمة المشيمة"، والظلمة الثانية هي جدار الرّحم وهي "ظلمة الرّحم" والظلمة الثالثة هي جدار البطن وهي "ظلمة البطن"، فمن أين له كل هذه الحقائق!

والحقيقة السابعة في قوله تعالى: الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلّف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد يصيب به من يشاء ويصرفه على من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار (الاية رقم 43 من سورة النور).

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الآية الكريمة: أَلَمْ تَرَ "يا محمد " أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي "يعني: يسوق" سحابا حيث يريد ، ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ "ثم يؤلف بين السحاب"، وأضاف "بين" إلى السحاب، ولم يذكر مع غيره، و"بين" لا تكون مضافة إلا إلى لجماعة أو اثنين؛ لأن "السحاب" هي جمع، ومفردها "سحابة"، كما يجمع النخلة "نخل"، والتمرة "تمر"، وهو نظير قول قائل: "جلس فلان بين النخل"، وتأليف الله السحاب بمعنى أنه جمعه بين متفرّقه، وقوله "ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا" أي: ثم يجعل السحاب الذي يزجيه ويؤلف بعضه إلى بعض ركاما، بمعنى متراكما بعضه على بعض، وقوله " فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِه" أي: فترى المطر يخرج من بين السحاب.

يقول العلماء والعلم الحديث أن السّحب الركامية يبدأ تكوّنها بعدّة خلايا قليله "كنتف القطن " تدفعها الرياح لتندمج مع بعضها البعض مشكّلة سحابة عملاقة كالجبل، يصل ارتفاعها الى 54 الف قدم أحياناً، وتكون قمّة السّحابة شديدة البرودة بالنّسبة لقاعدتها، وبسبب هذا الاختلاف في درجات الحراره يتكوّن "حبّات البرد"،

كما تعمل على تفريغ الشحنات الكهربائية، كما أنها تطلق شرارات باهرة الضوء مما يصيب الطيارين بالعمى المؤقّت! وهذا ما وصفته الأية، فكيف علم محمد ﷺ بكل هذا!؟

والحقيقة الثامنة في قوله تعالى: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (الآية 25 من سورة أهل الكهف)

لبث أصحاب الكهف في كهفهم رقودا ثلاثمائة وتسع سنين إلى أن بعثهم الله، ليتساءلوا بينهم كم لبثتم؟ فردّ الله وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف من لدن أووا إليه إلى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم، ثم قال جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم، من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم بذلك غير الله، وغير من أعلمه الله ذلك.

يقول العلماء أن اهل الكهف لبثو 300 سنه شمسية و309 سنه قمريّة، وقد قال علماء الرياضيات في العصر الحديث أن السنة الشمسية أطول من السنة القمرية ب 11 يوم، فاذا ضربنا 11*300 = 3300، فاذا قسمنا 3300\ 360 "أيام السنة"= 9 سنين ! فهل كان محمد ﷺ يعرف مكوث أهل الكهف بكهفهم بالتّقويمين القمري والشمسي؟!

والحقيقة التاسعة في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (الاية 73 من سورة الحج)

ضرب السلطان على الناس البعث، بمعنى: جعل عليهم. وضرب الجزية على النصارى، بمعنى جعل ذلك عليهم، ولله المثل الأعلى، يقول جلّ ثناؤه: جُعِل لي شبه أيها الناس، يعني بالشَّبَه والمَثَل: "الآلهة" أي: جعل لي المشركون والأصنام شَبها، فعبدوها معي، وأشركوها في عبادتي. وقوله "فاستمعوا له" أي: فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبها، ولكن" إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا" أي: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره، لأنها لا تقدر على ذلك، ولو اجتمعوا لخلقه جميعا لن يستطيعوا.

وقوله: وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا، أي: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذبابُ شيئا مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء لا يستنقذوه منه، ولا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه، وقوله:" ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ"، والمقصود ضعفت الآلهة على أن يخلقوا الذباب.

وقد أثبت العلم الحديث وجود افرازات في الذّبابة، بحيث تحوّل ما تلتقطه الى مواد مغايرة تماما، فلا يستطيع أحد معرفة المادّة التي التقطها أصلا، وبالتالي لا نستطيع استنفاذ هذه المادة منها مرّة ثانية.

والحقيقة العاشرة في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (الاية 5 من سورة الحج)

بمعنى: يا أيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة، فإنا خلقناكم أي خلقنا أباكم الذي هو أصل النوع الإنساني، وهو "آدم - عليه السلام" من تراب، ثم خلقنا ذريته من نطفة، وهو المني "سمي نطفة لقلته" وهو القليل من الماء، وقد يقع على الكثير منه؛ ثم من علقة "وهو الدم الجامد" والعلق الدم العبيط، أي الطري وشديد الحمرة ، ثم من مضغة "وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ؛ ومنه الحديث ألا وإن في الجسد مضغة، وهذه الأطوار أربعة أشهر، وقال ابن عباس: وفي العشر بعد الأشهر الأربعة ينفخ فيه الروح، فذلك عدة المتوفى عنها زوجها؛ أربعة أشهر وعشر.

وقد أثبت العلم الحديث أن جسم الإنسان يحتوي ما تحتويه الأرض من عناصر؛ فهو يتكوَّن من الكربون، والأوكسجين، والهيدروجين، والفوسفور، والكبريت، والآزوت، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، والكلور، والمغنزيوم، والحديد، والمنغنيز، والنحاس، واليود، والفلورين، والكوبالت، والزنك، والسلكون، والألمنيوم، وكلُّ هذه العناصر هي العناصر نفسها المكوّنة للتراب أيضاً، وإن اختلفت نسبها بين الإنسان والتُّراب، ومن إنسان لآخر. كذلك فإن نسبة الماء من جسم الإنسان تعادل نسبة البحار إلى اليابسة في الكرة الأرضية، وهذا ما يؤكد خلق آدم من تراب الأرض، كما وأنه عند موت الانسان يتحلل ويصير ترابا.

والحقائق العلمية في الكتاب كثيرة جدّا، والتي حفرت الإيمان في أعتد العقول الإلحادية، بل إن منهم من استسلم له، فلقد أثّر في أستاذ علم التشريح والأجنة بجامعة تورنتو في كندا الدكتور (كيث مور) والذي ترأس العديد من الجمعيات كجمعية علماء التشريح والأجنة في كندا وأمريكا، ومجلس اتحاد الأمريكيتين في التشريح، وكان عضواً في الجمعية الطبية الملكية بكندا، وله العديد من الكتب في علم التشريح والأجنة.

اعترف مور باعتقاده أن آيات القرآن المتعلقة بعلم الأجنة تقدم دليلًا على أصله الإلهي، حيث قال في مقالة كتبها أن إشارات القرآن إلى تكاثر الإنسان ونموه متناثرة في القرآن، وأن تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بتكون الإنسان لم يكن ممكنًا في القرن السابع للميلاد، ولا حتى منذ مئة سنة، ويؤكد مور أن ما قاله القرآن عن نمو الإنسان يجعل من الواضح أن أصله إلهي قائلًا: "هذا يثبت لي أنه لابد أن محمدًا كان رسولًا من عند الله" .

يقول مور: "دُعيت مرة لحضور مؤتمر عقد للإعجاز في موسكو، فكرهت في بادئ الأمر أن أحضره؛ لأنه يعقد في بلد كانت هي عاصمة الكفر والإلحاد لأكثر من سبعين سنة، ثم قال في نفسه: ماذا يعلم هؤلاء الناس عن الله حتى ندعوهم إلى ما نادى به القرآن الكريم؟! فقيل لي: لا بد من الذهاب، فإن الدعوة قد وُجِّهت إلينا من قِبَل الأكاديمية الطبية الروسية".

يكمل مور: "فذهبنا إلى موسكو، وفي أثناء استعراض بعض الآيات الكونية وبالتحديد عند قول الله تعالى: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (الاية 5 من سورة السجدة) وقف أحد العلماء المسلمين وقال: إذا كانت ألف سنة تساوي قدرين من الزمان غير متكافئين، دلَّ ذلك على اختلاف السرعة، ثم بدأ يحسب هذه السرعة فقال: ألف سنة.. لا بد وأن تكون ألف سنة قمرية؛ لأن العرب لم يكونوا يعرفون السنة الشمسية! والسنة القمرية اثنا عشر شهرًا قمريًّا، ومدة الشهرالقمري هي مدار القمر حول الأرض، وهذا المدار محسوب بدقة بالغة، وهو 2.4 بليون كم، فقال: 2.4 بليون مضروب في 12 -وهو عدد شهور السنة- ثم في ألف سنة، ثم يُقسم هذا الناتج على أربع وعشرين -وهو عدد ساعات اليوم- ثم على ستين -الدقائق- ثم على ستين -الثواني- فتوصَّل هذا الرجل إلى سرعة أعلى من سرعة الضوء! فوقف أستاذ في الفيزياء -وهو عضو في الأكاديمية الروسية- وهو يقول: لقد كنت أظنني -قبل هذا

المؤتمر- من المبرزين في علم الفيزياء، وفي علم الضوء بالذات، فإذا بعلمٍ أكبر من علمي بكثير! ولا أستطيع أن أعتذر عن تقصيري في معرفة هذا العلم، إلا أنني أُعلن أمامكم جميعًا أني -أشهدأن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله- ثم تبعه في ذلك أربعة من المترجمين، الذين ما تحدثنا معهم على الإطلاق وإنما كانوا قابعين في غرفهم الزجاجية يترجمون الحديث من العربية إلى الروسية والعكس، فجاءونا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله! ليس هذا فحسب وإنما عَلِمنا بعد ذلك أن التلفاز الروسي قد سجَّل هذه الحلقات وأذاعها كاملة، فبلغنا أن أكثر من 37 عالمًا من أشهر العلماء الروس قد أسلموا بمجرد مشاهدتهم لهذه الحلقات! ليس هذا فحسب، وإنما كان معنا أيضًا -كيث مور- وهو من أشهر العلماء في علم الأجنة، ويعرفه تقريبًا كل أطباء العالم، له كتاب شهير يُدرَّس في معظم كليات الطب في العالم، وقد تُرجم هذا الكتاب لأكثر من 25 لغة، -The Developing Human- فوقف هذا الرجل في وسط ذلك الجمع قائلًا: إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لميبلغه العلم الحديث، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمدًا رسول الله، فقيل له: هل أنت مسلم؟! قال: لا، ولكني أشهد أن القرآن كلام الله، وأنَّ محمدًا مرسَل من عند الله، فقيل له: إذن فأنت مسلم، قال: أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن، ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يومًا أن كيث مور قد دخل الإسلام! ولقد وصلنا في العام الماضي أنه قد أعلن إسلامه فعلًا، فلله الحمد والمنة".

وأيضا عندما حضر البروفيسور مور مؤتمراً للاعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية في مصر.. وهناك في ذلك المكان وقف الدكتور مور ليقول: "انني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم، ولست أعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أؤكد على أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين"، وكان يتكلم عن الآية القرآنية الكريمة :وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ،ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (الاية 12 الى 14 من سورة المؤنون) وقد أثبت علم الأجنة هذه المراحل وصحتها وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن، وهذه المراحل هي: أصل الإنسان "سلالة من طين"، ثم النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم العظام، ثم الإكساء باللحم، ثم النشأة.

وقد اعتبر المؤتمر الخامس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي عقد في موسكو "سبتمبر/ أيلول 1995م" هذا التقسيم القرآني لمراحل خلق الجنين وتطوره صحيحًا ودقيقًا، وأوصى في مقرراته على اعتماده كتصنيف علمي للتدريس، علمًا أنَّ الأستاذ الدكتور "كيث مور Keith Moore" وهو من أشهر علماء التشريح وعلم الأجنة في العالم ورئيس هذا القسم في جامعة تورنتو بكندا -الذي كان أحد الباحثين المشاركين في المؤتمرالمذكور- ألَّف كتابًا يعدُّ من أهم المراجع الطبية في هذا الاختصاص "مراحل خلق الإنسان - علم الأجنة السريري"، وضمنه ذكر هذه المراحل المذكورة في القرآن، وربط بين كل فصل من فصول الكتاب التي تتكلم عن تطور خلق الجنين وبين الحقائق العلمية والآيات والأحاديث المتعلقة بها، وشرحها وعلق عليها بالتعاون مع الشيخ "الزنداني" وزملائه .

أثارت تعليقات مور على القرآن جدلًا واسعًا لدى علماء الأجنة البارزين مثل (بي زي مايرز) وغيره، وفي عام 2002 رفض مور مقابلة جريدة "وال ستريت جورنال" بخصوص عمله حول الإسلام معللًا ذلك بأنه

"قد مضى عشر سنوات أو 11 على عملي في القرآن"، وشهادته هذه ليست شهادة رجل عادي، وانما شهادة رجل من أهل العلم والاختصاص، وهو أدرى الناس بنشأة الجنين وتطوره لأن ذلك اختصاصه، فالذي قاده للاسلام هو علمه، وأبحاثه، ودراسته، وأخيراً إنصافه..

كما أنه أثّر في الفيلسوف والكاتب والمفكّر الفرنسي الكبير (روجيه غارودي) والذي غير اسمه الى "رجاء غارودي"، والذي إعتنق الإسلام عام 1982 م، حيث كان كاثوليكي ثم بعدها اعتنق البروستانتينيه، وهو أحد زعماء الحزب الشّيوعي الفرنسي، كان يقرأ أكثر من 3 كتب في اليوم ومنهم من قال 10 كتب في اليوم، وألّف أكثر من 50 كتابا، ومن هذه الكتب "فلسطين أرض الرّسالات السّماويّه"، "المسجد مراة الإسلام"، "الأساطير المؤسّسة للسّياسة الإسرائيليّة" والذي شكّك فيه بعدد اليهود الذين قتلوا في المحرقة النّازيّة، وحكم بالسّجن مع وقف التنفيذ ودفع غرامة ماليّة بسبب هذا الكتاب، والأساطير التي يراها في إسرائيل هي: الأرض الموعوده لليهود في فلسطين، وان اليهود شعب الله المختار، حيث قال أن كل هذه اساطير اسرائيلية، ومن مقولاته المشهورة: "الولايات المتّحدة الامريكيّة مستعمرة إسرائيلية"، و"المستقبل هو ما نبنيه لا ما سنجده امامنا".

إعتنق الإسلام عام 1982 م ، وسبب إسلامه يعود إلى تاريخ 1941 عندما كان سجيناً في الجزائر من قبل النازية الألمان، وكان برفقة 500 مناض قاموا بعصيان في السجن، فأمر قائد السجن حاملي الرشاشات -وقد كانوا من الجزائريين المسلمين- أن يطلقوا النار على السجناء، فرفضوا.. ولم يفهم روجيه وقتها سبب رفضهم، وبعد فترة علم من قائد جزائري مسلم أنّ "شرف المحارب المسلم يمنعه أن يطلق النار على انسان أعزل"، يقول روجيه: "كان هذا التصرّف هو السبب في أن أتعرف فيه على الإسلام لأول مرّة، وعلّمني أكثر من الذي تعلمته في جامعة السوربون!"، ويقول روجيه: "لم أُسْلِم بمحض الصدفة بل بعد معاناة وبحث ورحلة طويلة"...

كما أنه جعل أشرس ملحد في عصرنا الحديث الفيلسوف البريطاني الشّهير (أنتوني فلو) والذي حارب الإسلام ل 50 عاما، ويؤلّف الكتب التي تدحض فكرة الإله أن يقوم بالاعتراف بوجود إله ويؤلف كتاب ينسخ كل كتبه وهو "هناك إله there is agod"، وهو صاحب الدراسات المتعمقة في الدين، اقترنت شهرته الواسعة بدفاعه العنيف عن الإلحاد، وكانت كتاباته جدول أعمال الفكر الإلحادي طوال النصف الثاني من القرن العشرين، وبعد أن بلغ أنتوني فلو الثمانين من العمر فاجأ العالم في 9 ديسمبر عام 2004 أنه صار مؤمناً بالله! وقد أذاعت "الأسوشيتد برس" الخبر على النحو التالي: "الملحد الشهير يعود للإيمان بالله بدافع من الشواهد العلمية ".

بل وأصدر أنتوني فلو في عام 2007 كتابه الشهير: "هناك إله: كيف عَدَل أشرس ملحد عن الإلحاد".

وكتب أنتوني فلو اعترافه الشهير الذي يقول فيه: "يقولون أن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية وأنا سأُدلي باعترافي، إن ظهور هذا العالم من اللازمان واللامكان شيءٌ محرجٌ جداً بالنسبة للملحدين، ذلك لأن العلم أثبت فكرة طالما دافعت عنها الكتب الدينية!".

وكانت بداية التحول الحقيقي في يناير عام 2004 حين أعلن أنتوني فلو أثناء حواره مع الفيلسوف "جاري هابرماس Gary Habermas" في "جامعة كاليفورنيا بوليتكنيك California Polytechnic State

University" أنه يفكر بعمق في الإيمان، لأن الإلحاد بالفعل يعاني من إشكالات ضخمة وتتعلق به علامات استفهام عملاقة .

وفي 9 ديسمبر من نفس العام أعلن أنتوني فلو رسميًا أنه مؤمن بالله، وقال: "إن الحجج الأكثر إثارة للإعجاب على وجود الله هي المدعومة بالاكتشافات العلمية الحديثة، وتلك الحجج الخاصة بالتصميم الذكي أقوى بكثير عما كنت قد رصدتها من قبل".

وقال: "السؤال الفلسفي الذي لم تتم الإجابة عليه حتى الآن بشأن نشأة الحياة هو: كيف للكون الذي يتشكل من مادة عمياء بلا عقل أن يُنتج كينونات تحكمها الغائية، والمقدرة على التكاثر والكيمياء المشفرة، إننا الآن لا نتعامل مع بيولوجيا إنها فئة مختلفة تمامًا من المشكلة".

وفي خطابه إلى "مجلة الفلسفة الجديدة Philosophy Now magazine " عدد أغسطس سبتمبر 2004 أوضح أنتوني فلو أن نظرية التطور من خلال الانتخاب الطبيعي لا علاقة لها بقضية نشأة الحياة! وأن داروين نفسه ربما يؤمن أن الحياة قد نُفخ فيها بإعجاز مِن قبل الخالق، وهي الكلمة الشهيرة لداروين في آخر كتابه "أصل الأنواع The Origin of Species " في طبعاته الأولى.
وبعد اكتشاف جزيء ال DNAعلى يد "واطسون وكريك" في خمسينيات القرن الماضي، أصبح من الصعب بمكان –والكلام لأنتوني فلو- أن تبدأ في التفكير في بناء نظرية التطور الطبيعية بدءًا من الكائن الأول.

ومن اللافت للنظر أن هذه النتيجة توصل إليها أيضًا اللاديني (فرانسيس كريك Crick Francis) في كتابه "الحياة نفسها نشأتها وطبيعتها Life Itself: Its Origin and Nature "، فقد قرّر أن نشأة بروتين واحد وظيفي بسيط بالصدفة هو ضرب من الاستحالة يكاد يفوق 10 أس 260 مع أن عدد ذرات الكون ككل لا تتجاوز 10 أس 80، هذا في بروتين وظيفي بسيط العلم أن أدنى الكائنات به آلاف البروتينات! وفي النهاية يعترف فرانسيس كريك قائلاً: "كرجل منصف، ومُسلح بالعلم المتاح لنا الآن، أستطيع أن أُقرر بشيءٍ من المنطق، أن نشأة الحياة معجزة".

ومشكلة الداروينية الأخرى مع أنتوني فلو أنها كما يعترف داروين نفسه في كتابه أصل الأنواع الفصل الرابع عشر والأخير، أن الداروينية لا تبدأ إلا من كائن حي قادر على التكاثر-وليس من جسيمات غير حية- ، ويبدو لي أن أبحاث خمسين عامًا الماضية في ال DNA تعطي مادة قوية للإثبات التصميم- والكلام لأنتوني فلو.

الداروينية طبقًا لأنتوني فلو لا تستطيع أن تُفسر نشأة الحياة، ثم إن رصد الذكاء المدهش في التصميم سهل جدًا لمن تتبع جزيء ال DNA وهكذا كانت عودة أنتوني فلو للإيمان بالخالق هي عودة من منطلق علمي مجرد، وهكذا كانت مآخذه على الإلحاد من شواهد التصميم والضبط وروعة الخلق، قال تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (الاية 53 من سورة فصلت)

وهذه أقوال بعض المؤرخين والكتاب والأدباء والمستشرقين والمفكرين في القرآن:

ويقول الكاتب والناقد والساخر والمؤرخ الإسكتلندي الشّهير (توماس كارليل) صاحب الكتاب الشّهير "الأبطال وعباداتهم" يقول في القرآن الكريم: "هو الكتاب الذي يقال عنه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"،

كما أنه قال: "ولقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدَّاع مزور، وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة" ، ولقد حاز توماس كارليل على جائزة نوبل في كتابه "الأبطال وعباداتهم".

كما أن المفكّر السّياسي الإيرلندي (إدموند بيرك) قال في القرآن: "كلّما ندقّق في القران نرى كماله وعلوّه ، يجذب المرء أوّلا ثمّ يبهره ويحيّره ويجعله شغوفا به ، يجبر المرء على احترامه وبذلك ترى تأثيره في الأعماق" .

كما أن إحدى أشهر المستشرقين الألمان على المستوى الدولي (انا مارى شيمل) قالت في القرآن: "القران هو كلمة الله، موحاه بلسان عربي مبين، وترجمته لن تتجاوز المستوى السّطحي، فمن الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة".

كما أن الفيزيائي الفلكي اليهودي الأمريكي الشّهير (مايكل هارت) قال في القرآن: "لا يوجد في تاريخ الرّسالات كتاب بقي في حروفه كاملا دون تحريف سوى القران الكريم"، وهو صاحب الكتاب الشّهير "الخالدون المئة" الذي جعل فيه النبي محمد ﷺ بالمرتبة الأولى لأكثر الأشخاص المؤثرين في التاريخ، وبرّر هارت ذلك في كتابه قائلا: " اختياري لمحمد على رأس قائمة الأشخاص الأكثر تأثيراً في العالم قد يفاجئ بعض القراء وقد يشكك به آخرون، ولكنه الشخص الوحيد في التاريخ الذي كان ناجحاً بتفوقٍ في الجانبين الديني والعلماني"، وفي المرتبة الثانية حلَّ الفيزيائي البريطاني"نيوتن" لأنه وضع قوانين الحركة وقانون الجذب العام، ولمساهمته في التفاضل والتكامل والبصريات، ووضع هارت "يسوع المسيح" في المرتبة الثالثة لأنه أسس المسيحية، وفي المرتبة الرابعة وضع "بوذا" لتأسيسه للبوذية، وفي الخامسة وضع " كونفوشيوس" لتأسيسه للكونفوشوسية، وفي المرتبة السادسة وضع "القديس بولس" لنشره للدين المسيحي، وفي المرتبة السابعة وضع " تساي لون" مخترع الورق، وفي الثامنة وضع " يوهان غوتنبرغ " مخترع الطباعة، وفي المرتبة التاسعة وضع "كريستوفر كولمبس" مكتشف الأمريكتين، وفي المرتبة العاشرة وضع "آينشتاين" صاحب النظرية النسبية العامة والخاصة، والقائمة تطول.

أما عن البروفيسور الياباني (يوشيودي كوزان) والذي قال في القرآن: "لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع"، وبالمناسبه هو أسلم .

أما عن أشهر الأدباء الألمان (يوهان جوته) والذي قال في القرآن: "كلّما قرأت القرآن أشعر بروحي تهتز داخل جسمي" .

أما عن الرّوائي العملاق والمصلح الاجتماعي والمفكّر الأخلاقي وداعية السّلام الرّوسي (ليو تولستوي) والذي قال في القرآن: "سوف تسود شريعة القرآن العالم لتوافقها وانسجامها مع العقل والحكمة".

أما عن الكاتب والفيلسوف الفرنسي الشّهير (فولتير) والذي قال في القرآن: "انا على يقين بأنه اذا عرض القرآن والإنجيل على شخص غير متديّن لإختار القرآن ، لأن القرآن الذي نزل على صدر محمد ص

يعرض في ظاهره أفكار تنطبق مع الأسس العقليّة، ولعلّه لم يوضع قانون كامل في مسألة -الطلاق- مثل الذي وضعة في القران الكريم".

أما عن المؤرخ والكاتب الفرنسي (أرنست رينو) والذي قال في القرآن: "كلّما أحسست بالاجهاد وأردت أن تفتح لي أبواب المعاني والكمالات طالعت القرآن، حيث انني لا احس بتعب او ملل بمطالعته بكثرة، ولو أراد احد ان يعتقد بكتاب نزل من السماء فان ذلك الكتاب هو القرآن لا غير، فالكتب الأخرى ليست فيها خصائص القرآن".

أما عن الإسلام فقد قال فيه الروائي الروسي (سولجنستين COLGNCEETN) العبارة التالية: "إن الطريقة الوحيدة نحو تصحيح المسار المادي المنحرف للإنسان الغربي المعاصر هو عودته إلى الإيمان بقوة مهيمنة على مصير الإنسان، وهي التي تحدد له قيمة ومسؤولياته الأخلاقية والاجتماعية، وكذلك الإيمان بوجود قيم أخلاقية عالية وموضوعية شاملة لكل البشر، وهي تعلو على كل اعتبارات الحرية الفردية التي لا تحدها حدود".

والمفكر الفرنسي (ديباسكييه DEEBCKEEH) هو الآخر يرشح الإسلام كمخلص ومنقذ وحيد للبشرية، فيقول: "إن الغرب لم يعرف الإسلام أبداً، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفاً عدائياً منه، ولم يكف عن الافتراء والتنديد به لكي يجد مبررات لقتاله، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام، ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لابد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان".
كل هؤلاء كانوا منجم للقرائة والفكر والبحث واستسلموا أمام عظمة الكتاب " القرآن الكريم"، وإنني أرى مرة أخرى أن هذا الكتاب العظيم -القرآن- "كلام الله" ليس له برهان، لأنه هو برهان ذاته.

#20 هل الانسان مسيّر أم مخيّر؟ ولماذا يحاسبنا الله تعالى؟

إن الله أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يُطَع مُكرَهاً.

لذلك أعتقد أن الإنسان مخير في عقيدته وفي أن يكون عبداً للإله الذي يريده، فلا توهم نفسك أن الله أجبرك على أفعالك، فلو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، ولو أنه تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة، أي: في قدرة الله!

الإنسان بالعادة يميل إلى أن يعزو أخطاءه إلى غيره، فاسأل طالبًا رسب في امتحانات الثانوية مثلا: لماذا رسبت؟ سيجيب: "الإمتحان صعب جدّاً! الأستاذ مش كويّس! المنهاج غير معقول! الوقت غير كافٍ! وما يعادلها من مبررات، ولكن، لمَ لا تقول الحقيقة! لم لا تعترف أنك لم تدرس ولم تحضر جيداً للإمتحان، أو أنك كسول، أو أنك أمضيت العام الدّراسي تلعب وتلهو مع الأصحاب، سبحان الله! دائماً يرمي الإنسان أخطاءه على ظهر غيره.

قال الله تعالى في شأن فرعون: "اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (الاية 43 و44 من سورة طه) وهذا دليل واضح على أنّ فرعون كان حرّاً عندما اختار أن يكفر بالله، بل إنه طغى وادعى الألوهية وقال "أنا ربكم الأعلى"! فأرسل الله اليه نبيه موسى عليه السلام لكي يقنعهُ بالقول اللّين والدلائل لعلّهُ يتذّكر أو يخشى.

قال تعالى: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ (الاية 29 من سورة الكهف) جليّ أن الانسان مخير في عقيدته، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وقال تعالى: إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (الاية 3 من سورة الانسان) فهو إما شاكراً أو كفوراً لأنه مخير، وقال تعالى: وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ (الاية 148 من سورة البقرة) فهل يستطيع السّائق في المركبة أن يخاطب الراكب في المقعد الخلفي، ويقول له: خذ اليمين! من الذي سيأخذ المركبة إلى اليمين؟ إنه السائق الذي يسوق المركبة!

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ على من يعود الضمير هو؟ إنّك إنْ أعدته على الله يختل المعنى ويصبح تناقض في الآية، لذلك الضمير -هو- عائد على الإنسان، فليس أمر الاختيار بيد الله تعالى، الله يعلم ماذا ستختار، لكن الانسان هو من سيختار سبيلهُ في هذه الحياة، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ أي: الإنسان مُوَلِّيهَا وهذه وجهته هو باختياره هذا وذلك.

ولو أجبرنا رجلا أن يسير في طريق بين جدارين، بحيث أن الجدار الأيمن يلامس كتفه الأيمن، والجدار الأيسر يلامس كتفه الأيسر، ثم قلنا له: رجاءً خذ اليمين، هل يستطيع؟ هل الأمر له معنى؟ لا، و هذا هو الإجبار والتّسيير.

أيها الإخوة، أنا لا أبالغ، هذا الموضوع من أخطر المواضيع وخصوصاً في العقيدة، ولمجرد أن تتوهم أن كل شيء منتهٍ، الشقي شقي، والسعيد سعيد، ولا أمل، ولمَ العمل؟ ولِمَ الأمر أساساً؟ ولمَ النهي؟ مصيبة!!

تخيّل معي أن رئيس جامعة فكّر وقرّر وجمع الأكاديميين وأخبرهم بالتالي: (سوف اجعل نسب الرّسوب مئة بالمئة! فسأله أحد المحاضرين: كيف ذلك؟ قال: سأوزع على الطلاب أوراق يصعب الإجابة عليها، وعلى اليسار سنضع علامة صفر بالمئة، ثم سنجمع الطلاب في القاعة ونوزع عليهم الأوراق، ونخبرهم: "اكتب

اسمك فقط، واخرج"، والنتيجة هي أن جميع الطلاب راسبون!) هل هذا يُعقل؟! ما قيمة هذا الرّسوب عند الناس؟ لا قيمة له، ولا قيمة للنّجاح أيضا بالنسبة للطلاب بهذه الطّريقة، كما أنه لا معنى لهذا الرسوب لأن الأمر كان جبريّاً برسوب الجميع عند رئيس الجامعة.

الله ترك للإنسان كلّ الطّرق والاتّجاهات مفتوحة، والإنسان حر بأن يسير بأي اتّجاه وطريق يختاره! ولمجرد وجود النهي في القرآن الكريم فأنت مخير، ولو لم تكن مخيراً لما كان هناك معنى إطلاقاً للأمر والنهي.

قال تعالى: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (الاية 148 من سورة الانعام).

هذه الآية أليست كافية؟ أليس هذا كلام الله؟ أليس هذا توجيه الله عز وجل؟ إذن، الإنسان مخير، لكن السّؤال: أنت مخير في ماذا؟ الحقيقة الدقيقة أنك مسيَّر في القليل ومخير في الكثير، فمثلا: بماذا أنت مسيَّر؟ أنت مسير في أمك وأبيه، مَن منّا اختار أمه وأباه؟ وأنت مسيَّر في مكان ولادتك، من مِنّا كان مخيَّراً في مكان ولادته؟ إنسان ولد في دمشق، وآخر في شيكاغو؟ والإنسان مسير في زمن ولادته، فنحن جميعاً ولدنا في القرن العشرين، وبعد مئة عام لن يكون هناك وجود للقابعين على سطح الأرض، وقبل مئة عام لم يكن هناك أحد مِنا على سطح الأرض.

كما أن الإنسان مسير في جنسه وفي خَلْقِه وصورتِه، فأحدهم ذو قامة مديدة، ولونه أبيض، وآخر أسود، هل هو مخير؟ شكلك، لونك، خصائصك، سرعة البديهة، ذاكرة قوية، ضخم الجسم، محاكمة دقيقة، كل هذه الخصائص، وقدرات أنت فيها مسيَّر.

فمثلا، مَن منكم عُرض عليه أن يكون ذكر أو أنثى، فاختار أن يكون ذكراً أو أنثى؟ لا أحد، أنت مسير في جنسك، أليس كذلك؟ ولو كشف الله لك الغطاء لوجدت أنه ليس بإمكانك إلا أن تكون كما سيّرك الله إليه -وليس في الإمكان أبدع مما كان- أي: "ليس في إمكاني أفضل مما أعطاني"، ولو كشف الله لك الغطاء لكانت الحكمة المطلقة أن تكون ذكراً، ولو كشف الغطاء للأنثى لكانت الحكمة المطلقة أن تكون أنثى، فأنت في كونك ذكرا أو أنثى مسيَّر.

أما فيما أنت مكلف به فأنت مخير، الله عز وجل أمرك بالصلاة، فأنت مخير فيها، ولك حرية اتخاذ القرار في اتباع ما أمر به هذا الاله أو لا، أمرك بالصدق، وترك لك حرية قول الحقيقة أو الكذب، أمرك بالعدل، وترك لك حرية أن تنصف أو تظلم، أمرك ببر والديك، وترك لك حرية أن تبرهم أو أن تعقهم، أنت مخير فيما كلفت.

ولولا أنك مخير لما كان معنى للثواب والعقاب، والجنة والنار، والتكليف والأمانة، وما كان عملك مثمنًا إطلاقاً.
لو كان بحوزتك جهاز هاتف متطور جداً، و شهر أحدهم في وجهك مسدسًا ـ لا سمح الله ـ وقال لك: "أعطني هاتفك أو أقتلك"، فإنك ستعطيه إياه مجبراً، لكن هل ستكون سعيد؟ "لا"، لماذا: "لأنّك أجبرت قهراً على إعطائه جهازك المحمول"، وكذلك الأمر بالنّسبة للإيمان والتّوحيد، الله تعالى لم يضع مسدّساً في وجهك ليجبرك على أن تؤمن به! الله يريدك أن تكون سعيداً ومرتاحاً عندما تختار الذهاب إليه، الله قادر

على ان يُرغمنا جميعاً على عبادته، لكنهُ لو فعل ذلك لأصبح القلب محروقاً، ولما كان هناك لذّه وحب وشوق في عبادته، لكنّه تركك بكامل إرادتك في ذلك، وهذا سر ظهور المحبّين لله والعاشقين له ولرؤية وجهه الكريم.

تخيّل أن الذكر يفقد بصره عندما ينظر إلى الأنثى! ماذا يفعل الملحدون حينها؟ سيغضون البصر، لأنّ الملحد يخاف وقتها أن يفقد بصره، على النقيض نرى في زماننا الحالي الزّعماء والملوك والرّؤساء يطاعون هكذا، يطاعون مئة بالمئة لأنهم أكرهونا وأجبرونا على ذلك! هل هذه الطاعة طوعيّة؟ إنّ الشعب أصبح مقهور ومجبور، ولو أن الله أراد أن يجبرنا على الطاعة فالقضية سهلة جداً، لكن هذا الإجبار على الطاعة لا قيمة له إطلاقاً، لا يقدم ولا يؤخر، ولا يسعد ولا يصعد بالإنسان، والذي يرقى بالإنسان أن يصطفي سبلهُ إلى الله، أن يأتيه طائعاً، أن يأتيه بمبادرة منه، أن يأتيه عن محبة، وكأن الله عز وجل أراد أن تكون العلاقة بينه وبين عباده علاقة حب.

قال تعالى: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ (الاية 54 من سورة المائدة) ولك أن تفهم أن جميع الآيات التي هي في مضمون: "ولو شاء ربك لهدى الناس جميعاً " في هذا المعنى، أن هذا الهدى القسري لا قيمة له بتاتاً، ولا يرقى بك، ولا يسمو بك، ولا يسعدك، أما الذي يسعدك أن تمر أمامك فتاة وبإمكانك أن تملأ عينيك من محاسنها، لكنك خوفاً من الله ومحبة له وطاعة له كففت بصرك عنها، وقلت: "إني أخاف الله رب العالمين"، وفي وقت شتاء، والبرد شديد، والفراش وثير ودافئ، وسمعت آذان الفجر، جسمك يدعوك أن تبقى نائماً، لكنك تنزع عنك الغطاء، وتقوم إلى الوضوء وتصلي مختاراً وبملئ إرادتك حباً لله.

من هنا كان البشر غنقسموا الى عباد أو عبيد، العباد جمع عبد الشكر، والعبيد جمع عبد القهر -كل إنسان عبد لله- حتى الملحد، حتى الكافر، حتى العاصي، حتى الفاجر، ومعنى عبد أنه في قبضة الله، في أي لحظة يتجمد الدم في إحدى أوعية الدماغ، وقد كان بأعلى درجة من الحيوية والنشاط فيقع على الأرض، ويُشل ويفقد النطق، فيقول الناس: خثرة في الدماغ! سكتة دماغية! في أي لحظة يضيق الشريان فيشعر الإنسان بذبحة صدرية، وفي أي لحظة تنمو الخلايا نمواً عشوائياً ينتج عنه ورم خبيث أو مرض عضال، وهذا مرض يتحدى أهل الأرض وهم في أعلى درجات العلم والتقدم، فلا مستشفيات ولا أطباء ولا دواء ينقذهُ! بهذه الطريقة قهر الله عبدهُ لكي يفهم الانسان أنه في قبضة الرحمن، لذلك علينا أن نكون عباداً لله، قال تعالى: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (الاية 63 من سورة الفرقان).

سأل رجلٌ الإمام عليًّا رضي الله عنه: أكان مسيرُنا إلى الشام بقضاء الله وقدره؟ قال: ويحك، لو كان قضاء لازماً وقدراً حاتماً إذاً لبطل الوعد والوعيد، ولانتفى الثواب والعقاب، إن الله أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يُطَع مكرهاً.

إذن، لماذا يحاسبنا الله تعالى؟ لأن الإنسان مخلوق حر، وهو مسؤول عن أفعاله وأعماله وأقواله وحركاته، فإذا سحبت من الإنسان الحريّة والمسؤوليّة أصبح كائن مبرمج، وهذا ليس مقصود الله من خلق الانسان، فالملائكة معدة لذلك، لكن الإنسان حكم ذاته، وأفكاره لها نتائج وأفعاله لها نتائج، ولابد ان يتحمّل مسؤوليّة هذه النّتائج، فقد يكون هناك جزء من العذاب والألم ليس عقابا للإنسان، وإنّما نتيجة لهذه الافكار والافعال التي صدرت عنه باختياره.

قال تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ (الاية رقم 72 من سورة الأحزاب) الله تعالى قادر على أن يلغي اختيارنا، وأن يلغي تكليفنا، وأن

يلغي حملنا للأمانة، ولو شاء أن يلغي الرسالة التي كَلّفنا بها وهويتنا كمخلوق مكلَّف لفعل هذا، لكن الانسان إختار أن يقبل بها، وقال: يا رب أنا لها! وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إنه كان ظلوماً جهولا.

لذلك أعمالنا ليست من إجبار الله، بل من اختيارنا نحن، ولذلك سوف نحاسب عليها، وسندفع الثمن باهظاً، قال تعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (الاية رقم 13 من سورة السجدة) لو شاء أن يجبرنا على الهدى جميعا لأجبرنا، لكنّه تركنا أحرارا وتوعّدنا بأنه من حاد عن طريقه ومسلكه ولم يتوب ويرجع فمصيره جهنّم، هذا جزاء أعمالنا، وجزاء جرائمنا، وجزاء عدواننا، لذلك أخطر ما ينبغي أن تعتقده ألا ترمي خطأك لجهة أخرى، وخصوصاً على الله سبحانهُ أو على النّاس! الحقيقه أن الله تعالى يعلم كل شيء، لكن يعلم ما سيكون علْمَ كشفِ لا علمَ جبرٍ.

نمط المسلم المعاصر نمط غير مقبول إطلاقاً، لا يفعل شيئًا، سيدنا عمر رأى مع رجل جملا أجرب فقال له: ما تفعل يا أخا العرب؟ قال: أدعو الله له، قال: هلاّ جعلت مع الدعاء قطراناً ؟! يعلمنا رضي الله عنه أن نأخذ بالأسباب، يجب أن تأخذ بالسبب! قال تعالى : وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ (الاية 60 من سورة الانفال) هم أعدُّوا لنا، ولم نعدّ لهم، أعدّوا لنا أسلحة فتاكة، وأجبروا العالَم كلّه على ثقافتهم، وعلى إباحيتهم، وعلى أنماط حياتهم، هذه هي العولمة، وهذا أدق مفهوم للعولمة، بمعنى أن هناك جهة قوية جداً تفرض ثقافتها وتفلتها وعلمها على العالم بأسره، والتقصير مِن قِبَلنا، هم أعدوا لنا ويعملون في ظلام الليل، ونحن نائمون في ضوء الشمس!

لذلك، لا تتهرب مِن تحمُّلِ المسؤولية والرسالة التي طلبتها من الله، كن جريئاً وشجاعاً، قل: "أنا مخطئ، إنه مني ومن عملي، أخطائي في تربية أولادي أودت بهم إلى ما هم عليه".

وهنا أذكّر ان الله تعالى لا يؤمر بالفحشاء والمنكر، أنت من اخترت هذا، الله تعالى خلقك وهو يعلم حاجاتك وما هي المنفعة لنا وما هي المضرّة لنا، وقد أمرنا بكل خير ونهانا عن كل شر، وبيّن لنا كل شيء وتركنا أحرارا في اختيارنا، قال تعالى : إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَجْمَعِينَ (الاية رقم 28 من سورة الأعراف) وهناك موقف حاسم لسيدنا عمر رضي الله عنه، حيث جاءوا إليه بشارب خمر، فقال: "أقيموا عليه الحد".

إن الجماد شيء له وزن، وله أبعاد ثلاثة، يشغل حيزاً.
والنبات شيء يشغل حيزاً في الفراغ، ولها أبعاد ثلاثة، ولكنها تنمو.
والحيوان يشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعاد ثلاثة، وينمو، ولكنه يمشي، والنبات لا يمشي.
والإنسان له وزن، ويشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعاد ثلاثة، وينمو كالنبات، ويمشي كالحيوان، ولكنه صاحب ملكة العقل، وهو هدية الله للإنسان، وعليه سيحاسب، قال تعالى: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ، فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (الاية رقم 6 من سورة الزّلزله).

#21 هل خلقنا الله من أجل أن يحاسبنا ويعذّبنا؟

الله خلقنا لأنه يحبّنا، ولأنّه يريد أن يرحمنا، والدليل على ذلك أنه وفّر لنا كل ما يلزمنا و كل شيء نحتاجه قبل مجيئنا، بل إنه سبحانهُ أمر أطهر خلقه وأقربهم إليه "الملائكة وإبليس" بالسّجود لسيّدنا آدم عليه السلام بعد أن نفث الرّوح في أحشائه، بل إنه تعالى جعله خليفته في الأرض وجهّز الكون وما فيه لاستقباله، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الله تعالى يحبّنا جدّاً، ونحن نحبّه عز وجل لأنّه أوجدنا من العدم ومن لاشيء.

قال تعالى في كتابه الكريم: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (الاية 31 من سورة آل عمران) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " رواه البخاري 6502

قال الله سبحانه وتعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (الاية 7 من سورة الحجرات) وجاء في الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل: إنّ الله يحبُّ فلاناً فأحبِبْه، فيُحِبُّه جبريلُ، فيُنادي جبريلُ في أهل السّماءِ: إنّ الله يحبُّ فلاناً فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أهل السّماء، ثمّ يوضَع له القبولُ في الأرضِ، وفي حديث آخر قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنّ الله يُعطي الدُّنيا من يحبّ ومن لا يحبّ، ولا يعطي الدِّين إلَّا لمن أحبَّ، فمن أعطاه اللهُ الدِّين فقد أحبّه.

أليس كل هذا دليل على حب الله تعالى لنا، وأنه يريد أن يرحمنا لا أن يعذّبنا، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ؟ وعندما يقول الله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (الاية 185 من سورة البقرة) أليس هذا برهان على حب الله تعالى لنا ورحمته بنا!؟ الله تعالى خلقنا وأعطانا حرية الاختيار وهدانا لما فيه مصلحتنا، ولم يجبرنا على معصيته، فإن عصيناه فبإرادتنا وسوء اختيارنا، وإن أطعناه فبإرادتنا وحسن اختيارنا، فليس في خلقه إيانا مع علمه بأننا سنختار طريق المعصية "أي ظلم لنا "، بل نحن من ظلمنا أنفسنا، قال تعالى: وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (الاية 118 من سورة النحل) .

في المقابل الله تعالى خلق الكون وكل ما فيه وحكمه بقوانين وأنزل دستورا وبعث الرسل بتوجيهات، كل هذا من أجل النوع الإنساني، لكي يعلم ما لهُ وما عليه، ولكي يحافظ على العالم وعلى موقعه كخليفة تم تنصيبه عليه، وكي نحترم ونتعايش مع بعضنا ومع الآخر بكل حب، ولكي نعبده نوع من الشّكر على أنه خلقنا من لا شيء، وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

الله تعالى ليس بحاجتنا ولا بحاجة عبادتنا له، وعندما خلقنا وضح لنا كل شيء، وتركنا أحرارا فيما نصنع، لكن نحن من إنتخب الحرام وخرج عن الصّراط وعن كل ما هو فطري، من الذي اغتصب، وسرق، وكذب، وبدّل، وغيّر؟ من الذي أشعل الحرب العالمية الأولى والثانية؟ من الذي شذّ عن إنسانيته وخالف الطبيعي؟

من الذي خرق طبقة الأوزون؟ من الذي ألحد بخالقه وكفر به؟ إنه الإنسان! إنه نحن، لذلك من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره.

ان الله تبارك وتعالى قد تعلق غرضه الأساسي في خلق الناس لكي يرحمهم رحمة خاصة، ولكن هذه الغاية لا تتحقق إلا اذا كان في هؤلاء ما يميزهم عن سائر الخلق كالملائكة والجن والسموات والأرض، وإلا لجاء السؤال: لماذا اعطانا هذه الرحمات دون غيرنا؟
لابد من وجود ساحة للإبتلاء ليستحق بها هؤلاء الرحمة، وبعبارة اخرى لابد من تكليف، والتكليف يقتضي الاختيار، وهنا كانت الكرة في ساحة المكلف، فإن شاء اطاع وإن شاء عصى، فاذا عصى البعض فهو باختيارهم، قال تعالى: مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (الاية 46 من سورة فصلت) .

#22 لماذا أعطانا الحريّة من ناحية، ومن ثم يهدّدنا من ناحية أخرى؟

أعتقد أنّ الحريّة يجب أن تكون محميّة بضوابط من -الله- مانح هذه الحريّة للأنسان - وهذا ليس تهديداً وإنّما تحذيراً - لأنّ الانسان يمكنه أن يستعمل هذه الحريّة فيسيء لنفسه ولغيره، وهذا ما حدث فعلاً، فقد فعل الانسان كل أنواع التشويه وألوان الحرام، فحوّل الذكر إلى أنثى والأنثى إلى ذكر، بل إنه وصل إلى عبادة إبليس وإنشاء معبد وإنجيل خاصاً به، كم فعل المجرم (أليستر كراولي) وتلميذه (أنطون لافي).

من مجريات الحياة اليومية نشاهد رجل يقود مركبته من رام الله الى جنين بسرعة 80 كم، و بعد أن يتجاوز كيلومترات معيّنة يكون هناك رادار لمراقبة سرعة السائق، هل هذا يعتبر تهديد أم تحذير وتنبيه؟ يعتبر تحذير وتنبيه للسائق، لكي لا يتجاوز حدود حريّته ويأذي نفسه ويتسبب في قتل الآخرين من حوله على الطريق جراء التسبب في حادث سير! ولله المثل الأعلى، فالله يحذّرنا من سوء استعمالنا للحريّة التي منحنا اياها لكي لا نخرج عن النمط ونتسبب في كوارث ذاتية وخارجية .

قال تعالى: وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا (الاية 32 من سورة المائدة) .

ولا تنسَ أنّك لست لوحدك تعيش في هذا العالم، فأنت واحد من 8 مليار إنسان يتربع على مائدة الودود، بل إنك نقطة في حضن الكائنات الحية وغير الحية في هذا الكون! وأفعالك تؤثّر على الآخرين من أبناء الجنس الأدمي بل، وعلى جميع المخلوقات والكائنات والجمادات والماديات، فلا تكون راحتك وحريتك على سبيل الغير.

إنّ الله يهدي من يشاء، ويضلّ من يشاء، ولو شاء لجعلنا أمّة واحدة، فلماذا العقاب، وما المبرّر له؟

الله عز وجل أقام الدّلائل والبراهين والحجج وخلق كل شيء وبيّن لنا كل شيء، ولم يتركنا وحدنا، بل أنزل كتابه -القرآن- ودستورنا، وأرسله رسله وأنبيائهُ بالحق لنا، وفي النهاية أنت الذّي رسمت سبيلك وسلكت طريقك مصطفياً أن تبقي باب الله مغلقا ولا تفتحه، ولذلك تستحق العقاب، فلا حجّة لإنسان عيّنه المسؤول في شركته، ثم طغى عليه وسرقه، فكانت النتيجة أن المسؤول فصل الموظف!

ولكن لو صان هذا الموظف مكان العمل وحفظ جميل مسؤوله عليه لنال الرفعة والتقدير والمحبة، ولله المثل الأعلى، فمن فتح باب الوجود سيرى كل ما يدل على الله تعالى وسيخضع له ويعبده، وبالتالي سينعم بنعيم الله ويزحزح عن عقابه وعذابه.

23 # لماذا الألم؟ ولماذا سمح الله بحدوث هذا الألم؟ ولماذا يحاسبنا على شيء من صنعه منذ البداية؟

هناك أربعة أنواع من الألم، هناك آلام يسبّبها الإنسان لنفسه، وهناك آلام يسبّبها الإنسان للأخرين، وهناك ألم كوني يتمخّض كل من فيه من المخلوقات مع بعضهم، وهناك ألم الابتلاء.

النّوع الأوّل كأن يتعاطى الإنسان المخدّرات، ويقتل نفسه بنفسه، وحلّه هو أنه يجب على الإنسان أن يعيي أنه مؤتمن على نفسه وجسده وما يتعلق بهما، وأنه عزيز عند الله تعالى، فقد تفرّد سبحانهُ بخلقه وبصياغته وتسويته وبنائه، قال تعالى: إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي (الاية 44 من سورة النمل) وقال تعالى: وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (الاية 195 من سورة البقرة)

النّوع الثّاني كسائق يقود مركبته بطريقة متهوّرة، فتسبب في وقوع حادث سير كانت نتيجته وفاة من اصطدم به، وحلّه هو أنه يجب على الإنسان أن يعيي أنه ليس المخلوق الوحيد في هذا الكوكب، بل هناك 8 مليار من بني جنسه يسكنون معه، وأنهُ يجب أن يتعامل معهم باحترام وأخلاق ولوزوم الإلتزام بالأدب والقانون فلا ينتهك حق الآخر، كما أنه يجب على الإنسان أن يعلم أن حريته تنتهي عند حرية الآخرين.

النوع الثالث كإستعمال الانسان للأرض والسماء بطريقة خاطئة تؤدي إلى أضرار كبيرة، كإدخال المواد الكيميائية في الأرض وفي النبات، ونشر الدخان والمواد السامة في السماء وغيرها، وحلّهُ هو أن يعيي الانسان أن استخدامه للأرض بشكل خاطئ سيعود عليه بالسلب، فمنها يأكل ويشرب، وهو بذلك سيلقي نفسه في حضن السرطانات وغيرها من الأمراض، كما أن نشره للمواد الضارة في الهواء سيؤثر عليه أيضا بالسلب، لأنه يتنفس الأكسوجين والهواء النظيف ويدخله الى جسمه، مما يتسبب لحدوث أعراض في الجهاز التنفسي منها نوبات الربو والتهاب الشعب الهوائية الحاد والمزمن.

كما أن الانسان عندما قطع إتّصاله مع الله تعالى ونصّب نفسه مكانه، أفقده الله تعالى سلطته على الطّبيعة وعلى خلافة الأرض، لأن الإنسان تحدّى الله تعالى على كرسيه ونازعهُ في مُلكه، فقلب سبحانه الطبيعة ونواميسها على خليفته الذي طغى، فأرسل الأعاصير والزّلازل والزوابع والفيضانات بسبب عصيان الإنسان وفجره وكفره وإلحاده بخالقه، حتّى أن هناك أمراض متنوّعة وجديدة ظهرت تفتك بالنوع الإنساني، كما أن النفس خلقها الله تعالى تسبّح بحمده، وليست مخلوقة من أجل أن تعصيه وإنّما من أجل أن تعبدهُ، وبهذا فإن الانسان قد فقد سيطرته على جسمه وعلى نفسه فأصبح ضحيّة للأمراض النّفسيّة من قلق وتوتّر وكآبه .

النّوع الرّابع وهو أن الله سبحانه وتعالى يبتلي عبدهُ ويرسل اليه الألم والوجع؛ رفعتاً لدرجاته وتكريماً له ليلقى الله تعالى دون خطايا، ويكون ابتلاء العبد بقدر إيمانه؛ فأكثر الناس ابتلاءً هم الأنبياء، ثمّ يتدرّج البلاء حسب قوّة الإيمان، قال تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (الاية 155 من سورة البقرة) هذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباعَ رَسوله ﷺ أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد الأمور، ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءَه قَبلهم، ووَعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (الاية 214 من سورة البقرة) .

أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرَهم بالصبر وبَشّرهم فقال سبحانهُ: " وبشر الصابرين"، ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصَفوته، لتطيب أنفسهم فقال: "مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا"، وقد قال الرسول ﷺ: "أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل ، يُبتَلى الناس على قدر دينهم، فمَن ثَخُنَ دينه اشتدَّ بلاؤُه، ومَن ضعُف دينه ضعُف بلاؤه، وإنَّ الرّجل ليصيبه البلاء حتّى يمشي في الناس ما عليه خطيئة".

إن الله سبحانه وتعالى يُيسّر للعبد الذي يريد به خيراً العمل الصّالح قبل موته، فيلقى ربّه -عزّ وجلّ- يوم القيامة وقد ختم حياته في الدُّنيا بعمل صالح، فقال ﷺ: "إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً استعمله، فقيلَ: كيف يستعملُه يا رسول الله؟ قالَ: يُوفِّقُه لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ".

وتوجد علامات أخرى تؤكّد محبّة الله سبحانه وتعالى لعبده، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"، حيث ذكرت الآية الكريمة ثلاث صفات للّذين حباهم الله تعالى بمحبّته ورضوانه؛ فهم متواضعون بين المؤمنين ولا يتكبّرون عليهم، لكنّهم مع أعداء الدّين أصحاب عزّةٍ وقوّةٍ ومنَعةٍ، يُقبِلون على الجهاد إعلاءً لكلمة الله تعالى، ويُلبّون دعوة الجهاد فيجاهدون بأنفسهم، وأموالهم، وعيالهم دون خوفٍ من ملامة أحد، أو من أقاويل الناس؛ فقد وقرت في قلوبهم محبّة الله -سبحانه وتعالى- لهم.

#24 ما الحكمة من وجود الألم والمنغّصات؟

الله سبحانه وتعالى خلق الشيء وضدهُ، بمعنى خلق الشّيء وخلق عكسه، خلق الشّيء وخلق الشّيء الذي يقضي عليه، فخلق الإكترون والبروتون، والموجب والسالب، والمادة والمادة المضادة، وخلق الحياة وخلق الموت، وخلق الصحّة وخلق المرض، وخلق القطن وخلق دودة القطن، وخلق النبات وخلق الجراد، وخلق الحديد وخلق الصّدأ، وخلق الصحّة وخلق الاعاقة، وخلق الجمال وخلق التشوّه، وخلق الانسان وخلق الشيطان، وخلق الأبيض وخلق الأسود، وخلق الأنف وخلق الزكام، وخلق العين وخلق رمد العين، وخلق الأسنان وخلق سوس الأسنان، وخلق الإنسان وخلق جيش من الكائنات الدقيقة التي تتغذى على الانسان عند موته!

قال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (الاية 4 من سورة البلد) الله تعالى لم يخلق المنغّصات عبثاً وإنّما لخطّة محكمة، ولها هدف وقصد مراد، فالله تعالى خلق الدّنيا دار ابتلاء وأوجاع وازعاج وتنغيص، فعندما خلق الانسان خلق الشيطان، لكي لا يركن الانسان ويبقى متيقّظاً حذراً فيها لأنها هي أقامة مؤقّته له، وكما ذكرت أن الشيء يمتحن بعكسه.

وجود الأضّاد هو لصلاح الأرض ولحدوث التّوازن في الكون، فلو لم يكن للمعنى ضد للمعنى لما كان للمعنى معنى!

وليس الهدف من خلق الله تعالى للأضداد أن يقضي على طرف إزاء طرف، وانّما من أجل أن يعيش الجميع في توازن على الأرض، الغني مع الفقير، والقوي مع الضعيف، والانسان مع الحيوان ومع النبات ومع الطيور، لذلك خلق الله تعالى الشيء وضده لأن التكامل هو بالأضداد.

فمثلا، الله خلق البومة بطريقة مذهلة ورهيبة، فركّب فيها مواصفات وتعقيدات خيالية، كقدرتها العجيبة أن ترى الليل وكأنه نهار، حيث أن البومة تتغذى على الفئران، والفئران تنشط ليلا، لذلك كان لابد من خلق كائن يأكل هذه الفئران، وهذا المخلوق له القدرة والقوة على النظر ليلاً وهي البومة، لكن غرض الله تعالى ليس ان يقضي طرف على آخر، وأن تقضي البومة تقضي على الفئر، لأن الفئران ستنقرض حينها، لكن الله تعالى جعل الفئران تلد بأعداد كبيرة، بمعدل 42 فئراً في السنة، ولو بقيت تضع أنثى الفأر درصانها بهذه الأعداد كل عام لغطّوا الشوارع، ولذلك كانت الحكمة بخلق البومة التي تتغذى على الفئران، لكي لا ينقرض النوع ويتحقق التوازن بين الكائنات، وهذا يدل على ان الله تعالى ليس القضاء على طرف، وإنما لكي تبتعد الفئران عن أرض الفلّاحين لكي لا تتلفها! الله تعالى خلق مخلوق اسمه البومة، لكي يحمي الانسان ومزروعاته من الفئران.

لكن المشكلة هي في تدخّل الانسان بطريقه خاطئة، حيث صنع السّموم والمواد الكيميائية ليقضي على البومة، فكان الثمن إنتشار الفئران وظهور أمراض الفشل الكلوي والكبد والسراطانات وأمراض الأصعاب، بسبب أننا قتلنا أحد الكائنات التي كانت نافعه للإنسان، والتي كانت تحمي محاصيله ومزروعاته من القارض.

مسأله أخرى: تخيّل لو أن كل النّاس أصحّاء وأقوياء ولا يحتاجون عيادة الطبيب أو مساعدة الآخر، ما الفائده من الحياة؟ وما الهدف منها؟ وهل بهذه الطّريقة سنذكر الله تعالى ونتّصل به ونتّجه له بالدّعاء؟ كان يجب أن أرى الأعمى لأشعر بنعمة البصر، كان يجب أن أرى الفقير لأشعر بنعمة المال، كان يجب أن أرى

العقيم لأشعر بنعمة الولد، كان يجب أن أرى المشرّد لكي أشعر بنعمة المسكن والمأوى والبيت، كان يجب أن أرى الألم والحزن والمأساه لكي أشعر بنعمة الطّمأنينه والأمان، والأهم من هذا كلّه أن أحمد الله تعالى الذي عافاني من هذه الابتلاءات، لذلك لو لم يكن للمعنى ضد للمعنى لما كان للمعنى معنى

قال تعالى: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (الاية 78 من سورة النحل) .

#25 لماذا يوجد تشوّهات وأمراض وإعاقات؟

هذا السّؤال حيّر الفلاسفة والعلماء، ومنهم الفلاسفة الهندوسيّين، فأسّسوا ما يعرف بفلسفة "سام سكارا" أي: دورة الولادة وإعادة الولادة، وهذه الفلسفة تعتمد على "الكارما" وهي الفعل ورد الفعل، أي الحياه والموت، ولكنّهم قالوا أن دورة الحياة والموت تعني:حياة – موت، حياه – موت، وهكذا الى مالانهاية! لذلك قال الفلاسفة الهندوس بفلسفة "السام سكارا" والتي تقول أن في الولادة السابقة لهؤلاء المعاقين ربّما فعلوا الفواحش والأشياء الشّرّيرة، لذلك ولدوا في الولادة التالية معاقين، نتيجة لما فعلوه من شر في حياتهم السّابقة، واذا قمت بفعل الخير فإنّك ستصل الى أعلى درجه في الحياة وهي البشر! لكن هذا الكلام غير صحيح من وجهة نظري، لأن الأعداد السكّانية في تزايد، وفي المقابل الأعمال الشرّورية في تزايد، ونسبة المعاقين إلى السليمين قليلة جدّاً! ولو كانت هذه الفلسفة صحيحة، لكانت الاعداد السكّانيّة للمعاقين والشوّهين في تزايد عظيم نتيجة لانتشار الشر في الأرض!

ويبقى السّؤال: لماذا يوجد تشوّهات وأمراض وإعاقات في الجنس الأدمي؟

لأنّ الله تعالى قال: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (الآية رقم 2 من سورة الملك) إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق، ومعنى الآية أن الله تعالى أوجد الخلائق من العدم، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملا، ولم يقل أكثر عملا، بل قال "أحسن عملا"، وكان رسول الله ﷺ يقول: "إن الله أذل بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة، ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء، ثم دار بقاء" .

هذه الحياة التي نحياها هي امتحان للدّار الأخرة، ووفق هذا الإختبار الذي مُنح لك سيتم محاسبتك؟ والله تعالى سيحاسب النّاس كل على حِدا حسب اختباره وامتحانه الذي أُعطِي له، وكل إنسان مبتلى بأمر ما، لذلك الحساب سيكون مختلف من شخص لأخر، وتخيّل أن الانسان كل سنة يقدّم نفس الامتحان لمادّة الفيزياء بنفس الأسئلة؟ فإن الامتحان وقتها لا يصبح إمتحان، بل يصبح معلوم، فما الهدف من هذا الإمتحان حينها؟ لا شيء، ولا يوجد امتحان أو اختبار بهذه الطّريقة، لذلك لابد من تغيير الأسئلة، لكي نميز الطّالب المتفوّق من الطالب الضعيف، ولله المثل الأعلى، الله تعالى يختبر الناس بطرق مختلفة، فمثلا يمنح أحدهم مالا ويُغنيه، وفي الإسلام عليه أن يعطي زكاة أمواله للفقراء بنسبة 2.5% من أمواله إمتحاناً له واختبارا له، وفي المقابل الشّخص الفقير ليس عليه زكاة، فلقد حصل عليها كاملة من أموال الأغنياء، اذن، اذا اعطاك الله المال فعليك دفع الزكاة، وإن لم يعطيك اياه فليس عليك دفع الزكاة، وهنا سؤالنا الأول: لماذا يولد بعض الناس بأمراض وراثية وتشوّهات واعاقات؟ ما ذنب هذا الطفل؟ ما الذي اجترحهُ حتى يُخلق بهذه الطريقة؟ قد يكون هذا الطفل المعاق والمريض هو ورقة الامتحان للوالدين، هل سيصبرون ويحمدون الله عليه، أم هل سيكفرون ويلعنون الساعة التي جاء بها هذا الولد، مع العلم أننا نحن لدينا في الإسلام أن الطفل الصغير لا يحاسب حتّى يبلغ الحلم، لذلك عند بلوغه سيكون هو الإمتحان بحد ذاته لنفسه، هل سيصبر على قضاء وحكم الله له أنه خلقهُ معاقاً أو ساق له المرض فيما بعد، أم هل سيكفر بالإله على إعاقته كما فعل الملحد الفيزيائي (ستيفن هوكينج) الذي حاول الانتقام لمرضه فألحد بالخالق.

من شكر وصبر فقد نجح في الإمتحان وله الجنّة، ومن كفر فقد رسب في الإمتحان وله النار.

قال تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ(الاية رقم 155 و 156 و157 من سورة البقرة).

معنى قوله "وَلنبلونكم" أي: لنختبرنكم، وقوله "بشيء من الخوف" أي: بعض الخوف بكل أشكاله وألوانه وهذا يتضمن المخاوف النفسية، و"الجوع" وهو القحط، و"نقص من الأمول" وهو الفقر، و"الأنفس" وهو الموت، و"الثمرات" وهو الطعام.

أخبر الله بني آدم أن الدنيا دارُ بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرَهم بالصبر وبَشّرهم فقال "وبشر الصابرين" ، ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصَفوته، لتطيب أنفسهم فقال: "مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ".

وكلّما كان الامتحان أصعب، كلّما كان الأجر والثّواب أعظم، فامتحان التوجيهي عندما تجتازه وتنجح فيه ليس كامتحان الحصول على شهادة الدكتوراه، فامتحان الحصول على الدكتوراه أصعب بكثير، لذلك عند اجتيازه تحصل على لقب "الدكتور"، ويضاف بجانب اسمك "حرف دال ونقطه ثم اسمك" وهنا تكون قد حصلت على مرتبة أعلى وهو لقب الدكتور فلان.

لذلك مجرّد ولود طفل معاق لأبوين هذا لا يعني انّه مذنب، أو أنه فعل الشّر من قبل، وانّما قد يكون امتحان لصبر والديه، أو امتحان للشّخص نفسه هل يصبر على قضاء الله ام لا.

الله تعالى خلقنا مختلفين، فمنا الأبيض ومنا الأسود، ومنا الغني ومنا الفقير، ومنا ذو صحة قوية ومنا المعاق ومنا المشوه ومنا ذو خلقه جميلة، ليختبر الجميع وكل إنسان على حدا.

بالنّسبه للنّعم وللشّهوات، أريد أن أنوّه أنّه لا يوجد فساد في الأرض الّا بسبب الثقلين "الانس ، والجن" لأنّهما من يقع على عاتقهما التكليف فقط، والله تعالى أودع فيهما الشّهوات، ولكنّه أرسل لهم منهجاً ليقوّموا أنفسم ويضبطوا غرائزهم، فضرب الانس والجن المنهج بعرض الحائط، وساروا بشهواتهم متخبّطين هنا وهناك، فأفسدوا وسفكوا الدماء واجترحوا كل ما نهى الله سبحانه عنه .

فمثلا: المال نعمة ونقمة، المال نعمة ان انفقته في الحلال، ونقمة ان انفقته في الحرام -الله تعالى ليس عطائه اكراما ومنعه حرمانا، وانّما عطائه ابتلاء وحرمانه دواء- والشّهوات كذلك الأمر، والعلم كذلك الأمر.

بالنّسبه للمصائب والابتلاءات فهي تندرج إلى 5 أقسام:

1- مصائب القصم والعقاب: وهم أهل الفجور الفسوق الكفر والانحراف والالحاد والكفّار، فيرسل الله تعالى لهم عقاب ومصيبه تنهيهم وتنتهي حياتهم بها، قال تعالى: وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ(37) هود
2- مصائب الرّدع: وهم الذين يكون في داخلهم بقيّة من خير، يعلم الله تعالى ما بداخلهم فيرسل لهم مصيبة ردع لا تحتمل لكنّ الله يبقيه حيّا مع وجود المصيبه لعلّه يعود الى الله، قال تعالى: "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون" الروم.
3- مصائب دفع: وهم المؤمنون المستقيمون فيدفعه الله تعالى بسرعه أكبر، قال تعالى:" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" البقرة/ 155 – 157

4- مصائب رفع: فلكل عبد مرتبه عند الله تعالى، امّا ان يصل اليها بأعماله أو يصل اليها بمصيبه وابتلاء يصبر عليه، فيبتليك الله تعالى بمصيبه لتصل لهذه المرتبه.
5- مصائب كشف: وهي مخصّصه للأنبياء، حيث ذهب ﷺ الى الطائف 80 كم ليدعوهم الى الإسلام، فيؤذوه أهل الطائف فيرسل الله تعالى الى محمد ﷺ ملك الجبال ليكشف له من اجل ان يعاقبهم على ما فعلوه، فيرفض سيدنا محمد ﷺ، ويقول: لعل الله تعالى يخرج من اصلابهم من يوحّده .

ان الدنيا دار ابتلاء وليست دار استواء، ومنزل طرح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الاخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الاخره سببا، وجعل عطاء الاخره من بلاء الدنيا عوضى، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي، وحينما يفهم الانسان حكمة المنع من الله تعالى، فانها تنقلب الى عطاء منه تعالى للإنسان ...

26 # لماذا يوجد شر؟ ولماذا سمح الله تعالى بوجود الشر؟

الحقيقة هي أن الشر له وجود وله حق في العيش بيننا، الشر هو ابليس، ووجهة نظر ابليس، ومنطق ابليس، وفلسفة إبليس، وسعي ابليس ومن اتّبعه شياطين الجن، ومن ولقد شيّد الله تعالى خطّة الخلق على لبِنة الابتلاء وطوبة الإختبار، حيث لا يمكن لأقوال وأفعال الإنسان أن يكون لها معنى إلا عند إتاحة مكان للشر بالتواجد بيننا ومعنا، ولذلك خلق الانسان مزيجاً من خير وشر، والعالم كلّه نسيج من خير وشر، ولا يوجد شر مطلق ولا خير مطلق، فهناك أهل الخير وهناك أهل الشر، اذن من حق الشر والكفر والالحاد أن يوجد بجانب الخير والايمان لكي يُمتحن قرار الإنسان.

كان أوّل صوت للشر هو صوت ابليس، والذي تلاه ملايين الأصوات من الشياطين والناس الذين قاموا بالتّشويش وتضييع فكر وفهم الآخرين، عبر زرع فكر الشر الابليسي في أفكار غيرهم، كالمجرم "ألستر كراولي" و هو الأب الروحي لعبدة الشيطان ، والمؤسس الروحي لقوانين الشر والسحرالأسود، والذي وصف نفسه بأنه خادم الشيطان المخلص، ونبي ابليس في الأرض، وخلّف ورائه تلميذه المجرم "انتون ليفي" وهو المؤسس الاول لفرقة عبدة الشيطان، والمؤسس الأوّل لكنيسة الشّيطان الأولى في العالم، ومؤلف كتاب إنجيل الشّيطان!

الله تعالى وضع قوانينه في أرضه، فمن تخطّى هذه القوانين ولم يكترث بها فقد أحدث فوضى وبهذا يحدث الشّر؟ فهو في الأوّل والأخير بسببنا نحن، وبسبب ما أحدثته أيدينا، قال تعالى : وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(الآية 30 من سورة الشورى) وقال تعالى : فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (الآية 48 من سورة الشورى) .

لكن الحرية التي منحنا الله إياها هي قدرتنا على عمل الخير وعمل الشر، والله تعالى يعلم سرّنا ونجوانا ولو حال الله تعالى لانسان لكي لا يفعل الشّر لما كان للحريّة معنى، ولو منعه الله تعالى وصدّه عن عمل الشر لما كان للحريّة معنى، ولو لم يكن إبليس وأعوانه على مائدة الوجود بيننا، كيف سوف يتم إمتحان حريتنا؟! أيضا لو قام الله تعالى بمكافئة الانسان الذي عمل الخير مباشرة، وحاسب وعاقب الذي عمل شراً مباشرة هل سيكون للحريّه معنى؟! طبعاً لا، كما أنه لو كان حضور الله طاغي وواضح بيننا، هل سيكون لحريّتنا معنى؟ بالطبع لا، لا معنى لايمان المؤمن وكفر الكافر ان كان حضور الله تعالى طاغيا! لذلك الانسان معد بالحريّة والتي هي أحد أسسها وجود الخير والشر معاً، ولهذا السبب الشر موجود، متمثلا بقائد الشر "إبليس" عليه لعنة الله.

ان الله تعالى أعطى الحق للخير أن يكون، وللشر أن يكون أيضا بجانبه، وبالتالي سيكون الإيمان بجانب الالحاد والكفر لإمتحان حرية وقرارات الإنسان، لأن هذه الدّار هي دار الابتلاء والاختبار، مع العلم ان الله تعالى تعهد بالارزاق والحقوق لأهل الخير وأهل الشر، ولكن الحساب في الاخره وليس في الدنيا.

وعمل الذّنوب لا يضر ولا يشوّه الخلق الانساني أو "لنّوع الانساني " لأنه مخلوق الله وصنع الله تعالى ، وانما يشوّه معنى الانسان وسلوكه .

#27 هل ابليس هو سبب كل المصائب الّتي تحدث لنا؟

لا شك أن الملعون ابليس هو أب الخطايا، فلقد جادل الله تعالى في قصّة أبونا أدم الشّهيرة، ورفض امره بأن يسجد لآدم، ودافع عن معصيته وتعهّد بإغواء بني آدم، قال تعالى: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين (الآية 39 من سورة الحجر) وكأنه في الآية يتحدّى الله تعالى! فتعهّد هذا المجرم والملعون بأنه سيحف الإنسان من كل مكان ويوقعهُ في كل المصائب والفواحش في هذه الدار، فطلب من الله تعالى ان ينظره فأنظره سبحانهُ، قال تعالى على لسانه: قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُون، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ، قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (الآية 36 و 38 من سورة الحجر).

كل الخطايا تناسلت من الخطأ الأوّلي الذي اجترحهُ ابليس، وهو الكِبر، وكأنّ الملعون يقول لله تعالى -أنا لا يُوجّه لي الأمر بالسجود لآدم لأنني أفضل منه- هذه نزعة إبليس وكل من مشى ممشاه من الجن ومن الإنس.

إبليس له دور مركزي، لكنه ليس الأساس، لأن ابليس وظيفته الوسوسة، لكنّه ليس الأساس، لأنّ القرار في النّهاية هو للإنسان، هل سينصاغ أم لا، فهو صاحب ملكة العقل والإرادة والحرية في اختيار القرار، وبناء على قراره سيحاسب، لكن في النهاية ابليس لا يقضي عنّي، هو يُغوي ويُزين، ولهذا الداع المجنون لا يحاسب لأن عقله ذهب وضاع.

#28 الشياطين سبب جرّنا للمعاصي، لماذا لا يكبّلهم الله عز وجل في سلاسل أو يحبسهم وتنتهي المشكلة!؟

وهنا الإجابة أيضا تتعلق بحرية الإنسان، فلو لم يكون هناك شياطين لما كان هناك شر، ولولا وجود الشر لما كان لحريّة الاختيار معنى، وبالتالي فان البشر سيغدون ملائكة لا يخطئون، وعليه لن يكون هناك اختيار وامتحان وحساب فالجميع سيدخل الجنّة! كما أنه لن يكون هناك معنى لكلمة " انسان " ولن يكون هناك هدف من خلقه ووجوده من الأصل!

#29 لماذا وجد الشيء؟ لماذا وجد الوجود من أصله المحسوس والمدروس والمعقول؟

الله تعالى غني عنّا عن العالمين، وليس بحاجة لأحد من الموجودات والمخلوقات والأشياء، وهو واجد أزلي أبدي سرمدي قائم بذاته، إذن لماذا خلق الوجود وكل شيء؟ وخلق العوالم من العرش الى الفرش؟ لماذا وجد الشّيء؟ وهذا هو أكبر سؤال في الفلسفة.

بالنسبة لي لا يوجد إجابه على هذا السّؤال في الحقيقة! لا يعلم جواب هذا السؤال "لماذا خلق الله الشيء" الّا الذي أوجد الشّيء وهو الله تعالى! الله تعالى لم يأخذ رأينا حينما خلقنا وأوجدنا، ولم يشاورنا، ولم يكن لنا أي خيار، نحن وجدنا أنفسنا مخلوقين رغماً عنا، والحاصل هو أنّنا موجودين.

السّؤال الذكي يبدأ من لحظة وجودنا وخلقنا وهو: ماذا نفعل لكي ننجوا؟ هذا أشبه بفيلم شاهدتهُ اسمه "saw" حيث تم تخدير مجموعة من الناس ووضعهم في مكان معزول لا يوجد فيه أي بشر، وكانوا مكبّلين، وكانت جدران الغرفة تسير نحوهم لتطبق عليهم وتهرسهم.

وأنا أشاهد الفيلم كان يطوف ببالي سؤال وهو: هل كان لدى أي أحد منهم وقت لكي يسأل نفسه من الذي احتجزنا في هذه الغرفة؟ أو من الذي جاء بنا الى هنا؟ بالطبع لا، الكل منشغل كيف ينجوا من هذه الغرفة، الكل يبحث ويحاول فك نفسه وفك رقبته للنّجاة كي لا يموت، بينما لو شرعوا يفكّرون في سؤال "من الذي وضعنا وكبّلنا في هذا المكان وهذه الغرفة؟" بالتأكيد ستكون النتيجة هي موت الجميع! ولو هلكوا فإنهم لن يتكنوا من معرفة الشخص الذي أسرهم وجاء بهم إلى هذا المكان وهذه الغرفة المخيفة!

لذلك أعتقد أن الشخص الذكي منهم سيفكّر كيف سينجوا من هذا المكان وهذه الورطه أولاً، وبعد أن ينجوا سيتحرّى عن الشخص المجهول الذي ألقى به في الغرفة!

#30 هل الله تعالى يخطئ عندما يخلق؟

الإجابة: كلا، حاشاه تعالى، ولكن إستخدام الخليفة "الانسان" لمكوّنات الكون والمادّة بطريقة غير صحيحة ومؤذية هي السبب في حدوث التشوّه والإعاقات في المخلوقات والكون!

أضرب مثالا على ذلك وهو الإشعاعات والتلوّث والقنابل النّوويّة والأسلحة المدمّرة والمواد الكيميائية في الزّراعه والأغذية وفي التّربة وفي الأرض والسماء، كلها حدثت بسبب عمل الإنسان وسوء استخدامه لمكونات ومخلوقات الله، والتي كان لها الأثر العكسي والكبير في تدمير الإنسان نفسه وظهور الإعاقات والأمراض الخبيثة.

الإنسان تدخّل في طبيعة الأرض وعبث في تربتها وغذاها بمواد كيميائية، وتدخّل في طبيعة السّماء فنشر الغازات والسموم والإشعاعات التي عادت إلينا بأمراض عديدة وعلى الطبيعة ذاتها.

قال تعالى : ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (الاية رقم 41 من سورة الروم)

31 # لماذا لا يسلم البشر ولا يقتنعهم الإسلام مع كثرة وجود الأدلّة المنطقيّة والفكريّة والعلميّة والتّاريخيّة؟ و ما هو ذنب من ولد غير مسلم ؟

لأنّ العالم والنّاس تحتاج الى أخلاق المسلمين وليس منطقهم، ويجب تطبيق المسالك الإسلامية "الأخلاق" على أرض الواقع، والنّاس الذي أسلموا أسلموا لأنّهم تأثّروا بأخلاق الإسلام وأخلاق شخص ما لمسوه على أرض الواقع عند الإحتكاك به، وليس شعارات وندوات ومحاضرات وخُطب ودروس وكلام منثور في الهواء، والذين كرهوا الاسلام كرهوه بسببنا نحن لأننا لا يوجد لدينا أخلاق الإسلام .

لقد أسلم الفيلسوف والكاتب الفرنسي (روجيه جارودي) والذي غيّر اسمه لاحقا الى "رجاء جارودي" عام 1982، وسبب إسلامه كان هو "أخلاق مسلمين الجزائر"، حيث يعود إلى تاريخ 1941 عندما كان سجيناً في الجزائر من قبل النازية الألمان، وكان برفقة 500 مناضل قاموا بعصيان في السجن، فأمر قائد السجن حاملي الرشاشات "وقد كانوا من الجزائريين المسلمين" أن يطلقوا النار على السجناء، فرفضوا، ولم يفهم روجيه وقتها سبب رفضهم، وبعد فترة علم من قائد جزائري مسلم أنّ شرف المحارب المسلم يمنعه أن يطلق النار على انسان أعزل!! يقول روجيه: "كان هذا التصرّف أول مرّة أتعرف من خلاله على الإسلام".

ولقد ذكرت في كتابي "عين الفيلسوف" أننا في عصر يعاني من أزمة أخلاقية، وما زلنا نعاني منها، وعلينا التحلّي بها، فديننا هو دين أخلاق، قال تعالى واصفاً نبي الأمة ﷺ: وانك لعلى خلق عظيم (الاية 4 من سورة القلم)

وقال رسول الله ﷺ: "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء"، وقال ﷺ: "ألا أخبركم بأحبكم إلى الله ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : أحسنكم خلقا".

وجاء عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ: أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا".

وأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ ".

وجاء عن عبد الله بن عمرو عن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ".

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ الْفُحْشَ ، وَالتَّفَحُّشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا".

إن القانون لا يستطيع ان يقنن نفسه، لابد من ان يقنن من الخارج، والقانون يجب ان يكون معجون بالاخلاق، والأخلاق لا يمكن فصلها عن الدين، لذلك اذا وهن الدين سنكون بحاجه الى قانون أخلاقي، لان الدين يعتمد اعتمادا كليا على الاخلاق، لذلك لا معنى لدين بلا اخلاق، ولا معنى لاخلاق بلا دين، ومسألة الدين من يدل عليها هي الروح، والروح مصدرها ونافخها هو الله تعالى، لذلك اذا غاب الله فكل شيء مباح ولا يمكن ان تقوم القيم الأخلاقية في حياتك، وعليه فإنه لا يمكن الاستغناء عن الدين، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عن الله تعالى، لان الله تعالى هو مصدر التّشريع، والناس عندما استغنوا عن الله تعالى وعن

دينه وتشريعه ضاع الانسان، ووضع نفسه متخبطاً مكان الله تعالى ليكتب ويصدر قانون في الاخلاق، بعيدا منهج الله تعالى، وكانت النتيجة اللّواط والسّحاق ونكاح المحارم والسفاح والشذوذ والأمراض المميتة والمعديه كالايدز وغيرها، والاستهزاء بحريّة الاخرين المتديّنين وعدم احترامهم في الاعتقاد والايمان بالله تعالى وبدينه، وقتل المسلمين في بورما وغيرها من البلاد، وظهور مجرمين وسفاحين كهتلر وغيره، وظهور العري والنساء الكاسيات العاريات المائلات والمميلات اللواتي سقطن في حضن الامراض النفسية والانتحار، وظهور الزنى في الشوارع وامام الناس دون حياء وادب واخلاق وحق للشارع ولمن هو مستقيم من الناس، وظهور التعاطي من المخدرات والكحول، وايذاء الناس، كل هذا كان سببه ابتعادنا عن الله تعالى وعن تشريعه ودينه ونبيه واتّباعنا لانفسنا وأهوائنا.

من يدعون التحضر من مجتمعات وأفراد يفصلون الدين عن الاخلاق، ويفصلون الدين عن الحياة، ويقولون بالإمكان ان يكون الإنسان ملحدا وكافرا وذو اخلاق فاضلة، لكن لدي سؤال هنا وهو: هل هناك ملحد أخلاقي؟ بل السؤال هو: هل هناك إلحاد اخلاقي؟ اين الاخلاق عند الملاحدة عندما يوافقون على التمييز والعنصرية بين العرق والدين واللون والشكل والجغرافيا!

الأخلاق لا يمكن أن تقوم بلا دين، والدين هو الاعتقاد بالمفارق، أي أن الكون ليس مكتفيا بذاته وليس مكتفيا بنفسه، والمقصود هنا الإعتقاد بعالم آخر خارج الكون، والاعتقاد بقوّة أخرى أخرجت هذا الكون، غير مشموله بالكون ولها اللّياقة والتواصل مع هذا الكون -الله سبحانه- وبطريقة وبأخرى فان طريقة التواصل في الدين تكون عن طريق الأنبياء والرسل ، وهذا معنى عام !

ويجب أن نحذر من أن نؤمن بإله نفصّله على قدّ هوانا ورغباتنا وشهوانتا -أن تؤمن بإله اخترعته وصنعته أنت- اليونانيين كانوا يعبدون اله اسمه "بان " وهو اله الخصب والري والمراعي، فاذا قحطوا ولم تمطر السماء وتنبت الأرض رجموه بالحجاره ولعنوه!

وقال بهذا الفيلسوف الأمريكي (وليامز جيمس) وهو فيلسوف أمريكي ومن رواد علم النفس الحديث وأحد أفراد جمعية الأبحاث النفسية، كتب كتباً مؤثرة في علم النفس الحديث وعلم النفس التربوي، وعلم النفس الديني والتصوف، والفلسفة البراغماتية، وكان شقيق الروائي المعروف (هنري جيمس) و(أليس جيمس) كاتب اليوميات.

والسّؤال الأخير: ما هو ذنب الانسان الذي ولد غير مسلم؟ ذنبهم أنّهم سمعوا بالاسلام ولم يذهبوا لكي يتعرّفوا على هذا الدّين، فمثلا، لو كان هناك مليونير يوزّع المال، فمن الطّبيعي أن ترى الجميع يركض اليه ليسأل عن الموضوع، وعن تفاصيله -ولله المثل الأعلى- لن يصل البشر الى رتبة الانسان الا اذا كان هواه تبعا لما أراده الله تبارك وتعالى .

العالم يتغيّر:

إنّ الثّقافه الّتي سيرثها أبنائنا والجيل القادم ستختلف كليّا عمّا هو عليه في يومنا هذا ! طبقا لأبحاث أجراها علمائنا فإنّه يجب أن يكون معدّل إنجاب الأطفال في كل عائله 2.11 لكي تستطيع ثقافة دوله معيّنه للصّمود لأكثرمن 25 عام ، وإذا كان المعدّل أقل من ذلك فإن الثقافه ستندثر .

قانون : كلّما تقلّص عددالسّكّان = تقلّصت الثّقافه واندثرت!

في عام 2007 كان عدد السّكان كالأتي :

الدّوله	عددالسّكّان
فرنسا	1.8
انجلترا	1.6
اليونان	1.3
ألمانيا	1.3
إيطاليا	1.2
إسبانيا	1.1
الإتّحاد الأوروبّي المكوّن من 31 دوله	1.38

الأبحاث تقول أن أوروبّا خلال سنوات قليله ستختفي عن الوجود ، بسبب أن عدد السّكان يتراجع ويتناقص ، بسب انتشار اللّواط والسّحاق وبهذا لا يحصل الانجاب ، تفاجؤوا في الأبحاث أنّ عدد السّكان بقي كما هو ! لماذا : بسبب المسلمين (الهجره الإسلاميّه) ! فكانت الزّياده السّكانيّه في أوروبّا عام 1990 م 90% منها بسبب هجرة المسلمين !

الدّوله	عددالسّكّان
فرنسا	1.8
المسلمون	8.1

كانت فرنسا أكثر دوله في العالم تحتوي على كنائس، الآن المساجد فيها أكثر من الكنائس بنسبة 30% ! الأطفال دون سن 20 عام هم من المسلمين !في أكبر المدن في فرنسا مثل باريس ومارسيليا ونيس المسلمين حولي 45% من مجموع السّكّان ، في عام 2027 سيكون من بين 5 فرنسيّين 1 مسلم ! في خلال 39 عام ستصبح فرنسا جمهوريّه إسلاميّه .

الدّوله	عددالسّكّان
بريطانيا – المسلمون فيها إرتفع عددهم ليصل إلى	82.000إلى 2.5 مليون ! ويوجد أكثر من ألف مسجد كانت كنائس
هولندا – المسلمون فيها إرتفع عددهم ليصل إلى	50% وفي خلال 15 عام سيصبح نصف سكّانها مسلمين
بلجيكيا – المسلمون فيها إرتفع عددهم ليصل إلى	50% من المواليد الجدد مسلمين و 25 % من السّكان مسلمين
أمريكا – المسلمون فيها إرتفع عددهم ليصل إلى	100,000مسلم إلى 9 مليون مسلم!
روسيا – المسلمون فيها إرتفع عددهم ليصل إلى	23مليون مسلم في خلال سنوات قليله سيصبح الجيل الروسي 40% منهم مسلمين

ألمانيه صرّحت على العلن بتقارير رسميّه أنّه لم يعد بإمكانهم وقف تكاثرالمسلمين فيها ! ولايمكن عكس ما حدث , سوف تكون ألمانيا ولايه إسلاميّه في عام 2050 م , ألمانيا تقول بأنّها لديها حاليّا 26 مليون مسلم وأنّ هذا العدد متوقّع أنّه سيتضاعف الى أن يصل إلى 104 مليون مسلم في خلال 20 عاما القادم ! وفي خلال 30عام القادم سيصل عدد المسلمين في أميركا إلى 50 مليون مسلم.

حسب الدّراسات والإحصائيّات :

التاريخ	عددسكّانالعالم
1800م	مليار
1930م	2مليار
1959م	3مليار
1974م	4مليار
1987م	5مليار
2015م	7.3مليار

المرتبه	الدّوله	عددسكّانالعالم
1	الصّين	مليا رو 400 مليون نسمه
2	الهند	مليار و 200 مليون نسمه
3	الولايات المتّحده	300 مليون نسمه
4	أندونيسا	250 مليون نسمه
5	البرازيل	200 مليون نسمه
15	مصر	85 مليون نسمه

المرتبه	الدّيانه	النّسبهالعالميّه
1	المسيحيّه	31%
2	الإسلام	23%
3	بدوندين	16%
4	الهندوسيّه	15%
5	اليهود	0.02 %

الجنس	النّسبهالعالميّه
الذّكور	50.4 %
الإناث	49.6 %

الدّراسات تبيّن أنّ معدّل نمو الإسلام من 5 الى 7 سنوات سيكون الدّين الإسلامي هو المهيمن على العالم !
يقول الغرب بالحرف الواحد : العالم يتغيّر يجب أن نستيقظ !

قال تعالى : قال تعالى : وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (الاية 55 من سورة النور).

عن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا قال كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون

قال النبي ﷺ :والله ليُتِمنّ اللهُ هذا الأمر، يقصد به الإسلام، يعني: هذا الدين .

#32 المسلمون هو مسلمون بالوراثة، وأفعالهم لا تمت للإسلام بصلة! فكيف يتشجّع الغير مسلم لدراسة الاسلام، أو الإقتناع به؟

القران هو كلام الله، و ليس حكرا على أحد، كما أن السنة ليست حكرا على أحد، ولا يعنى أن مسلما لم تأخذ أفعاله نصيب من اسمه أن الاسلام فيه إشكال، والدليل على ذلك هو اسلام واقتناع كبار الشخصيات من أدباء وكتاب وسياسيين وسفراء وفنانين ورياضيين وعلماء وفلاسفة بالدين الاسلامي.

نحن لا نقارب الله تعالى كذات، لأنه ليس كمثله شيء، فهو ذات ليس كالذوات، وكل ذات موجوده ومخلوقه فإن الله تعالى بخلافها، نحن نقارب الله تعالى كصفات، نقاربه كرحمة وكرم وتسامح، نقاربه كمعنى وليس كذات.

لذلك جاء في الحديث القدسي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي , قَالَ : أَيْ رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ وَجَدْتَنِي عِنْدَهُ . وَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : يَقُولُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا جَاعَكَ يَسْتَطْعِمُكَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي . وَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي . قَالَ : فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، وَكَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا جَاعَكَ فَاسْتَسْقَاكَ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا عَلِمْتَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي "

هذا هو الله تعالى، سأل موسى ربه: "يا رب أين أجدك؟ فقال رب العزة: عند المنكسره قلوبهم من أجلي"، أي ان الله تعالى عند الضعفاء والمساكين والمحتاجين ومن هم في مصيبة وكارثه، هناك تشعر بوجود الله تعالى.

لماذا لا يوسع الانسان العربي والمسلم منظوره في الاخلاق لكي يقتنع الغير مسلم بديننا ومن ثم يدرسه ويدخل به، فيرى مثلا في الدول الغربية مشاهد الرفق بالحيوان، مشاهد الرّحمة والتراحم بين الناس، مشاهد الابتسامه وملاطفة الناس الذين لا يعرفون بعضهم البعض، مشاهد الإحساس بالآخرين وخصوصا في مصائبهم، مشاهد العطف، مشاهد الهدوء والأدب والاحترام، مشاهد النظام واحترام القانون، وللأسف الشديد ان كل هذه الاخلاق هي أخلاق ديننا ونبينا عليه الصلاة والسلام.

العرب والمسلمون لديهم انطباع خاطئ وهو ان الغرب غير أخلاقيين، واننا نحن أصحاب الاخلاق، فدائما ترى بعض المفكرين والعلماء العرب والمسلمين يقولون: "نحن أصحاب الاخلاق والقيم، والغرب هم أهل الماده والتكنولوجيا"، ويقولون: "نحن صحيح أننا لا نملك الماده والتكنولوجيا والتقدم، لكننا نملك الاخلاق!"، هل هذا صحيح؟ هذا غير صحيح، فنحن نفهم الاخلاق بطريقة حصرية تخصنا نحن العرب والمسلمين! حيث نحصر الأخلاق بما تريده أنفسنا، فمثلا، يقال لك اننا نحن العرب والمسلمين لا يوجد لواط وسحاق في ساحتنا، وبهذا فإننا نحن الخلوقين والغرب هم الشاذين! لكن هناك سؤال: اين الصدق؟ اين النظافة في شوارعنا والأماكن العامة؟ اين السّتر، تستر جارتك او صديق لك ولا تفضحه؟ اين الأمانة؟ أين احترام المواعيد؟ اين الإخلاص في العمل؟ اين تواضع المسؤولين والزعماء والرؤساء والملوك عند العرب والمسلمين؟ أين ابتسامتك في وجه أخيك صدقة؟ أين وأين وأين؟؟!! والله اني اشتقت في بلادي أن أرى

شخصاً يبتسم في وجهي وانا في الطريق ذاهباً الى العمل او لزيارة رفيق او للتنزّه!!! كل هذا للأسف موجود في الغرب واخلاق الغرب، وغير موجود لدينا نحن العرب والمسلمين!

وأنا لدي سؤال هنا: من هم أصحاب الاخلاق والانسانيّة والرّحمة؟ الغرب طبعا بلا شك، لكن للأسف كل هذا في المنظور العربي المسلم لا يمت للأخلاق بصلة، لأن الأخلاق لدينا مرتبطة بالزنى واللواط والسحاق، وهذا صحيح، ولكن المنظور العربي ناقص وفقير وحصري بهذا المنطق.

الثوري (تشي جيفارا) البرجوازي الارجنتيني، وهو ماركسي ملحد، لكنه ذو اخلاق عالية وكبيرة، فقد سلخ شبابه من اجل المظلومين والمقهورين والضعفاء، والعجيب ان شبابنا وشاباتنا العرب والمسلمين تستوقفهم شخصية جيفارا، ويأخذونه مثلا أعلى، لماذا لا يأخذوا الشيخ الفلان والعالم الفلان ورجل الدين فلان مثلا اعلى؟! تشي جيفارا كفر بالله الذي كفر به ماركس، كفر بالله الذي تمثله الكنيسه والبابا، كفر بالثالوث في الدين المسيحي، ولكن هناك مشكلة انه لم يبحث عن الإله الحقيقي ويؤمن به فقد مات ملحدا!!

تشي جيفارا عرف معنى من معاني الله تعالى دون أن يشعر ويعرف، معنى العدالة والكرامة والحرية والانسانية ونصرة الضعيف والمظلوم، لكن للأسف حمل العنوان الخطأ والّلافتة الخطأ وهي "الالحاد" لانه كان ملحدا! نحن المسلمين العكس، نحمل العنوان الصحيح وهو التوحيد والإسلام، ولكن نسير في الطريق والمسلك الخطأ، فلا أخلاق ولا عدل ولا رحمة ولا زكاه ولا أي معنى أو قيمة فاضلة -الا من رحم ربي- والمسلكان خاطئان في نظري، فيجب أن تحمل العنوان الصحيح وتسير في الطريق والمسلك الصحيح.

وهنا أيضاً سؤال: هل يمكن بناء الأخلاق على أساس مادّي فقط؟ يعني، هل البشر يستطيعون تأسيس أخلاق تامّة؟ بدليل انه يوجد الكثير من الملاحدة على أخلاق عاليه جدا، والكثير من المسلمين والموحدين على اخلاق سيّئة ومنفّرة؟!

الفيلسوف وعالم الاجتماع الالماني المعاصر (يورغن هابرماس) يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر، وهو صاحب العديد من الاعمال في مجال الاخلاق والفلسفة والميتافيزيق والدين والعقل والعلم والتكنولوجيا، يقول: "المسيحية هي المؤسس الأكبر للروح وللحرية وللضمير وللديموقراطية ولحقوق الانسان، وعدا ذلك كله ثرثره غير صحيح"، هذا الكلام بالنسبة لي كمسلم معرفي مقبول جزئيّاً، ولكن بالنسبة للملاحدة يعتبرونه كلام سخيف.

البديل عن هذا هو المبدأ الإنساني وهو عدم الايمان بالّلاماورائي، وهو ان الانسان مكتفي بذاته ويمكن أن يؤسس مبادئ في الاخلاق ممتازة للضمير دون الحاجه الى الله تعالى أو القوة الماورائيّة، وأحد الفلاسفة القائمين على هذا المبدأ هو الفيلسوف الفرنسي (لوك فيري) وغيره من فلاسفة لم يؤمنوا بالمفارقه – وجود عالم اخر وقوه أخرى غير هذا الكون - وهم بالنسبة لهم الانسان هو مرجعيّة ذاته، فكان نتيجة ذلك ظهور أشخاص دمّروا الدّين وبهذا دمّروا الأخلاق كالفيلسوف الالماني نيتشه (فريدريش فيلهيلم نيتشه) وهو ناقد ثقافي، شاعر وملحن ولغوي وباحث في اللاتينية واليونانية، والذي قال صراحة: "اذا كان هناك رجل مشلول دعّه في حفره لنتخلّص منه، فلا فائده منه، وأنّ البقاء للأقوى"، وقال: "ان الاخلاق حيله ابتدعها الضعفاء ليضحكوا بها على الأقوياء"، ورد عليه الفيلسوف الألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري (كارل ماركس) بهذه العبارة : "هذه الأخلاق حيله احتال بها الأقوياء والكبار لكي يستضعفوا بها الصغار"، هذه نماذج لأشخاص غيبوا الدين!!

اذا كان المجرم نيتشيه اعترف بلسانه ان كل اخلاق المحبّة التي أساسها الحب والرحمه سواء كانت يمينيّهة او يساريّة، محافظة ام متقدّمة، دينيّة ام لا دينيّة، في بنيتها هي دينيّة! لأنّها كلّها تؤمن بالمفارق، أي بوجود قوة ما وراء الوجود والطبيعة نستمد منها الفضائل والأخلاقيّات، وهذا بالضبط جوهر الدّين.

قال احد الناس لأحد الأئمّة: "لماذا ندعوا الله تعالى فلا يستجاب لنا ؟ فال الامام : انت لا تدعوا الله! أنت تدعو اله قددته على قد هواك"، وهذا حاصل مع كثير منا، قال تعالى: أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض! الكثير منا لا يعرف الله تعالى وهو قوي ومسؤول وصحيح البدن، ولكن عندما يزل كل هذا ينادي: يا رب يا رب!

تبقى الاخلاق ما بقي الدين، فالانسان كائن أخلاقي بالفطرة، لأنّه متديّن بالفطرة، وهو بفطرته عابد لله صاحب المُثل العليا.

#33 لماذا ظهر المفكّرون؟

رجال الدين من مشايخ وعلماء الذين يحملون الاف الشهادات في الدكتوراه -مع كامل احترامي وتقديري لهم- لم يضيفوا للدين شيء، هل هذا صحيح؟ وهل هذا سبب خروج المفكرين؟

الإيمان لا يعني تغييب العقل أو إحتقار العقل، ولا يعني أنني اذا إستخدمت عقلي أنني غيّبت الإيمان، لا يوجد ايمان بدون عقل ولا عقل بدون إيمان، بل هما متكاملان، لسنا متدينين تقليديين، ولسنا علمانيين مقلدين، فالحقيقة تأتي بعد المعرفة، لكن العلمانيون لا يؤمنون بالحقيقه بل يقدسون المعرفه، والمتدينون لا يخضعون بالمعرفه بل يؤمنون بالحقيقة.

الألم شاهد على الوجع، فعندما يكون المهندس والطبيب والمسؤول والخادم وصاحب الحرفة وعامل النظافة والتاجر "مفكّراً" يحمل همّ السّؤال في الوجود وفي الموجود، فإنه يحمل همّ البحث عن الجواب والمعرفة لهذا السّؤال؟!

نحن كمفكّرين نريد أن نبحث عن الإله لكن وفق مفهوم محدّد للإله، لا نريد أن نختزل الإله وفق مفهومنا الضّعيف والفقير بأنّه شيء من الأشياء أو بعد من الأبعاد، لأنّنا نشعر بالزّمان، لكن لا نستطيع ان نرى أو ان نحدّد ما هو الزّمان؟ فكيف بربّ الزّمان! الله تبارك وتعالى محيط بالأبعاد والأشياء وليس كمثله شيء!

كن مفكّر...

إنني أدعوا الإنسان إلى أن يكون مفكّراً، كن مُفكراً، كن باحثاً عن اليقين، باحثاً عن الحقيقة، باحثاً عن الإله، لأنّ الانسان في زماننا للأسف يصنع الهه كما يريد، لذلك من يدّعي فهم الله عليه أن يكون عارفا به -من هو الله، من هو هذا الإله- لذلك الانسان هو ضيف على مائدة الكون، و هو بطل الرواية الكونية وبطل الرّسالة المحمّديّة التي يتناقلها ويرويها جيلا بعد جيل، لترتفع راية لا اله الا الله محمد رسول الله، وتبقى أعلى ميديا عرفتها الانسانيّة والبشريّة.

قال تعالى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (الاية 24 من سورة محمد)

المفكر الحقيقي يجب أن لا ينسخ نفسه من أنفس غيره، وانما عليه أن يبني نفسه طوبة طوبة، كما أنّه لا يجب عليه أن ينسخ فكر غيره ويفكر بعقل غيره، وانما يجب ان ينير مصباح عقله ويكون لديه فكره الخاص ورؤيته، وان يكون له نظريّة في الحياة وفي خلق الله تعالى، فما يتبقّى لك هو ما إستثمرته في نفسك ولغيرك.

المفكر سينظر لكل شيء بعين الفيلسوف وسيرى الله تعالى في كل شيء، سيرى الله في الحجر وفي الشجر وفي الشمس وفي القمر وفي حال العطاء وفي حال المنع وفي حال المرض وفي حال الصحة وفي كل شيء.

المفكر عندما يقطف الوردة ويتمعن النظر فيها سيرى المجرات والنجوم والكواكب بداخلها، وستعيده الى لحظة الانفجار العظيم، هكذا يرى ويفهم المفكر الحياة.

المفكر لحظة موته سيسلم النفس بطمأنينة وسكينة الى خالقها ومالكها، وقد أصبحت أكثر نضجا ورقيا وجمالا وحبا وقربا لله سبحانه وتعالى.

يكتب (سيد قطب) مخاطباً أخته أمينة، ومن ورائها جمهوراً عظيماً من المريدين الأولين والآخرين، يكتب باعتزاز شديد بنفسه كما كان دوماً "عندما نعيش لذواتنا فحسب، تبدو الحياة قصيرة ضئيلة، تبدأ من حيث بدأنا نعي، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود، أما عندما نعيش لغيرنا، أي عندما نعيش لفكرة، فإن الحياة تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت الإنسانية، وتمتد بعد مفارقتنا لوجه لهذه الأرض".

أخيراً أقول:

الله خيار حي أو غير حي، أو موجود أو غير موجود، يجب أن تحدّد ذلك بوضوح، إن كان الله بالنّسبة لك حي يجب أن يؤثّر في كامل حياتك، يجب أن يؤثر في فكرك ووجداك وقلبك وعقلك ومسلكك ورؤيتك لنفسك للكون وما فيه من حولك، ولمن هو وراء هذا الكون.

الله خيار مفروض أو غير مفروض، يجب أن تخوض هذه المسألة رغما عنك، فكل المفكرين والعلماء والفلاسفة خاضوا هذه التجربة وأبحروا في هذه المسألة من قبلي ومن قبلك، وكل منهم له تجربته الخاصّة .

الله خيار حاسم أم لا، يجب أن تُقرر بذلك وأن يؤثّر في حياتك، فإما أن تلتزم أوامرهُ وتجتنب نواهيه، أو تُنفيه قطعيّاً وبأسس علمية وفكرية وفلسفية ودينية وفطرية واضحة، ولن تستطيع ذلك أبداً!

لكن في النّهاية، الإنسان هو الكائن الوحيد الباحث عن الغيب وعن الخالق وعن الله سبحانه وتعالى .

إنني أعتقد أن المؤمن المفكّر هو من يعبر خمسة مراحل للقاء الله سبحانه: "البحث، الوصول، التعرف، العبادة، الحب "، وهذا الحب هو أجمل شيء وأسمى شيء وأروع شيء في هذا الوجود!

في رحلتي في البحث عن الإله أيقنت تماما أنّ هناك إله واحد أحد فرد صمد، وأدركت تماما أنّه إن كنت تريد التّواصل مع هذا الإله العظيم عليك أن تبحث عنه! ومن كان قد بحث عنه صادقا مخلصا سيجده في كل مكان! وبعد أن وجده سيبدأ بالتعرّف عليه وعلى أسمائه وعلى صفاته! وبعد أن تعرّف عليه سيخضع لكل أوامره ويجتنب نواهيه! وبعد أن خضع له وأطاعه ستتحوّل هذه العلاقة من عبادة الى حب! وهذا الحب هو أجمل شيء وأسمى شيء وأروع شيء في هذا الوجود.

إن الله تعالى خلق الانسان لكي يبحث عنه ويتعرّف عليه وفي النّهايه يصل اليه ويتواصل معه، وهيّأ الكون بأن جعله قابلا للمعرفة من قبل الانسان الباحث والمكتشف، فالكون له عقل وفكر، والانسان لديه عقل وفكر، وهما مهيّئان للتّواصل وارسال واستقبال الأفكار بينهما للوصول الى الوعي الخارجي والفكرة الأولى والعقل المطلق "الله تبارك وتعالى" خالق كل شيء، وليس كمثله شيء ....

أنت تبحث عن مفقود وبه ظهر كل موجود

إذا جاء شخص وإدّعى نفي الإله، وقال: "أنّه لا يوجد إله خلق الكون، وأنّ الكون وجوده أزلي" لكي يكون نفيه للإله صحيح، وأنّه لا يوجد إله خلق الكون يجب عليه أن يفحص كلّ الوجود، يجب عليه أن يجرّب ويختبر كل شيء في الوجود يشكّل برهان على وجود الله، ويجب أن يبحث عن وجود الله في المكان، بمعنى: أن يبحث عنه في الأرض وما فيها، وفي السماء وما فيها، ويجب عليه أن يبحث عنه في الزّمان، بمعنى: أن يبحث عنه في الماضي والحاضر والمستقبل، ويجب عليه أن يبحث عنه في كل شيء، ولا يستطيع أي إنسان في العالم أن يفعل هذا!؟

لذلك البرهان على نفي الله وإنكار فكرة الإلَه مستحيلة، وبالتّالي البرهان على الإلحاد مُحال لا يمكن تحقيقه!؟ ولكن في المقابل كل البراهين تدل على أن هناك إله، وتؤشر على الخالق -الله تعالى- فخذ أي برهان في أي وقت وزمان ومكان سيدل على الله، وهذا البرهان يكفي على وجود الله، وبالتالي إنّ البرهان على الله سهل جداً وواضح ومباشر.

في النّهاية :

عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود، فأنت تبحث عن مفقود وبه ظهر كل موجود.

في النـهايـة:

"إنـه من أعجب العجب أن يبحث الإنسان عن مفقود وبه ظهر كل موجود".

المفكر الإسلامي
محمد نبيل كبها

الفهرس

قبل أن نبدأ 4

إهداء 6

المقدمة 10

التفسير الميكانيكي 14

التحليل المادي للوجود 15

الجانب الآخر للطبيعة البشرية 18

عزيزي الملحد 19

إنسان الله ليس نتاج حيوان داروين 20

الكون محدود يا ايفرت 24

ما هي الدرجة التي تطور منها الله يا جيمس 28

من وهم الإله إلى وهم دوكنز 31

عندما تسير في فراغ هوكينج يا كتوكوت 34

ما مشكلتك مع الله يا بيرناند راسيل 37

هذه هي لعنة المادية وصرعتها يا ديمقريطس 39

العلم يصف لنا الأشياء يا هوكينج ولكن لا يفسرها 41

هذا الرجل مشلول يا سارتر 43

ما هو مبرر الإلحاد فيما اقترفه السفاح هتلر 45

لقد بين كوين الفهم الأيديولوجي الحقيقي والحقير للتطور 47

إلى من طار من مطار فرويد 49

كيف حدث هذا يا كونت 50

الله لا يخلق نفسه في الخارج وبأذهاننا يا باركلي 51

ترتقي الأخلاق بالقفزة الإيمانية يا كريكغور 52

الفلسفة من الإيمان بإله واحد إلى الإلحاد 53

عزيزي الملحد، إن العِلّة ليست موضوع إدراك، بل هي وسيلة لها..... 57
بقعة الله..... 60
عليك بتوجيه الأنتينا "اللّاقط" نحو الله..... 61
الدماغ هو في نهاية الأمر جهاز لإستقبال الإشارة من الله سبحانهُ..... 63
عبقرية السؤال..... 65
من خلق الله..... 67
ما هو الدليل على وجود الله..... 69
هل المادة هي الصانع أم الله تبارك وتعالى..... 75
هل المادة هي الأزلية أم أن الله هو الأزلي..... 77
ما الدليل على أنه واحد..... 79
ما الدّليل على أنّ هذا الخالق هو الله وليش شيئاً آخر..... 80
ما الدّليل على أنّ مقنن القانون هو واحد..... 84
من الذي وحد كيميائية الدماغ الإنساني..... 85
من هو الله، وهل هو كالأشياء التي خلقها..... 86
لماذا حجب الله ذاته عنا..... 89
هل الله تعالى يريد أن نراه أم يريد أن نتعرّف عليه..... 91
الله تعالى أين كان قبل أن يمكن المكان..... 92
هل رؤية الله تعالى هي سرّ نجاح العلاقة بيني وبينه..... 93
ما هو الدليل على حكمة هذا الإله..... 94
لماذا لا يبدأ القرآن بإثبات وجود الخالق..... 98
لماذا خلق الله الإنسان..... 99
لماذا لا يبعث الله معجزة خارقة في وقتنا الحالي تدل عليه..... 102
هل غرض الله تعالى أن يبهرنا بكثرة الأدلّة الحسية التي تدل عليه..... 105
كيف أصدّق أنّ القران الكريم هو كلام الله تعالى..... 108
هل الانسان مسيّر أم مخيّر؟ ولماذا يحاسبنا الله تعالى..... 118
هل خلقنا الله من أجل أن يحاسبنا ويعذّبنا..... 123

لماذا أعطانا الحريّة من ناحية، ومن ثم يهدّدنا من ناحية أخرى..... 125
لماذا الألم؟ ولماذا سمح الله بحدوث هذا الألم؟ ولماذا يحاسبنا على شيء من صنعه منذ البداية..... 126
ما الحكمة من وجود الألم والمنغصات..... 128
لماذا يوجد تشوّهات وأمراض وإعاقات..... 130
لماذا يوجد شر؟ ولماذا سمح الله تعالى بوجود الشر..... 133
هل ابليس هو سبب كل المصائب الّتي تحدث لنا..... 134
الشياطين سبب جرّنا للمعاصي، لماذا لا يكبّلهم الله عز وجل في سلاسل..... 135
لماذا وجد الشيء..... 136
هل الله تعالى يخطئ عندما يخلق..... 137
لماذا لا يسلم البشر ولا يقنعهم الإسلام مع كثرة وجود الأدلّة..... 138
المسلمون هو مسلمون بالوراثة، وأفعالهم لا تمت للإسلام بصلة! فكيف يتشجّع الغير..... 143
لماذا ظهر المفكرون..... 146
أخيرا أقول..... 148
أنت تبحث عن مفقود وبه ظهر كل موجود..... 149
في النهاية..... 150

«إنه من أعجب العجب أن يبحث الانسان عن مفقود
وبه ظهر كل موجود »

المفكر الاسلامي
م. محمد نبيل كبها